

نت معهم
السجن
بقلم
جعفر الخليلي

اشتريت هذا الكتاب بعد فترة بحث طويلة ... ثم

عثرتُ عليه عند صديق خالي الدكتور يونس أحمد السامرائي

تعرفتَ عليه اليوم ، ولم يكن الكتاب معروضاً عنده للبيع

في مكتبته العامرة ، ولكن بعد أن تأكد أني ابن

أخت الدكتور يونس السامرائي أخرج الكتاب من

مكان يحفظ فيه الأمور والأغراض العزيزة عليه

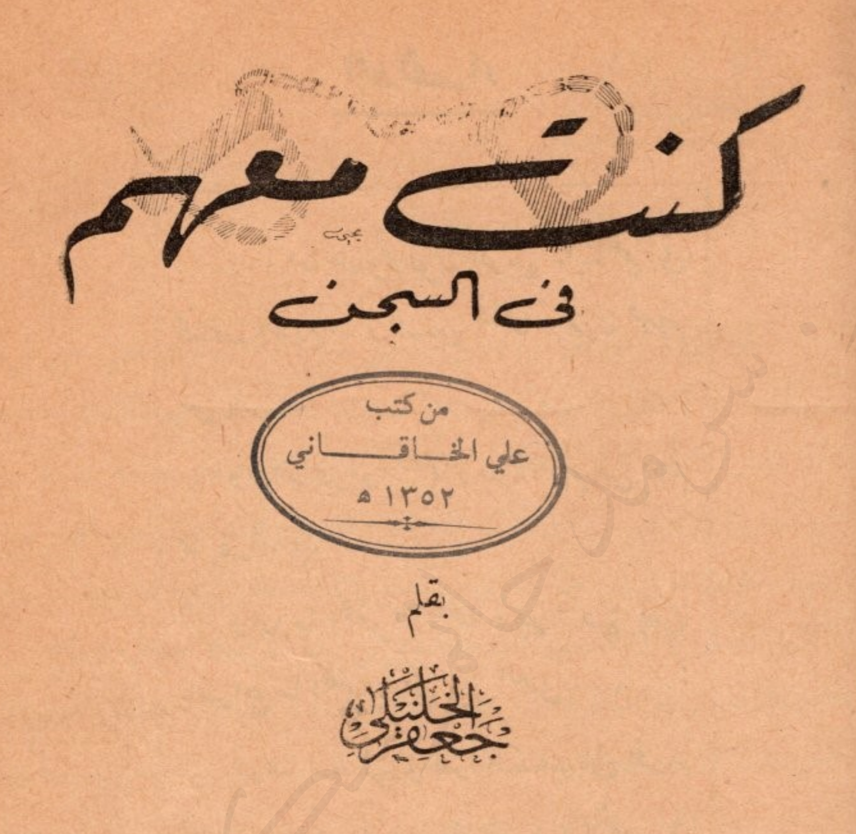
وسلّمني إيّاه وقَبِلَ أخيراً أن يبيعه لمن يستحق

حسب رأيه ـ

المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

الجمعة ٢٨ / رمضان / ١٤٤٣ هـ
٢٩ / ٤ / ٢٠٢٢ م

م. سرمد حاتم شكر



الطبعة الأولى

١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م

مطبعة المعارف ـ بغداد

الاهداء

... اما المسؤولون الذين رأيناهم في مختلف الادوار والسنين فقلما وجدنا فيهم من يقرأ ...

واذا ما قرأوا فقلما وجدنا فيهم من يهتم بما يقرأ ...

واذا ما اهتموا فقلما وجدنا من يعنى باخراج ما اهتم به الى حيز العمل ...

فدعنا اذن نهدي هذا الكتاب الى افراد الشعب ، ونحن نوصي بقراءته ، والتمعن في مواضيعه ، ووجوب احتفاظ كل قارىء ، وكل بيت ، وكل مكتبة ، وكل مؤسسة ، بنسخة منه ، والتحدث بمضامينها ، ذلك لأنه الكتاب الوحيد الذي لم يؤلفه فرد واحد وانما ألفته مجموعة من أبناء الشعب - وهم المساهمين - لمجموعة الشعب كلها ، فهو منهم واليهم .

الخليلي

المقدمة

الفكرة

الحق اني لم أتلق مرسوم المطبوعات من سنة ١٩٥٤ ـ الذي قضى على جريدة (الهاتف) كما قضى على عدد آخر من الصحف ـ كصدمة من الصدمات التي تستحق أن تبلبل البال أو تقلق الافكار ، لا لأن المرسوم كان عندي صدمة صغيرة وغير جديرة بالاهتمام مني بل لأنه إذا كان (المرسوم) قد عطلني عن العمل من جهة ، فقد فتح لي من جهة أخرى باباً لعمل طالما فكرت فيه من قبل فأخفقت لضيق المجال ، ولانشغالي بالصحافة عشرين سنة متواصلة بدون انقطاع وبلا انفكاك ، حتى إذا صدر هذا المرسوم وتعطلت جريدة (الهاتف) بمقتضاه الفيتني أمهد التمهيدات اللازمة لتحقيق هذه الأمنية المتمكنة من نفسي منذ زمن بعيد لأدخل السجن مدة كافية ، فأختلط بالمساجين ، وأعايشهم ، وألج قلاعهم ، وأمازجهم ، وأقف منهم حيث يقف المصور الواثق من جهاز تصويره لألتقط لهم بعض الصور التي تصلح أن تصنف الجريمة عندنا على الغالب فتحصرها في عدد معين ، وحالات معينة من الأمثلة لتكون من جهة ـ وهي الأهم ـ دليلاً للمصلحين يستطيعون أن يضعوا بمقتضى خطوطها وألوانها خطوطاً للاصلاح ، وألواناً للعلاج ، ومن جهة أخرى تكون هذه الصور متعة فنية للقارىء يجد فيها ما يلذه من القصص الواقعية الممتعة

دور العمل

وجاء دور العمل أي جاءت الفرصة التي تتيح لي التصدي لدرس أحوال المساجين وتتبع الحوادث التي آلت بهم الى السجن وقررت مصائرهم على هذا النحو من

العقاب والجزاء ، ولكن مثل هـذا الدرس ليس من السهولة بحيث يتم بمجرد الدخول الى السجن والتحدث الى المساجين ومراقبة أحوالهم ، وإنما هنالك أمر له كل الأهمية في البحث والدرس ، وعليه وحده المعول في نجاح الفكرة واخراجها الى حيز العمل ، وذلك هو الثقة ، فعلى ثقة السجين بالكاتب تتوقف المهمة لحد بعيد ، إذ بدون هـذه الثقة لا يفلح الكاتب باستدراج السجين الى الاعتراف بجريمته ونقلها بكل اجزائها ودقائقها اليه ، واذا اتفق ذلك فانه لا يمثل إلا جانباً ربما كان صغيراً غير جدير بالتعبير عن جميع ألوان الجريمة وصفاتها .

السبب

ولاحجام المجرمين عن سرد قضاياهم بحقيقتها أمام غير المجرمين أسباب عامية (سيكولوجية) ترجع الى التهرب من الاحتقار ، لذلك كان الكثير من الناس حين تقف به الذاكرة على ذنب سلف منه يحاول جهده أن يشغل تلك الذاكرة بأمر آخر ينسيه ما هو فيه من موقف وذلك دفعاً لما قد يعتريه من خجل أمام نفسه واحتقار من نفسه لنفسه ، فكيف لو كان المتحدث اليه شخصاً آخر غريباً عنه ومنزهاً في مفهومه وعرفه عن مثل دنيته وذنبه ؟

ويهون وضع المذنب المجرم أمام المذنب المجرم بل كثيراً ما يشجع هذا الوضع على الاعتراف وسرد القضـــايا كما وقعت ، لذلك وجد صديقي معالي الاستاذ عبدالرسول الخالصي في محاولتي دخول السجن مجالاً واسعاً للدعابة فعرض علي مساعدته بأن يدرس لي أهون أنواع الجرائم غير الخادشة بالكرامة ومن نوع الجرائم السياسية ، ليحملني على ارتكابها عامداً حتى اذا دخلت السجن دخلته مجرماً فيتذلل لي جانب من الصعوبة التي أخشاها ويتاح لي أن ألم بالقدر الواسع مما أريد .

وحين سألته ضاحكاً :

- وبعد ذلك ؟

قال - : ما بعد (عبادان) قرية كما يقولون... فانك ستطلع علينا بكتاب نفيس سيكون الأول من نوعه ، وسأسعى أنا بالطرق القانونية لاخراجك من السجن معافى ومشافى انشاء الله !! ومن يدريني فقد يحسب هذا الصديق انه صاحب الفضل الاكبر في اخراج هذا الكتاب لو ابحت له بأن يدلني على أحسن الطرق لارتكاب جريمة غير مخلة بالشرف والكرامة ، وانه صاحب الفضل الاكبر حين يتصدى لاخراجي من السجن كما أدخلني فيه بفذلكة من الفذلكات القانونية مادام محامياً من كبار المحامين ووزيراً من خيرة وزراء العدلية .!!

الاستيذان

وتقدمت إلى وزارة الداخليه اطلب منها الاذن بدخولي السجن مدة تكفي لدرس أحوال المساجين عن كثب وجمع المعلومات اللازمة على قدر الامكان ولقد اخرت مقتضيات (الروتين) هذا الاذن اياماً ربما كانت طويلة ، وجد فيها (معالي الخالصي) مجالاً اوسع للدعابة فراح يحبب لي دخولي السجن مجرماً مرة أخرى مفضلاً اياه على دخولي فيه مستأذناً ، واتسعت دائرة التندر واصطبغت عند البعض من الاصدقاء بصبغة الجد فراح يروي الكثير منهم مايستحضر من حكايات تشير إلى ما عمل بعض المؤلفين والممثلين فى تزريق انفسهم ببعض الجراثيم من الأوبئة ليدرسوا أعراض تلك الأمراض وكيفية دبيبها فيهم ، لكي يروا ما يريدون ان يروا من سيرة الاطباء



مواجهة أهل المساجين لأبنائهم

والمرضين فينقلوا لقرائهم أو ليمثلوا للناس القصة بأصح صورها ، وأفصح وجوهها . ولقد تجمع من مجالس تندرنا بدخول السجن الشيء الكثير من غرائب الحكايات التي رويت والنوادر التي استشهد بها بعض من ضمت تلك المجالس .

دليل الصعوبة

وصدر الاذن بدخولي السجن باحثاً دارساً مختلطاً بالمساجين ، ورحت امهد لنفسي التمهيدات اللازمة مستعيناً بمساعدة رجالات السجن من مدير السجن العام الى أصغر موظف من موظفي سجن بغداد مذكراً نفسي بالقصة المروية عن (نابليون) أو عن أحد الأمراء الذي زار السجن ذات يوم فلم يلف فيه من لم يشك ظلامته بشكل من الاشكال ويصف كيفية دخوله السجن كما لو كان نائماً في البر ليلاً ولما اصبح الصباح وجد ان هذا البر قد تحوط من جميع جهاته بالحيطان وسميت تلك المحوطة بالسجن ، وإلا فليس له ما يستطيع ان يفسر وجوده في هذا المحبس ، ولكن واحداً من اولئك المساجين ، واحداً فقط اجاب على سؤال نابليون ـ أو سؤال الأمير إذا لم تكن نسبة هذه القصة لنابليون صحيحة ـ لقد اجاب قائلا :

— اما أنا فقد سرقت وكان عقابي على ذلك السجن . . .

فصرخ هنالك نابليون في وجهه وقال : اخرج من السجن لئلا تنتقل العدوى من نفسك الخبيثة الى هذه النفوس الطاهرة البريئة ، اخرج من السجن ففي وجودك بين هؤلاء الابرياء الاطهار اساءة لا تغتفر إلى هذه اللمة التقية النقية .

واخرجه من السجن لانه وجد في اعترافه وعدم محاولته الكذب مايبعث الأمل على صلاحه والتكفير عن ذنبه .

* * *

وايد مدير السجن العام صعوبة مهمتي كما أيد تهيبي وتخوفي من الفشل في

استدراج المساجين وحملهم على الاعتراف بجرائمهم ، وأسند تأييده بالقصة التالية قال :ـ

قبل مدة ليست بالبعيدة سيق المحامي عبدالستار عبدالجبار ، وفؤاد عبدالوهاب الدليمي إلى المحكمة بتهمة قتلهما سائق سيارة ومعاونه في طريق الاردن ، وتضافرت الادلة على اتهامهما ولا يكاد التحقيق يمشي خطوة حتى يقوم عدد من الشواهد على ادانتهما ، اما هما ففضلاً عن انكارهما الجريمة والاحتماء بالايمان المغلظة كلما عز عليهما الاستدلال على برائتهما فقد دافعا عن نفسيهما دفاعاً قوياً جداً مستنداً إلى أوضح المواد القانونية والتفاسير الشرعية لمنطوق تلك القوانين ، ولا غرابة في ذلك فان عبدالستار عبدالجبار كان محامياً ، وفؤاد عبدالوهاب الدليمي كان مفوض شرطة قبل أن يشتغل في التجارة ويعمل مع المتطوعين في الحرب الفلسطينية وكانت له من الخبرة ما تجعله قوي الحجة في الدفاع عن نفسه .

وعلى رغم تلك الحجج التي ادلى بها المتهمان لدفع التهمة ، والايمان الغليظة التي تذرعا بها لاثبات برائتهما فقد ادانهما القضاء وحكم عليهما بالاعدام .

واكتسب الحكم الدرجة القطعية ، ولم يبق إلا القرار بالتنفيذ ، ولقد رأى رجال السجن من أمر هذين المحكومين العجب في طريقة احتجاجهما على قرار المحكمة ، واعلان سخطهما على هذا القرار الذي اعتبراه قراراً جائراً فراحا يعلنان استنكارهما في صور متعددة من الاحتجاج واقدما باشكال مختلفة على الانتحار حتى لقد هم احدهما بان يقطع وريده باسنانه ، حينما عز عليه الحصول على آلة جارحة لشدة المراقبة المضروبة

احتفال السجناء بيوم عيد الاضحى

عليهما ولكن السجانين حالوا بينهما وبين تنفيذ هذه المحاولات وأبعدوا عنهما كل آلة صالحة أو غير صالحة للانتحار وضيقوا دائرة المراقبة عليهما تضييقاً كبيراً ، والمجرمان في كل ذلك يعلنان براءتهما ويستنكران الحكم عليهما ويشكوان ظلمهما إلى كل سامع .

واخبرا بموعد تنفيذ الحكم وطلب منهما ان يوصيا بالذي يريدان وان يذكرا ما يهمهما ليحققه لهما السجن قبل تنفيذ الحكم ، وحين ادركا هناك ان الأمر نافذ ، وان الحكم قد مشى مشيته الأخيرة التي لا تقبل التغيير والتبديل ، وان ليس بينهما وبين أن تعلق جثتاهما على خشبة المشنقة إلا نصف ساعة ، طلب هنالك فؤاد عبدالوهاب من يسجل له وصيته ، وفي هذه الوصية اعترف بالجريمة ودل على اسبابها ، واشار إلى موضع يده منها وموضع يد صاحبه المحامي الذي اعترف هو الآخر ، وكان الهدف من قتل السائق ومعاونه عند هذين المجرمين هو الظفر بسيارتهما والقضاء على أي دليل لما كانا يحملان من أموال مهربة ثمينة من المخدرات وغير المخدرات اعتادا ان يعملا منذ زمن في تهريبها بين العراق والاردن ، وقد اشارا في اعترافهما إلى موضع البضاعة الممنوعة التي خبأها الشريكان في الصحراء بعد اقترافهما الجريمة ...!!

وقال مدير السجن العام ، اما الذين يموتون وسرهم مدفون في صدورهم فهم كثيرون لا يحصيهم محص ، ولا يجمعهم حساب .

الدليل العملي الاول

وأول دليل عملي قام في وجهي على صعوبة هذه المهمة واستدراج المجرم إلى الاعتراف كان في استجوابي السجين (حمدي شاكر) وانا لم يمر بعد على دخولي السجن غير أيام قلائل وكلما استطعت ان اسمع منه هو ان اسمه حمدي شاكر وان عمره ٢١ سنة وانه محكوم بـ ٣٨ سنة لعدد من السرقات المختلفة المكان ، والزمان ، والكيفية ،

اما تلك السرقات التي بلغ مجموع احكامها ٣٨سنة فانه يعزوها للمصادفة ولتلفيقات الشرطة ، ولقد ذكرني حمدي شاكر هذا بالقصة التي يرويها الجميع عن رجل كان يقول :انه ما من سرقة حدثت في المدينة إلا واتهمني الناس بها ظلما وعدوانأوحين يقومون بتفتيش البيوت يجدون المسروقات في احدى زوايا بيتي وذلك من باب المصادفة والاتفاق ليس إلا . . .!!

الدليل العملي الثاني

وثاني دليل عملي قام على صعوبة استدراجي السجين الى الاعتراف هو ان المساجين ليسوا سواء من ناحية المستوى وان لكل واحد طريقة خاصة إذا غفلها الباحث عسر عليه الحصول على النتيجة المطلوبة كما وقع لي ذلك مع السجين المدعو (طه خضير) الذي كان يلف ويدور ويحاذر من ذكرجرائمه ولو من طرف خفي ، أقول جرائمه لانه كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات لقتله صبياً يوم كان هو صبياً ، وحين انهى مدة حكمه بسجن الاحداث حكم عليه بثلاث سنوات بجريمة السرقة وهو الآن في السادسة والعشرين . وسألته بعد أن عجزت عن استدراجه بمختلف الاحاديث إلى الاعتراف لقد سألته :

— وكيف جرى قتلك لزميلك ؟

قال ــ : هذا شيء مضى . . أتريد أن احدثك عن الحشيش ؟

قلت ــ : وهل انت تستعمل الحشيش ؟

لقد وجم أول مرة والظاهر انه رأى ان يشغلني بقصة الحشيش عن الخوض في قصة القتل والسرقة فقال :

— قليلاً منه

ورأيتني اعاف قضية القتل والسرقة والاسباب التي أدت إلى ذلك وادخل انفي

في الحشيش مختاراً أو غير مختار فعدت أسأل منه :

— وبماذا تحس وانت تدخن الحشيش ؟

قال : – (وقد انطلقت اساريره وتفتحت نفسه) قال : تختلف الاحاسيس باختلاف حالة المدخن الآنية ، فلقد شعرت مرة ان الجدار يميل ويوشك ان ينطبق علي فصرخت وصرخت وظللت اخشى انطباق الجدار علي الى ان ذهب مفعول الحشيش ، والفيتني مرة اهبط بالبراشوت من أعالي الجو حتى إذا بلغت الارض عدت فطرت إلى السماء ثم هبطت وهكذا إلى ما شاء الله وحين ثاب إلي رشدي علمت من رفاقي انني كنت اصعد عتبة الردهة التي تعلو عن سطح الارض بنحو درجة واحدة ثم أنزل منها وأظل أصعد العتبة وانزل منها وانا اخال اني اطير في السماء واهبط بالبراشوت في حين لم أصعد إلا درجة واحدة ولم انزل إلا درجة واحدة .



السجين طه خضير

وبدت هنا على طه خضير حالة من حالات النشوة وتابع حديثه يقول :

— ولقد حضرت صديقاً لي وهو يصرخ النجدة... النجدة... فقد اصبحت فريسة للاسد وكان من الاضطراب والارتعاش بحالة لا توصف وكان يشير الى ثقب في السقف ويقول انه هنا . . . وفي هذا الغار الفاغر فمه . . . ثم سكت ، ثم صرخ من جديد وأومأ فاذا به جرذ من هذه الجرذان التي تسرح وتمرح بلا خوف ولا وجل وقد صورت له الحشيشة منه أسداً هصوراً وهو في دخول دائم إلى الغار وخروج مستمر منه . . .

* * *

وخشيت ان اجرف بتيار حشيشه اكثر فيفوتني من امره ما أريد فقلت له :

— وكم كانت سنك حين قدمت على قتل زميلك ؟

قال : ـ مالك وهذه الاسئلة ؟ . . ألم يعجبك حديث الحشيشة ؟

قلت : ـ بلى . . . ولـكن لم لا تحدثني عن جريمة القتل والسرقة ؟

قال : ـ دع هذا الآن وسأحدثك به فيما بعد ،

ثم أفاض بذكر الحشيش وانواعه والطولة البمبئية (نسبة إلى بمبي) والطولة (الزحلاوية) ، والطولة الايرانية ، ولون الحشيشة الحمراء ، والسوداء ، والصفراء ، وما تساوي الطوله من الـكولي ، و (الصجغ) وكيفية عمله بالدهن ، والمعجون منه وكيفية عجنه مع الهيل والقرنفل ، وقيمة كل (طولة) وامتياز سيكارتها على غيرها من سيكارة الحشيش .

وقضيت مع هذا السجين ساعات وهو يلف ويدور ولا يتحدث إلا عن الحشيش حتى قمت عنه مأيوساً ، وهنالك عرفت بعد التحقيق عنه ، انه معتوه أو شبه معتوه ، وانه ربما كان في نشوة من نشوات الحشيش في تلك الساعة ، وانه سبق له ان دخل دار الشفاء (دار المجانين) عدة مرات وقضى مرة فيها شهرين ثم اعيد الى السجن ، وبذلك اضعت من وقتي عدة ساعات بلا طائل .

في السجن

لم تـكن هذه اولى زيارة أقوم بها لسجن بغداد ، فقد سبق لي في كثير من المناسبات ان دخلت السجن زائراً وطفت به ، بل واكلت من مطبخه نزولاً على رغبة مدير السجون العام حينذاك الذي كان يلذه ان يسمع رأي زوار السجن في شؤون السجون من ملبس ، ومأكل ، ومشغل ، بل لقد كنت انا الذي كتبت في جريدتي (الهاتف) بوجوب حجز النساء المحكومات بدواعي الاخلال بالشرف

بعيداً عن النساء المحكومات بدواعي أخرى حين رأيت جميع النساء المحكومات يقمن في سجن واحد، ويسرحن في باحة واحدة فأخذت حكومة الوقت برأيي وفصلت اولئك عن هؤلاء ... بل لقد سبق لي أن زرت عدداً من الاصدقاء الذين حكم عليهم بالسجن وفي طليعتهم الصديق المرحوم احمد السوز، والزميل المرحوم نور الدين داود واطلت الجلوس عندهم وتنقلت عيناي مع المتنقلين من المساجين والسجانين الذاهبين والآيبين ولكني لم أدخل السجن متهيباً سابحاً في بحر من التأملات والأفكار غائصاً في أعماق التصورات والتحليلات الا هذا اليوم، وعلة ذلك كما يعرف القارىء هو اختلاف النية، وتباين الغرض من دخولي السجن لمحض الزيارة قبل هذا اليوم ودخولي فيه لمحض الدرس والاعتبار في هذا اليوم.

واحسست بالقشعريرة تدب في مفاصلي وانا اطوف بهذه القلاع الخمس، ادخل قلعة واخرج من أخرى، وادخل قسماً من هذه الأقسام المتعددة التي تضم القلعة واخرج منها مستعرضاً حال هؤلاء المساجين الذين افاجئهم وهم على غير انتظار لمثل هذه الزيارة فأراهم في مباذلهم والمس عن كثب بعض نزعاتهم أو نزواتهم إذا كانوا لا يزالون ذوى نزوات فلا اكاد اغادر هذا القسم إلا وقد اسلمني استعراض هذه الاحوال الى عالم من التفكير والفلسفة المعقدة والتفاسير التي لا تنتهي إلى حل أو نتيجة.



بعض السجناء في ألعابهم الرياضية

ومع ذلك فانه ليحلولي ان افاجىء دائماً هؤلاء المساجين واتبين شيئاً من احوالهم وهم في منتهى التحلل والحرية في عالمهم الذي هم فيه.

وحين اقف بعيداً اعالج محو هذه الصور من ذهني وإبعادها عن عيني تتيقظ أذناي على صلصلة السلاسل التي يرسف بها المساجين رسفاً هنا وهناك وقد ارتسمت على صورهم ضروب وألوان من النزعات والافكار والكآبة والندم أو اللامبالاة وعدم الاكتراث بما هم فيه من محنة على الاكثر ،

وقد يمر عليك البعض فتشعر بما يعاني من البؤس مرتسماً على محياه وهو لم يحمل من الحديد إلا السلسلة ذات الرقم (الواحد) التي لا يزيد وزنها على كيلو واحد ، حتى إذا اغرورقت عيناك بالدموع أو كادتا مر عليك من ينسيك ما أنت فيه من رقة لما تقرأ على وجهه من عبارة القسوة والصرامة ، وروح الشر وهو يرسف في السلسلة ذات الرقم (اثنين) أو ذات الرقم (ثلاثة) مما جرت العادة ان يعاقب بها المسجون من قبل مدير السجن حين يأتي عملا خارجاً على النظام والقانون فيلقى به (في سجن الرياضة) أو السجن المنفرد الذي خص بالمحكوم عليهم بالاعدام ، وتسمع منهم الكثير مما يثير رقتك مما هم فيه من ندم وأسف ، أو يخمد عاطفتك بما اتصفوا به من قساوة وضراوة واعتداء ، فاذا بك لا تكاد ترق وتحزن ، حتى تضحك وتستغرب ، أو تقسو وتشتد في القسوة .



المؤلف في غرفة مأمور السجن
يحضر مناقشة شكوى أحد المساجين

وسبب الرقة معروف ، كما ان سبب القسوة معروف أيضاً أما سبب الضحك والاستغراب ، فهو ان الانسان بمجموعه وهو حر غير مقيد مثله في مجموعه وهو مقيد غير حر ، وكما ينسج ويحبك مختلف الحيل لتنفيذ مآربه خارج السجن فانه ليحبكها وينسجها داخل السجن بمنأى عن عيون المساجين والحراس .

استخدام الاشارة

وكنت اعرف من الاشارات المضحكة اشارة حلوة جميلة كان يستعملها أحد أصدقائي من العلماء الأعلام الروحانيين فهو حين يريد أن يسكت شخصاً في مجلسه لوجود محظور هناك أو ولوج غرباء لا ينبغي ان يتحدث المتحدث امامهم بمثل ما كان يتحدث به اكتفي هـذا الصديق باشارة جميلة خفيفة لا تستلفت النظر ولا تجلب الانتباه وذلك بان يمد يده إلى لحيته فيمسك بها وبصوت مزيج بما يشبه الابتهال الى الله يهتف قائلا :

« يا مستعان يا الله »

وتطرق هذه الاشارة أذن المتحدث فيلوي بحديثه ذات اليمين أو الشمال ويخرجه بلباقة عن الموضوع الذي هو فيه أو يسكت فجأة على الأقل .

كنت اعرف لهذا الصديق هذه الاشارة الجميلة التي يحسن استعمالها وكنت اعتقد انها من المبتكرات التي لم يجاره فيها أحد ، حتى إذا دخلت السجن علمت ان هنالك انواعاً من هـذه الاشارات التي لا تقل روعة واثارة للضحك عن اشارة ذلك الصديق الروحاني الجليل .

بعض المساجين في مكتبة السجن

ولكي يهرب بعض المساجين من عيون رقابة السجن وهم يلعبون الورق أو يقومون باي شيء مما يمنعه نظام السجن يعمدون إلى استخدام عيون منهم تتابع حركة الحراس ومراقبي السجن حتى إذا

أحس هذا العين بدنو الحراس من ملعب المساجين ومكمنهم رفع رأسه إلى السماء وزفر وتأوه والقاها كلمة دعاء تثير الشفقة قائلاً :

« اللهم رحمتك وغفرانك »

فيعرف اللاعبون انهم على قاب قوسين أو ادنى من مراقبي السجن وحراسه وما اسرع ما يتحول مجلسهم ذاك إلى دعابة بريئة كأن يلوي احدهم اصابعه ويطوي بعضها على بعض ويطلب من الآخرين ان يقلدوه فيقلدوه كأنهم في لعبة من الالعاب التي تستلزم تقليد بعضهم بعضاً والتي يعمل فيها كل لاعب ما يعمل الآخر بدون ان يخطأ ثم يضحكون من المخطيء والحق انهم انما يضحكون من حراس السجن ومراقبيه الذين تموتهم هذه الحيل .

تصرف بليد

ولقد علمت فيما علمت ان سجيناً من أهل الريف سرق علبة معجون الاسنان من سجين آخر ولكنه لم يسرقها ليستعملها في غسل اسنانه أو ليبيعها وانما ظنها زبداً كما قال هو فنجح (الصمونة) من الخبز وافرغ كل المعجون في بطن الصمونة واكلها وما مرت عليه فترة حتى التهبت معدته وامعاؤه فعرفت قصته من لسانه وحمل الى المستشفى وبقي يومين يعالج حتى شفي ...!!

وعلمت ان (ابراهيم الأرمني) رأى ان يتظاهر بالخبال ليهجم على المساجين في مضاجعهم لكي يستحوذ على بعض مآكلهم ويعبث بما يريد ان يعبث بامتعة من يكره منهم فخلع ثيابه ودار على نفسه بضع دورات وصرخ فيهم وهو يتكلم بكلمات غير مفهومة مما يتخيلها الكثير بانها لغة الشياطين والجن وراح يقفز وينفخ ويرمي بعض الحاجات فيكسرها ويمد يده الى المآكل الشهية فيتناولها والمساجين في هرج ومرج فارين ومستغيثين ، وهو في هياج يتضاعف دقيقة فدقيقة حتى

خفت اليه شرطة السجن وبمعونة المساجين قبض عليه وهو يصيح فيهم بكلمات غريبة ولغة غير مفهومه ، وباصوات خشنة : «درديش .. الدريشان .. شخطيط . شخطاط شخطوط .. درديشان الدرديشون » وغير ذلك مما تؤيد وتؤكد جنونه ، خصوصاً وقد قلب عدداً من القدور من فوق اثا فيها ، وكسر عدداً من القناني والاواني ، واتلف كثيراً من الحاجات وأكل الكثير مما عثر عليه من (البقلاوة) والحلويات وهو يقفز هنا وهناك ويعدو باسرع من البرق من زاوية إلى زاوية . ولا ينفك ينفخ ويزفر وهو بين يدي الشرطة ويصيح : (الدرديش الدرديشون) والسجناء جميعاً في خوف ووجل من وثبته .

ويجيء مأمور السجن ، وبنظرة واحدة استطاع ان يعرف ان هذا الجنون مفتعل وان الرجل لا يبتغي من وراء ذلك إلا ان يأكل ويشرب مايلذ لنفسه وان يثأر وينتقم من كارهيه فامر الشرطة بان تطلق سبيله ولا تعبأ بهياجه ، ثم أمره بان يلبس ملابسه حالاً وان يتخلى بدون توان عما هو فيه من جنون ، وان يلحق به في مكتبه انتظاراً للقصاص ، وكان كما طلب المأمور .

لقد اسرع ابراهيم الى البسته فلبسها ثم عاد الى حالته الطبيعية هادئاً كأنه لم يكن الرجل الهائج المجنون قبل دقائق ثم مشى خلف مأمور السجن حتى إذا دخل المأمور الغرفة وهو من خلفه انكب ابراهيم

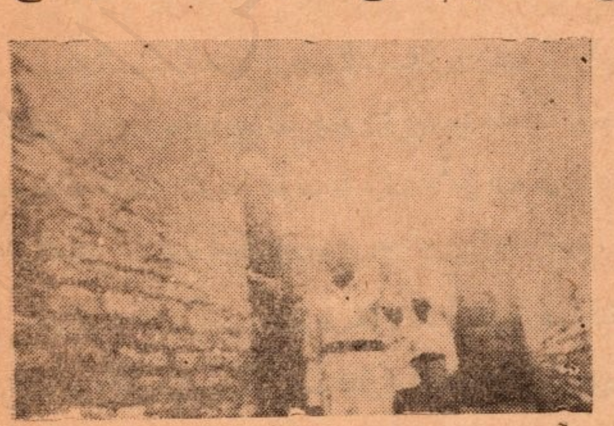


في مجلس سمر في السجن وقد اجتمع بعض السجناء حول السماور واستكانات الشاي

هناك على قدمي المأمور يلثمهما وهو يعترف بخطئه ويطلب الصفح . . . ! !

استنجد وندم

ومن أطرف ما وقع ان سجيناً كان يستعمل الحشيش في تكتم وحذر شديد من السجانين والمراقبين وكانت لديه بقية حشيش صرها في صرة وشدها مابين فخذيه عندملتقاهما خوفاً من تفتيشه أو من سطوة الحشاشين الآخرين عليه عند نومه ، ولقد احس بعض السجناء الحشاشين من زملائه بوجود مقدار من الحشيش عنده ولكنه لم يدر بمخبئه وكان في أشد اللهفة إلى جذبة واحدة من الحشيش فما كان يفكر إلا في دنو الليل وغفوة السجناء وفي ضمنهم زميله الحشاش الذي كان يخفي تلك البقية عندملتقى فخذيه ، وحين اطمأن السجين المتلهف من ركود الجميع دب الى زميله ولم يزل به يفتشه تفتيشاً دقيقاً حتى عثر على الصرة وهي مشدودة بخيط قوي رأى ان يجره ويقطعه ثم ليكن مايكون...وهكذا فعل ، فاذا بالسجين النائم ينتبه وقد بلغ منه الوجع على أثر شد الخيط وسحبه مبلغاً حمله على اطلاق الصيحة تلو الصيحة ، ففزع على أثرها السجناء وخف الحراس وانطلقوا إلى مصدر الصوت ، ولكن الصوت خمد ، ذلك لان السجين لم يستطع ان يقص عليهم ما وقع له خوفاً من العقاب ، ولم يستطع ان يقول لهم ان زميلاً له قد خطف تلك الخبيئة بتلك الصورة الفظيعة خوف التحقيق الذي سيوقع عدداً آخر من الحشاشين في العقاب ، فلم يجد ما يقوله إلا ان يدعي بانه قد رأى حلماً مزعجاً ، قال لقد رأى



جانب من السجن المنفرد

ما يشبه العفريت يدنو منه في الحلم فيلبسه البدلة الحمراء التي يلبسها المحكوم عليهم بالاعدام ثم يحمله فيلقي به في السجن المنفرد ، ثم يخرجه بعد ذلك إلى المشنقة فيشنقه وهو يصرخ ويستغيث . . . ! !

السجن المنفرد

اما السجن المنفرد فلا تتمالك نفسك إذا دخلته من أن تصاب برجة عصبية تجعلك ذاهلاً لمدة طويلة فهو عبارة عن غرف صغيرة يحجز فيها المحكوم عليهم بالاعدام منفردين مقيدي اليدين والرجلين بسلاسل حديدية انتظاراً لتبديل حكم الاعدام واكتسابه الدرجة القطعية وانتظار موعد التنفيذ ، ويحجز فيه الذين تعجز معهم العقوبة بجميع الوانها من ان تلين لهم طبعاً ، أو تلطف مزاجاً يريح المساجين الآخرين من اعتداءاتهم المستمرة .

هنالك وأنت امام هذا السجن المنفرد تنسى ما كنت ترى أو كنت تسمع مما كان يضحكك أو كان يقسي قلبك أو يثير حنقك على الجريمة والمجرمين .

انك تقف أمام هذه الوجوه الشاحبة في الغالب ، والعيون الغائرة ، فتسمع باذنيك دقات هذه القلوب السريعة وترى بعينيك هذا الرجيف البادي على الشفاه المعرب عن انتظار الموت بخوف ما عرف الأمل اليه طريقاً ذات يوم - ممن ضم هذا السجن المنفرد - لكي يعرف طريقه اليوم إلى نفوسهم .

ولربما سألت وانت تستعرض هؤلاء ، أحقاً ان هذا النفس الصاعد والنازل لن يصعد ولن ينزل غداً أو بعد غد ؟ أحقاً ان هذه الصورة المؤلفة من لحم ودم وأعصاب لن يبقى منها غداً أو بعد غد إلا صورة من خيال لن يلبث قليلاً إلا وقد تلاشى كأن لم يكن ذات يوم من الواقع في شيء ؟

ولربما سألت : ماذا يقول هذا المحكوم عليه وقد انقطع أمله بالحياة ؟ ماذا يقول وهو يخطو أو يزحف في غرفته المنفردة ، أينام كما ينام الآخرون ؟ أيأكل كما يأكل الباقون ؟ أيفكر بما سيواجهه الغد به من خنق الانفاس وبعد الغد من عالمه المجهول ؟

قد تسأل نفسك كثيراً من هذه الاسئلة وأشباهها وقد تجيبك النفس بكثير من الاجوبة ولكن الأجوبة لم تكن في يوم ما باعثة فيك روح الاستقرار مادمت تنظر إلى هؤلاء مثل هذه النظرة المتغلغلة إلى أعماق نفوسهم ، ولربما ذرفت من أجل ذلك أغلى الدموع ولربما استنفدت آخر دمعة من مآقيك وتظل تذيب نفسك الحسرات حزناً حتى تخرج من السجن المنفرد .

انتظار القتل

لقد قيل (ان الانتظار أشد من القتل) فقيل ان المقصود بالانتظار هنا ليس مجرد الانتظار لموعد أو لأمر وان كان ذا بال وكان ذا أهمية ، وإنما المقصود من الكلمة هو (انتظار القتل) ، ولم اسمع وصفاً عجزت عن ضبطه ، ولا قصة أخفقت في نقلها بالطريقة التي سمعتها ، أو بما تركت من أثر على نفسي كوصف السجين محمد الشيخ داود الحمداني للأيام التي قضاها في السجن المنفرد وهو ينتظر تصديق الحكم باعدامه .

ومحمد الشيخ داود الحمداني من سكان قصبة (حمام علي) بجوار الموصل ومن اسرة آل حمدان التأريخية العريقة ، وابن لشيخ قبيلة ، وقد أتم دراسته الثانوية وحصل على شهادة البكالوريا ، وكان لهذه الاسرة عداء بسبب حدود المقاطعة مع بعض جيرانهم أدى إلى أن يأتمر محمد الشيخ داود بخصمه ، ويحمل خادمه على قتله فذبحه هذا بخنجره من الوريد إلى الوريد فاعتبره القضاء محرضاً وشريكاً للقاتل

وحكم عليهما بالاعدام وزج محمد في السجن مع خادمه انتظاراً لتصديق الحكم من لدن محكمة التميز .

وقال لي محمد الشيخ داود :

. . . وكان في السجن الانفرادي يوم دخلته أنا وخادمي بضعة انفار ينتظرون هم الآخرون اكتساب الحكم الدرجة القطعية لتنفيذ حكم الاعدام فيهم ، فكان وجود هذا النفر مخففاً بعض الشيء من الهلع والرعب والخوف الذي يحل بالمرء ساعة دخوله هذه الحجر المنفردة الضيقة وساعة يلبسونه البدلة الحمراء بعد ان يصفدوا يديه ورجليه بالحديد خشية محاولته الانتحار بأية طريقة كانت أو خشية أن يهيج ، وإذا ما هاج اليائس صعب ان يقف في وجه هياجه شيء ، اما المثل المشهور على ألسنة الناس (بان الحشر مع الناس عيد) فليس له في هذا المكان دخل أو شبه دخل بالمرة ، وكلما يبدو هنا من هذا الحشر هو أن يشعر المنتظرون لمصائرهم بشيء أخف بعض الخفة مما لو كانوا وحدهم المنتظرين للشنق ولم يكن معهم آخرون .



أول محاولة لتنفيذ حكم الاعدام بخانم اللباس

ومر يومان علي في السجن المنفرد - كما قال محمد - وانا كما ذكرت لك حتى إذا أبلغ أحد المحكومين من أولئك المنتظرين بموعد تنفيذ الحكم ، ورأيته يمشي إلى الموت بنفسه ليغيب بعد دقائق معدودة كما تغيب الشمس في البحر شيئاً فشيئاً حتى تتلاشى انوارها فيصبح النهار في بطن التأريخ فلا شيء منه ولا أثر . . . هنالك . . . هنالك . . . انني لا استطيع ان اصف لك ما هنالك . . .

لقد كنت أضع رأسي على الأرض محاولاً ان أنام ولكني سرعان ما كنت اهرب من هذه المحاولة ، ذلك لأن شبح الموت كان ماثلاً أمام عيني بابشع صورة تستطيع ان تتصورها ، ولكني لم اكن أحسن حالاً حين اهب وحين افتح عيني جيداً ، إذا اقوم امشي راسفاً بالقيود طولا وعرضاً في تلك الحجرة الضيقة الرهيبة ولكني لم أجدني فعلت شيئاً لطرد هذه الأفكار التي لا تشرق ولا تغرب ولا تصعد ولا تهبط وإنما هي سلسلة واحدة يتصل أحد رأسيها برقبتي ويتصل الآخر بالمشنقة فلا أطيق لها قطعاً ولا زحزحة عن هذه الرقبة وتلك المشنقة ، وتغيب الشهية عن الطعام فلا أدري أين تغيب ، وإذا بي لا أمد يدي إلى اللقمة أو اني لا أكاد اضعها في فمي حتى أذكر أني سأموت واني سأمشي إلى الموت بنفسي كما مشى السجين



بعد ان يلبس الثوب الخاص بالاعدام

الذي اعدم من قبل ، فأرمي باللقمة عازفاً عن الطعام واقوم ، ولكني أقوم لأقعد من جديد ، واقعد لأقوم ، وقد يكلمني السجانون فلا افهم الذي يقولون ، ان روحي شاردة ، وان افكاري كلها قد صارت سلسلة ليس لها بافكار الانسان العادي أو شبه العادي على الاقل من صلة أو نسب .....!!

ولا اسمع صوت خفق الحذاء يقرب من حجرتي حتى اعتقد بان المبلغ قد جاء يبلغني بموعد تنفيذ الاعدام ، ولم يكن ذلك مرة واحدة ، لأنني اسمع في اليوم خمسين صوتاً او اكثر بين معالجة باب السجن بالفتح والاغلاق ، وبين خروج السجين من حجرته

الى خلائه ، وبين اصوات احذية السجانين ، فاموت في كل يوم خمسين مرة ان لم يكن مائة على مرة على أبشع الصور .



في طريقه الى غرفة الاعدام بعد لبسه الكيس الخاص

وانا رجل نشأت جلداً غير هياب وغير وجل ، ولعلك وجدتني كذلك ، وانت لا تعلم بما كنت اعاني في الداخل ، وبما كان يمر على ذهني من صور مفزعة مهولة .

وأردف محمد قائلاً : ـ وقضيت أياماً على هذا النحو من العذاب غير الموصوف حتى جاء الحكم بتنفيذ عقوبة الاعدام بخادمنا وبتبديل اعدامي بالسجن المؤبد .

أتظن ان المسألة قد انتهت ؟ لا والله لم تنته... لقد ظللت اكثر من ثلاثة أسابيع وانا احسب ان الأمر هزل في هزل وانهم لم يخرجوني من الحبس المنفرد إلا ليسخروا بي ، ولقد ظللت مدة طويلة وانا لا أنام الليل إلا غراراً



في آخر مرحلة من مراحل تنفيذ الاعدام وهم يعالجون شد الحبل في عنقه

ولا أ كل إلا قليلاً ، وقد خف وزني ، وخف لساني ، وخف عقلي ، فقد شعرت باني اتكلم كثيراً !! ولربما كنت اضحك كثيراً !! وليس هنالك من مقتضى للكلام الكثير ولا مقتضى للضحك الكثير ولكنها بقية من بقايا حالة الانتظار للقتل ، أبعدك الله عنها . . آه .

واذا نسيت

وإذا نسيت فلا انسى قصة تلك السجينة التي كان قد حكم عليها بالسجن ثلاث سنوات لضلالها وهروبها من زوجها مع عشيقها فجاءها اخوها يزورها في سجن النساء وقد حمل لها بعض الفواكه في زنبيل صغير فتشه حراس السجن حسب العادة وفتشوا زنبيله فلم يجدوا عنده ما يخشى منه من السلاح أو الأدوات . ولقد احسنت اخته استقباله ، وأحسن هو ملاقاتها ، ثم طلب منها ان تأتيه بكأس من الماء بعد دقائق من جلوسه عندها في قاعة المواجهة ، وحين قامت فتق الرجل قاعدة الزنبيل واخرج من وراء الخرق المخيطة بالزنبيل على سبيل التقوية كما يفعل الجميع خنجراً حاداً كان قد دسه هناك ثم أخفاه تحت عباءته ، وعند عودتها اليه بالماء قام اليها بخنجره ذاك ولا تسل عما وقع ، اما المرأة فقد تحولت كلها الى ضراعة وتوسل وتقبيل يد ورجل ، وكانت عيناها تتبع حركات يدي أخيها وهي مستسلمة ، باكية ، طالبة المعذرة ، مقسمة بانها لن تعود الى فعلتها الشائنة ، وكان الوجه منها قد استحال إلى صفحة لا تقرأ فيها شيئاً غير الخوف والذعر من الموت وطلب الرحمة .

انها كانت تشعر بان الموت منها قد اصبح على قاب قوسين أو أدنى فتحولت كلها إلى روح ناطقة ليس ابلغ منها ولا اقدر على تصوير الخوف والتماس العفو شيء ، وكانت الفرصة ضيقة وكان الوقت محدوداً حين راح أخوها يوالي طعناته ، ولكن

اللسان وقسمات الوجه ، ولون العينين وارتجاف اليدين منها كانت كلها لغة فصيحة تقول : أنقذني من الموت وخذ ما تريد .

وأسلمت روحها ، وطواها الموت وهي على تلك الحالة من الخوف .

واذا خرجت

فاذا خرجت من السجن ومن السجن المنفرد خاصة وغاب عن عينيك ذلك المنظر المؤلم ركدت العاطفة بعض الركود وثاب اليك رشدك بعض الثؤوب وحلت محل تلك الاسئلة اسئلة أخرى ، وجاءت الاجوبة تجفف لك الدموع وتوجه فلسفتك توجيهاً آخر فتشرع بايراد السؤال تلو السؤال على نفسك :

— ترى ما الذي انت فاعل لو تصورت هذا المجرم القاتل وهو يجهز على روح بريئة ليزهقها ؟

من يدريك ان لا تكون بعض تلك النفوس التي أزهقت ارواحها على ايدي هؤلاء كانت قد توسلت وترامت على أقدام هؤلاء المجرمين ليعفوا عنها فلم يكن الجواب إلا قتلها وإلا التمثيل بها ؟

ومن يدري ان لا يكون لأولئك المقتولين أهل وان لا يكون لهم أولاد ، وقد زرع هؤلاء المجرمون في قلوبهم آلاماً لاتجتث ، وكآبة لا تذوى حين هصروا ارواحهم هصراً .

ان الذي يرى الأمور من جهة واحدة يعيش - على الغالب - عيشة مليئة بالعذاب ، انه يبكي على الجاني وعلى المجنى عليه معاً ، والذي يستوي عنده الجاني والبريء لا يحسن وضع الامور في مواضعها .

من عجائب الشذوذ

ولقد علمت فيما علمت ان بعض هؤلاء الذين ينتظرهم الموت كانوا من الشذوذ - وليس من حيث ضبط النفس - ما حير عقول مشاهديهم فقد كانوا يفكرون ويتحدثون

ويأكلون كما يفكر ويتحدث ويأكل الناس في الأوقات الاعتيادية .

ومن غرائب هؤلاء الشواذ ان مجرماً كان قد حكم عليه بالاعدام ، وحين أبلغ بموعد التنفيذ طلب ان تهيء له صفيحة تنك ومغن عينه بالذات وحين جيء بالصفيحة والمغني وبدأ الدق على الصفيحة والغناء رقص المجرم رقصاً حماسياً عجيباً حتى إذا اكتفى تعشى ملء بطنه ثم نام ملء عينيه ، وحين حان موعد تنفيذ اعدامه وجدانه لا يزال نائماً ، فاوقظ من نومه العميق ، وصعد خشبة المشنقة وهو بحالة اعتيادية كما لو كان يصعد سلماً من سلالم الملاهي ! !

المرض الذي لا شفاء له

وتطلع علينا الصحف بعض الاحيان باخبار صدور الارادة الملكية باعفاء البقية الباقية من مدة احكام بعض المجرمين لابتلائهم بامراض لا شفاء لها فنعبر على تلك الاخبار كما نعبر على التافه من الامور ذلك لأن ما نقرؤه ونسمعه غير الذي نراه ونشهده ولقد رأيت من هؤلاء الذين أوصت اللجنة الطبية بالعفو عنهم شخصين بمستشفى السجون كان احدهما فيما يشبه الغيبوبة . لا يكاد يعي حتى يغيب ، وقد استرعت انتباهي حالة الثاني فمشيت ولم أطل الوقوف عند الاول ، فقد كان الثاني جالساً في سريره وكانت اوداجه قد انتفخت وبدأ الورم يستحوذ على وجهه واطرافه ، واستحال لونه إلى العصفر وأشد منه اصفراراً واتسعت حدقتاه وبدأت عيناه تدوران حيث ادور ، وكان يئن ، وكانت انته ذات معنى يشعر به حتى الاطفال ، لقد كان يستنجد في انته ، وكان يسترحم في دورة عينيه وكأنه يطلب من المار به ان يراه ويرى أي عذاب يعاني ، وهو يقطع كل أنتين واكثر بحركة من لسانه الذي يخرجه ليبل به شفتيه ولكن اللسان منه كان كالخشبة بل كالمبرد وأشد منه خشونة ويبوسة .

ولم أدر منذ كم وهو يتعذب على هذا النحو ، وإلى كم سيظل في هذا العذاب

ولكن الذي كنت أعلمه وأنا أكاد أذوب رقة على حاله وتألماً لآلامه ، كنت أعلم انه يؤدي في هذا الحال شيئاً من ثمن الجريمة التي ارتكبها ، وكل واحد يؤديها في صورة من الصور .

وبعد

وبعد فهذه مجموعة من اعترافات المساجين الذين وثقوا بي ففتحوا لي كل صدورهم ، أو باباً من ابوابها ، أو نافذة لا يمكن الاطلال إلا على جانب واحد منها ، وانا مدين إلى تصرفي في هذا التوفيق وإلى سلوكي اكثر من قلمي وأدبي ، والى هذا التصرف والسلوك يعود احتفاف السجناء بمختلف طبقاتهم بي ، واحتفاؤهم بادبي هذا الاحتفاء الذي ظهر في الوان متعددة من التكريم والتبجيل .



السجناء يقيمون حفلة غداء للمؤلف داخل السجن بمناسبة انتهائه من وضع كتابه

وأنا لا أزعم ان الذي يقرؤه القارىء من اعترافات المساجين هنا هو الحق بعينه وليس بعده من شيء ، بل هذا هو نصف الحق ما دمنا لم نطلع على أقوال الجهة الثانية التي يخصها الموضوع اما العبرة التي نريد ان نستخلصها ، والاصلاح الذي نريد ان نترسمه فان المجال واسع في ذلك وليس من حائل يحول بيننا وبين ماينبغي ان نعمل .

ولقد قمت بتصنيف الجريمة حسب وقوعها غالباً عندنا ، اما الجرائم الشاذة ، والجرائم الغريبة فقد فكرت ان افرد لها كتاباً خاصاً حين يتسنى لي ان ازور بقية

السجون العراقية للبحث عن تلك الجرائم الغريبة الشاذة وضمها الى ما جمعت من سجن بغداد .

واني ادعو الآن الجميع من المواطنين ان يقرؤا هذا الكتاب وان يقرؤوه اصدقاءهم ومعارفهم ، وان لا يجعلوا بيتاً يخلو من وجوده فيه ، لا لأن ذلك من كتبي ومن انتاجي الادبي ، فلقد اخرجت لي المطابع نحو اثني عشر مؤلفاً طبع اغلبها طبعتين ولم يرني احد دعوت الى قراءة كتبي أو حثثت على قراءتها كما ادعو الى هذا الكتاب واحث على قراءته لان هذا الكتاب يحوي من العظة والعبرة ما ينبغي ان نقرأه لجميع مواطنينا بقصد الاعتبار ، والحذر ، والتوقي ، قبل قراءته بقصد اللذة ، والمتعة ، والتسلية .

انه صورة للسان حين يزل ، وللقدم حين تعثر ، وللنفس حين تضل ، فلنتوق زلة اللسان ، وعثرة القدم ، وضلال النفس بوضعنا قصص هؤلاء الذين (كنت معهم في السجن) مذكرين انفسنا حين نقرأ هذا الكتاب بان المساجين ليسوا إلا أبناء هذا المجتمع ولم يكتب عليهم ما كتب إلا لأنهم عثروا . فحذار من العثار ؟

بغداد

جعفر الخليلي

انتهى من طبعه ببغداد في

١-١-١٩٥٦



الغضب في معرض الجريمة

لعل الجريمة الواقعة بباعث الغضب تشكل اكبر نسبة بين الجرائم الأخرى في العراق فيكفي ان تحمل الكلمة التافهة أو اتيان العمل التافه على ان يستل البعض مديته ، أو يشهر مسدسه أو يرفع أي شيء آخر لينزل به على الطرف المقابل فيجعله فى بضع دقائق أو أقل من ذلك جثة هامدة ، وخبراً من اخبار كان ، ولا يبعد ان تكون نسبة الجرائم من هذا النوع في العراق اكثر مما هي في الاقطار المجاورة بكثير وهي حال تفرض على المسؤولين وجوب الاستعانة بالخبراء لوضع الاسس اللازمة ، واتخاذ التدابير العلمية لتطبيق القوانين الاجتماعية التي تحد من هذا الغضب ، وتلطف الامزجة ، وتغير السلوك ، سواء من طريق المدارس ، أو السينمات ، أو دور التمثيل ، والجمعيات ، أو سير الناس في معاملاتهم ، وبيعهم وشرائهم ، لكيلا نعود فنسمع ان شخصاً قتل شخصاً لان ملابسه قد تلوثت (بالكوكا كولا) بسبب القتيل كما وقع ، او ان شخصاً قتل شخصاً عمداً لمجرد محاولة القتيل الحيلولة بين القاتل وخصمه وغير ذلك من التوافه .

فلقد اثبت البحث ان مرض الثورة والجموح الآيل إلى الجريمة في العراق يكاد يستفحل ، وان نسبة هذا النوع من الجرائم ترتفع في أيام الاعياد وفي اثناء الازدحام بسبب عثرة بسيطة أو اصطدام غير مقصود ، أو تزاحم على ركوب

السيارة ، أو بسبب سكرة خفيفة . أو أشياء قد تكون من التفاهة بحيث لا تذكر ومع ذلك فانها تؤدي إلى جرائم غاية في الفظاعة والبشاعة .

ويخطأ الذين يحسبون ان العلة الكبرى لحدوث جرائم الغضب هو الطقس وحرارة الجو والزوابع الرملية وغير ذلك من التقلبات الطبيعية التي يعاني منها العراق شيئاً غير قليل في الصيف فيعزون اليها كل هذا الجموح ، وثورة النفوس ، والهياج لأقل سبب من الاسباب ، ولا يحسبون ان ترك هذا العدد من الناس يحمل المدى ، والسكاكين ، والخناجر ، والمسدسات في الحواضر والاسراف في منح الاجازات بحمل الاسلحة داخل المدن .

ان بلدان الخليج والكويت وغيرها من الاقطار تعاني من التقلبات الجوية والعواصف أشد وأشد مما يعاني العراق ، ولكن الجرائم الواقعة بداعي الغضب في تلك الجهات أقل بكثير مما يقع هنا .

والسبب ليس في رجحان الثقافة والتربية والتهذيب في تلك الاقطار وإنما هو في تضييق المجال لحدوث الجريمة هناك ، إذ ليس هنالك غالباً بين المدنيين من الشبان وغير الشبان من يحمل السكين ، والمسدس ، والخناجر .

وليس منا من لم يشاهد عرساً أو ختاناً عند الكثير داخل العاصمة وفي المدن الكبيرة ولم يحمل المشاركون في تلك الافراح الخناجر والمسدسات ملوحين بها ومطلقين منها الرصاص ، فكيف اذن لا تقع هذه الجرائم ، اننا لو جردنا حملة كبيرة على مرتادي الحانات والمقاهي وسائر المحلات العامة من الشبان وجردناهم من السكاكين ثم احجمنا عن منح الاجازات بحمل السلاح إلا في حالات اضطرارية لقلت الجرائم قلة قد لا يصدقها القارىء وأني مورد هنا اعتراف بعض الذين اجرموا وقتلوا لامور لا تستحق الجريمة ولا القتل بل لم يكن يقع لهم شيء من هذا أو بعض شيء لو لم يكونوا قد حملوا السلاح ، وفي ضمن هذه الجرائم كان عدد

غير قليل قد ارتكب جريمته بالسلاح المجاز بحمله من قبل السلطات ! ! ويستطيع القارىء ان يرى الآن من هذه الامثلة التي اسوقها هنا للجرائم الواقعة بداعي الغضب : كم هي تافهة هذه الاسباب التي تثير الغضب فتحدث الجرائم . وكم هو سهل معالجة مثل هذه الامور بالتقنين وبالتطبيق .

* * *

عبدالمنعم ربيع

— ١ —



السجين عبدالمنعم ربيع

هذا شاب وسيم الوجه حلو التقاطيع متزن في حديثه وخطواته ، وسلوكه ، وقد كسب في مدة وجيزة ثقة مأموري السجن والمساجين فلم يمر بعض زمن حتى حصل على درجتين ، والدرجة هي منحة تنزيل يوم واحد من المحكومية لكل شهر من مدة الحكم ، يمنحها مدير السجن لكل سجين تثبت جدارته من حيث السلوك بهذه الدرجة ، ويخول النظام مدير السجن ان يمنح درجتين لا اكثر وقد حصل عبدالمنعم ربيع على هاتين الدرجتين اللتين تمنحانه حق تنزيل ٣٤ يوماً عن كل سنة من مدة محكوميته ، ولفرط ثقة السجن به صار مراقباً للقلعة الرابعة .

وعبدالمنعم ربيع هذا قد دخل السجن محكوماً عليه بعشر سنوات فقضى في السجن اربع سنوات منها وهو شاب في السادسة والعشرين من العمر ،

جلس إلي يحدثني بكل أدب ورزانة قائلاً انه سيقص علي القصة كما وقعت ، دون ان يخفي منها شيئاً قال : اضطررت ان اترك المدرسة وانا لم اتم الدراسة الابتدائية بعد ، ذلك لان حاجتي للعمل بعد وفاة ابي اصبحت ماسة وشديدة .

وكان لي أخ اكبر مني يعمل في البناء فجرني اليه وقد بدأ ينجح في عمله حتى التزم بناء الدور لشركة النفط في (الفاو) وكان الربح مغرياً بمواصلة النشاط فنشطنا كثيراً في عملنا حتى استلفت نشاطنا واخلاصنا في عملنا الانظار واصبح المراقبون على الأبنية في غاية الاطمئنان من عملنا وابتعادنا عن الغش أو الاحتيال كذلك كان حال عمالنا الذين كنا نستخدمهم في البناء معنا بحكم التزامنا ، انهم كانوا في تمام الاطمئنان منا ومن معاملتنا اياهم .

وكان بين موظفي الشركة التي نعمل لها موظف انكليزي يشرف على كل تلك الاعمال هناك ، رأى ذات يوم خاتماً ذهبياً في اصبعي من عمل الصابئة فكلفني ان اوصي له بصياغة خاتم مثله ، وحين جيء بالخاتم من الصايغ وحاول دفع ثمنه ابيت تسلم المبلغ ، فأصر كثيراً وأصررت كثيراً وافهمته بان قيمة الخاتم لا تزيد على بضعة دنانير وانه ليس بالأمر المهم الذي يفكر فيه .

ويبدو ان الرجل قد عز عليه ان لا يقابل هذا الفضل بفضل مثله فما مرت أيام حتى ناداني وقال لي ان هذه الاكياس التي يرد السمنت مغلفاً بها ، والتي اعتدنا ان نعطيها لعدد من طلابها قد حصرناها بك وباستطاعتك منذ الآن ان تتصرف بها وان تبيعها بالصورة التي تريد ، وكان لدى الشركة حراس ، وكان لهؤلاء الحراس رئيس جاءني ذات يوم يطلب مني ان اخصه بشراء هذه الاكياس فاعتذرته لاني كنت قد بعتها قبل ذلك بساعات على امرأة ايم معوزة ، ولا أنكر ان الرجل قد عالج الأمر معي بشتى الطرق ليحملني على صرف النظر عن بيعها على المرأة الايم التي اشترتها لتفيد منها هي الأخرى في البيع ، فأبيت ، وكنت أحسب ان الأمر من التفاهة بحيث لا يستوجب شيئاً من الانزعاج ولكني كنت غراً ولم

اكن اعرف ان القواعدوالمقاييس معدومة ، وان على سلوك الشخص وحده تتوقف النتائج ،ولو كنت اعلم بذلك لقسمت على الأقل الاكياس بين المرأة ورئيس الحراس أو لأبطلت بيعي الأول ولدفعت بهذه الاكياس إلى رئيس الحراس ذلك لأنني قد احتاج الى رئيس الحراس اكثر من غيره ، أو هكذا تقتضي المصلحة ، أما تلك المرأة فلم احتجها ولن احتاجها . أجل انني كنت اجهل يومذاك ان على سلوك الانسان وليس على النظام ، والحق ، والانصاف ، يتوقف النجاح ، فراح الرجل مني غاضباً ، ولم احس بهذا الغضب ، أو قل اني لم اعبأ بنتائجه ، وجاء اليوم الذي ندفع فيه اجور العمال فتقدم رئيس الحراس يطلب ان تدفع له اجور عامل غائب قال انه من أقربائه وان من حقه تسلم أجوره نيابة عنه ، فأبيت ان ادفع اجور العامل المذكور اليه ، وطلبت ان يحضر العامل ويوقع بمقتضى القواعد المتبعة ليحق له تسلم المبلغ المطلوب ، ومرة أخرى كان الاصلح لي ان اغض النظر عن المقتضيات والانظمة والقواعد ، وان اعتمد العرف في الاعمال الخاصة والعامة ولكني كنت شاباً كما قدمت لك، وكنت احسب ان النظام ، والقوانين ، والاصول ، والمحافظة عليها هي كل شيء في حياة الانسان واعماله الخاصة والعامة، لذلك اصررت على ان لا تدفع الاجور لغير صاحبها ، واصر رئيس الحراس على ان يأخذها ويفقأ عيني .

وكنت اعتقد ان ليس من حقه ان يقول هذا وان يهينني بمثل هذه الاهانة ، وان من حقي ان ارد الاهانة له ، فرددتها مضاعفة ، وتراشقنا بالشتائم فهددني قائلاً :

« سترى إذا ما جن الليل » وماذا ترى شاباً لم يشعر بالضيم من قبل ولم يصادف له ان اهين ولا مرة في العمر ؟ ما ذا تراه فاعلا هنا غير ان يقول له :

« اذا استطعت فافعل ، فانت احقر من ان تستطيع ان تفعل شيئاً » وهذا ما قلته له بدون أقل زيادة ونقصان ثم حال بيني وبينه العمال ، وحين علم أخي

بذلك لامني ووبخني ، وقال لي اننا هنا غرباء فنحن من أهل بغداد وجميع العمال هنا من البصرة فلا ينبغي ان نخلق لنا شيئاً من المشا كل .

وعلى اني كنت موقناً باني لم ادن الى اية مشكلة فضلا عن كوني اخلقها فقد أوصيت نفسي بان اكون لطيفاً مرناً لأبعد أخي عن هذه العقبة ، ولأهيء له جواً مريحاً ، فكان أول عمل عملته هو اني مددت يدي إلى مسدسي المسموح لي بنقله فرميت به جانباً . وحين جن الليل وقمت من المقهى قاصداً محل سكناي أحسست بيد تمتد من خلفي فتقبض على رقبة قميصي من الخلف وتشد به شداً ولم أكن اتصور ذلك إلا مداعبة من صديق ، إذ لم اكن احتمل ان يفعل رئيس الحراس مثل هذا ، فقد كنت اظن ان كل شيء قد انتهى : وان ليس هنالك ما يستوجب كل هذه الملاحقة ، ولكني ما كدت التفت إلى الخلف ـ وكنت قد أوشكت على الاختناق ـ إلا وقد رأيت رئيس الحراس وقد اشرع هراوته فوق رأسي ولو لم امسك بها بسرعة لهوى بها على رأسي فهشمه ، وظللت ممسكاً بها ونحن في اشتباك وقد أحس بانني أشد قوة منه فما كدت انتزع الهراوة من يده حتى استنجد بأخيه الذي كان خلفه ، واقسم انني ـ وانا مشتبك في نزاعي ـ كنت واعياً كل الوعي لنصيحة أخي : بان ابتعد جهدي عن احداث المشاكل فلم أحس إلا وقد هوى أخوه بضربة من هراوته على رأسي فراح الدم يتدفق كالنافورة .

(وهنا فج شعر رأسه فأراني الأثر الواضح لتلك الضربة القاسية) . وقال : ومع اني قد غرقت بدمي وكنت استطيع أن انزل بالهراوة التي انتزعتها من يد رئيس الحراس على رأسه ولكني لم أفعل شيئاً غير ما كنت أدافع بها ضد الهجوم .

وحين ذاك كان الخبر قد وصل إلى أخي فجاء مسرعاً ، وجاء ليمسك برئيس الحراس وأخيه ليدفع بهما إلى الوراء في زجر كان اقرب إلى الهجوم منه الى

الاحتجاج ، وفي تلك الأثناء كان قدوصل قريب لرئيس الحراس ، وكان أول عمل قام به هذا القريب ان رفع يده إلى أخي فنزل بها على وجهه بلطمة القت بلباس رأسه بعيداً .

ولا اكتمك فاني لم اعد هنا أرى شيئاً بعيني فقد تملكتني سورة لا عهد لي بها من الغضب وشعرت بان كرامتي قد ديست فلم أحس إلا وأنا انزل على رأس رئيس الحراس بهراوته التي كنت ممسكاً بها بضربة فورية وإذا به يسقط على الأرض ، ثم تصل الشرطة وتمر الأيام فيموت رئيس الحراس ، ويتألف جميع الشهود من أقوامه ، ويصدر الحكم علي بالسجن عشر سنوات ، ولم يكن هنالك من سبب إلا تلك التوافه التي سردتها عليك .

كاظم فالح

— ٢ —

وهذا كاظم فالح تقابله فتوحي الفراسة بأنك تقابل شخصاً لطيفاً ، وهوصاحب كراج للسيارات بجانب الكرخ وفي الأربعين من العمر ولم تقع له طول هذه السنين من سوابق شائنة أو دعاوي أو شكاوي كما يقول هو .

وقصة كاظم فالح هي الأخرى نتيجة غضب لا يستوجب ان يحدث جريمة ولكنه احدثها ، وبالاضافة إلى هذه النتيجة المؤسفة فقد جاءت قصة كاظم تحفز القضاء وتفرض عليه وجوب توسيع دائرة الدراسة للظروف المحيطة بالجرائم اكثر مما تتضمنه المواد القانونية سواء كان كاظم هذا صادقاً في اعترافه أم كاذباً ذلك لأن على أسباب الجرائم تتوقف الاحكام الصحيحة .

وكلما كانت الاسباب واضحة ، وكانت العوامل التي تؤول إلى الجريمة مكشوفة ، بل وكلما كان الحكام محيطين بظروف القضية وقادرين على استنتاج الواقع وتقدير الظروف كانت الاحكام من الدقة والاصابة بحيث لا يفوتها فائت ، ولا يشرد منها شارد . ولذلك يقتضي ان تكون للقضاة ذهنية واسعة ، وثقافة عالية ، وقوة استنتاج واستنباط تميز بين ظروف المجرم باقصى حدود التمييز وتجعله يصدر الحكم كما لو كانت الحادثة قد مثلت بمشهد منه وبمعرفة كاملة بطبائع الناس ، وبيقينه التام بما كان يكون عليه اكثرية الناس لو وقعت لهم تلك الحادثة في تلك الظروف التي وقعت للمجرم .

* * *

وجلس كاظم فالح يحدثني قائلاً :

تستطيع ان تسأل عنى كل من يعرفني عما إذا كان قد رآني ولو لساعة عابساً أو هائجاً أو داخلا في جدل أو نزاع ؟ ولكنها (القسمة) أوماتشاء فسمها هي التي كتبت علي هذا المصير .



السجين كاظم فالح

انا صاحب كراج لسيارات الاجرة ولسيارات النقل بجانب الكرخ ببغداد وحالتي المالية لابأس بها وقديعتبرني بعض من يعرفني انني من اهل النخوة لذلك كثيراً ما رجع إلي البعض مستديناً مبلغاً أو مستعيناً بي على قضاء حاجة أقدر عليها ، ولقد كان لي صديق يعمل هو الآخر بالسيارات وكانت بيني وبينه

مودة وقد احتاج ذات مرة إلى مائة دينار ليدفعها بقية لثمن سيارة اشتراها فدفعت له المبلغ بدون توان ، ومرت على ذلك شهور فلم يف دينه ، فبعثت اليه بأحد عمالي مطالباً فلم يكن منه إلا الوعد بالوفاء ثم لجأ إلى التسويف غداً وبعد غد ، وغداً وبعد غد ، حتى مرت شهور أخرى ، ورأيت اخيراً ان اجعل لهذا التسويف حداً فجئته اطلب منه ان يعين الموعد الصحيح الذي يرد به إلي ديني فالتفت إلي وبشيء كثير من البرودة وعدم المبالاة قال :

— انتظرني الى ان ابيع السيارة .

قلت — وإذا لم تبع السيارة ؟

قال — لا بد ان تباع .

قلت — ولنفرض ان سنة اخرى قد مرت وانت لم تبع السيارة أفأظل انا منتظراً طوال هذه المدة كما انتظرتك من قبل وانى اعتقد ان بوسعك ان تدفع هذا المبلغ واكثر منه فلم لا تدفعه الي ؟ فرد علي قريبه وشريكه قائلا :

— أمهلنا أياماً وسندفع لك دينك مع الممنونية .

قلت — كم تريد ان امهلكما ليكون الميعاد صحيحاً ؟

قال شريكه — شهرين .

قلت — وليكن الموعد شهرين ، ولكني ارجو ان تكونا صادقين .

قلت هذا وغادرت محل الصديق المدين وانا في غاية الغضب ، انه لو كان هنالك شيء يستوجب هذا التسويف لعذرت الرجل . ولو كان هنالك من السوابق في المعاملة او السيرة الجارية بيني وبينه مما يستدعي الانتقام او يستوجب هذا التمرد منه لتقبلت هذه النتيجة بصدر رحب ، ولكن ليس من ذلك اي شيء ، وعلى كل فلم يكن بد من الصبر فصبرت حتى مر الشهران ، وبعثت له باحد عمالي فلم يكن جوابه

بأكثر من رد العامل قائلاً ان بامكانك ان تشكوني الى المحاكم فاني لن أدفع المبلغ ...!!

وليتصور أي شخص نفسه في مكاني ، وليعد كيفية استدانة الرجل المبلغ منه بتلك الصورة على الذهن ، ليرى كم من الشهور مرت والمدين يماطل ثم لا يكتفي بالماطلة وإنما يتعالى على دائنه كأنه هو المنعم المتفضل وكأن الدائن شحاذ مستجد يرجو فضله ونواله . لينزل أي شخص نفسه في منزلتي وليركم سيكون ذلك شاقاً عليه وشديداً على نفسه ...؟

وكنت أشكوه لو كان بيدي سند أو ما يشبه السند ، فقد أقرضت الرجل في أشد ساعات احتياجه ولم يكن القرض إلا لأيام فاستكثرت على نفسي مطالبة صديق بمبلغ مثل هذا لأيام ربما لا تتجاوز اسبوعاً فاذا بها بضعة شهور من التسويف والماطلة تنتهي بعد ذلك بطرد عاملي ورفض إعادة المبلغ على ذلك النحو المار .!!

وهاجت نفسي ، وبان الغضب في وجهي ، فاذا بعيني شعلتان يتطاير الشرر منهما ، وإذا بي احرق الارم من الغيظ .

ومررت به في محله ، وأنا على تلك الحالة ولكني كنت رابط الجأش أول ملتقاي به ، وقلت أول ما قلت :

— لم لم تدفع المبلغ إلى عاملي ؟

لقد قلت ذلك في لهجة خشنة .

فقال — انني لست مديناً لك بشيء ولك أن تفعل كلما تستطيع ان تفعله .

وهنا تحول الغضب كله إلى فمي وتجمع على لساني ولا أدري والله مالذي قلته يوم ذاك ولكني أعرف اني لم أقل إلا ما يقوله اكثر الناس عند غضبهم من وصفه بالنذالة والحقارة وما شاكل ، وكان رد الفعل منه ان تناول كرسياً هناك فضربني به ، ولم يكن مني إلا ان وقعت معه في اشتباك قوي شديد أدى إلى أن تنكشف السترة من على ظهري فيبدو المسدس المشدود إلى جانبي فصاح قريبه وشريكه ينبهه

إلى المسدس ، لقد صاح به مرتين أو أكثر وأنا والله - على رغم بلوغ الغضب مني مبلغه - ما فكرت بالمسدس ولا هممت بسحبه من جيبي، وحسبك ان تعرف انني لا أملك غير يدي اليسرى ، أما اليمنى فقد اضعتها في الحرب الفلسطينية متطوعاً فلم يبق منها إلا الهيكل كما ترى ، فلم أحس إلا والرجل يهم بان ينتزع المسدس مني ولا اظلمه ، فلست أدري ، فمن الجائز أن يكون قد خاف أن أمد يدي فأستعمل المسدس لذلك حاول أن يسبقني الى انتزاعه ليضربني به قبل ان اضربه به ، ومن الجائز أن يكون قد هم بانتزاعه مني ليرمي به بعيداً خوفاً من ان اطلقه عليه ، وكيفما كان فقد اتجه الاشتباك إلى المسدس ، انا أريد ان احتفظ به وهو يريد ان ينتزعه من بين يدي وكنت قد مسكت به حينذاك قوياً وبهذه اليد السليمة ، وهيكل اليد الأخرى ولم أدر كم مر من الثواني حتى انطلق المسدس وقد سقط من يدي ، اما أنا فاذهب إلى ان الطلقة لم تقع من يدي وكان بالامكان لو لم أكن في محل القتيل ان اعثر على شهود يروون الحادثة بدقة ، ويعينون مبعث الطلقة وكيفية وقوعها على وجه الصحة ، ولكني كنت في محيط لم يكن لي به ولا واحد من الذين يشهدون للواقع .

واما الادعاء فيرى اني انا الذي مددت يدي إلى المسدس فسحبته عامداً حتى قتلت الصديق بتلك الصورة الفاجعة التي دخلت السجن بسببها لأقضي فيه خمس عشرة سنة لم يمر منها غير بضعة شهور . .

احمد ابراهيم

— ٣ —

هو شاب في الخامسة والعشرين من العمر يعلو شفتيه شاربان جميلان وعلى رغم كونه محكوماً بـ ٢٣ سنة فانه وادع هادئ مطمئن جلس إلى جانبي يحدثني عن

عمله ونجاحه فيه قبل ان يقترف هذه الجريمة فيقص علي كيف ان هذا النجاح قد أوحى له ببعض الغرور الذي كان من مظاهره شراؤه مسدساً وحمله إياه فقال :



السجين احمد ابراهيم

اسمي احمد ابراهيم، وانا أدير معملاً للكاشي بالأجره وقد بدأ يدر علي المعمل رزقاً كافياً بعض الكفاية ، وحين يشبع الشاب من امثالي يتجه نحو نفسه ليرى اين مكانتها بين الشبان ، ولما لم اكن متعلماً فان نفسي كانت توحي لي كما توحي لاندادي واترابي بان قيمة الشاب مطوية برجولته ، وقيمة الرجولة عند البعض في حمل المسدس ، وعندالبعض الآخر في حمل السكاكين ، لذلك كان عدد حملة المسدسات والسكاكين من الشباب بداعي الغرور والكبرياء كبيراً جداً في بغداد خاصة وفي عدد كبير من المدن العراقية .

ويعود للاسراف في اعطاء الاجازات بحمل السلاح ـ من قبل السلطة ـ كثير من الاسباب التي تحمل على ارتكاب الجريمة بمجرد ثورة الغضب وهذا ماينبغي ان تعني بدرسه السلطات عناية كبيرة بعد صدور هذا الكتاب .

وقال أحمد : وكان مقابل المعمل الذي اديره بالاجرة مقهى صغير يجتمع فيه بعض العمال الذين يعملون في تلك الجهة ، وكثيراً ما جلست انا فيه واختلطت بجلاسه في ساعات الفراغ .

وتشاء المصادفة المنحوسة ان اسمع امرأة باكية مولولة على باب المعمل وحين رأتني أمد برأسي اليها من الداخل نادتني مستنجدة :

— تعال يا ابني . . ما حال امك لو جاءها شخص شاتماً إياها باقذع الشتائم ؟ وناسباً لها أقبح القبائح ، وليس لها ابن يرد عنها عادية العوادي ؟ انني جارتك هنا وقد اعتدى علي المدعو (طلب عبدالله) من جلاس المقهى المقابل وانا كما ترى امرأة ليس لها معين ولا ناصر .

لقد كبر عندي ذلك ، وكبرت تلك المسألة الصغيرة في ذهني فتصورت ان علي واجباً وأنا الشاب الناجح في عملي والمتعينة مكانتي بين الشبان ما دمت أحمل مسدساً فما هي قيمتي ان لم انجد هذه المرأة واقتص لها من المعتدي .

وخطوت إلى المقهى ابحث عن المعتدي فالفيته يحتسي الشاي هناك ، وقد ثقل عليه ان يراني معنفاً لائماً فقام في وجهي وقد تناول من رأسه عقاله وراح يوسعني به ضرباً على رأسي، ووجهي، وانا اخطو القهقرى نحو معمل الكاشي وهو مستمر في مهاجمتي ، وهب صاحب المقهى يحجز بيننا وكنت حينذاك قد مددت يدي إلى المسدس فشهرته ولكن صاحب المقهى استمات في سعيه لانتزاع المسدس مني ، وهنا اطلقت على خصمي رصاصة أصابت رجله فكسرتها اما الرصاصة الثانية فقد اصابت صاحب المقهى وقتلته في الحين الذي كنت احاول الانفلات من بين يديه وهو صديق حميم لي ولا أزال للآن ابكيه وآسف لما حدث ، وكانت النتيجة ان صدر الحكم علي بعشرين سنة عن قتلي صاحب المقهي الصديق ، وثلاث سنوات عن اصابتي الخصم وكسري رجله ، وقد انهيت الآن من مـــدة حكمي ثلاث سنوات ، وحين تنتهي مدة الحكم تماماً ، وحين يجيء الوقت الذي ينبغي ان اترك فيه السجن اكون قد أضعت الفرصة التي استطيع ان استفيد فيها من هذه التجارب ، ويكون الشيب قد صبغ القسم الاكبر من هذين الشاربين ، ويكون

أزهى أوقات العمر قد ضاع باقسى ما تضيع به الاعمار بسبب تلك القضية الطارئة وبسبب حمل المسدس بدون اقتضاء .

الملا فاضل الرادود

— ٤ —

وهذا رجل ذرف على الخمسين ، وإذا استثنيناهذه الحادثة التي وقعت له على سبيل المصادفة فنحن امام مجموعة من الصفات النادرة من حيث طهارة القلب ، وطيب النفس ، والكثير من صفات الخير ، وهو بعد ذلك شاعر شعبي ، يجيد نظم العامية ويتفنن في نسجها، وبحورها ، وقداوتي صوتاً عذباً مكنه من ان يرقي المنابر في المآتم الحسينية وفي مواكبها بيوم الأربعين بكربلا فيتلو الشعر من منظومه وينشده من تلحينه ، ويرسله بصوته حلواً عذباً يهيج النفوس فتنهال عليه الخلع من جميع الجهات ولا يتم قراءة البحث والمقطع إلا وتكون الاستعادة والاستحسان قد حملته على ان يعيده مرة وثانية وثالثة واكثر .



السجين الملا فاضل الرادود

والملا فاضل الرادود كما هومعروف بهذا الاسم يهب الكثير مما يصل اليه فيعطي ويكرم ، ويعمل مع الشعراء والأدباء ما يعمل الناس معه ، ولربما تنافست المدن

على استدعائه في أيام (محرم) التي تنصب فيها الآن مآتم احياء لذكرى ابي عبدالله الحسين بن علي بن ابي طالب لينشد للمواكب - بصوته الرخيم - تلك القصائد الشعبية التي يحفظها الصغار والكبار ويرددونها طوال مواسم العزاء ، ولربما دفعت هذه المنافسة إلى ان تزيد كل مدينة في أجورها له لتكسب الملا فاضل الرادود وتسبق غيرها بالافادة من هذه المواهب .

* * *

هكذا كان الملا فاضل ، اينما حل حلت العزة الادبية بين محبيه ، واصبح محله مجلساً للتنادر بالشعر العامي ، ولعله يعتبر من العوامل على نقل المعاني المبتكرة من القريض إلى اللغة الدارجة ، ولقد طبع له ديوان شعر في هذه اللغة كما ضمت المجاميع الشعرية للأدب العامي كثيراً من شعره .

ان شخصاً هذه صفته ليحب كل أحد ان يعرف شيئاً عن مصيره وما جرى له حتى استوجب ان يحكم عليه بالسجن المؤبد وقد قضى من مدة الحكم عشر سنوات لم تشهد السجون للآن رجلاً دخلها كما دخل الملا فاضل ، ولا خارجاً منها كما سيخرج الملا فاضل .

هذا ما قاله مديرو السجون والمأمورون الذين عرفوه عن كثب وخبروا مزاياه ، حب للخير ، وابتعاد عما يشين النفس . وعفة في الخلق ، واشياء أخرى كثيرة جداً مدحوه بها جميعهم .

قلت للملا فاضل وقد عرفت كل شيء عنه بالتفصيل .

قلت له : أحب ان أسمع قصتك من لسانك فهل انت مستعد لتسمعني اياها ؟

فقال وهو يبتسم - والابتسام طبيعة غالبة عليه : ان قصتي كسائر القصص التي تحكمت فيها الاقدار ، فلو لم يرد القدر ذلك لما وقع لي ما وقع .

كنا في رمضان من سنة ١٩٤٥ وكان الوقت قبيل الغروب وانا أعود إلى بيتي للفطور وكان اليوم شديد الحرارة وقد احسست في ذلك اليوم بصورة خاصة بعطش شديد لا أزال أذكره ، وعلى ان كثيراً من الاصدقاء الذين اشاروا علي بوجوب الافطار في هذا الشهر وأيدهم في ذلك طبيب صديق لي نظراً لما قد لازمني من صداع استمر نحو اسبوعين واكثر قبل حلول شهر رمضان فان نفسي أبت ذلك ووجدت راحتي كلها في الصيام على رغم احساسي بشدة الصداع عما كان عليه قبلاً .

* * *

وفي الطريق وانا متجه إلى البيت مر بي شخص قائلا لا بأس ان تسرع لان ابنيك قد دخلا في نزاع مع الآخرين فمضيت على سجيتي ولم أعر الأمر أهمية لأنني كنت أعلم ان ابني الصغير كثيراً ما يوقعه اللعب مع بعض انداده الذين اعرفهم في شجار فيخرج اليه أخ الطفل وأبوه وامه فيوسعون ابني ضرباً فيجيء إلى البيت باكياً فازجره انا الآخر وأوبخه ولا أتركه حتى يتعهد لي بأنه لن يلاعب بعد هذا الصبي الذي ان مسه أحد بالريشة مس اهله المعتدي بالنار ، فقلت في نفسي ان ابني مستحق للعقاب فاذا لم يضرب ضربة مؤلمة فلن يتوب ، ولكني ما كدت اسير بعض الخطوات حتى لقيني شخص آخر وقال يجب ان تدرك ابنيك قبل ان يقتلا فخففت حينذاك مسرعاً وحين أقبلت رأيت جمعاً كبيراً يتألف من أهل الصبي المذكور وأعوانهم ومن ابني الصغير والكبير واعوانهما وقد اشتبكوا في العراك وقد تدخل البعض بين الطرفين ليبعدهما عن بعضهما فلم يوفق ، لقد رأيت بعيني

هراوة تنزل من فوق الرؤوس ، وخنجراً مشهوراً يبحث صاحبه عن أحـــد ابني ليغرزه في جسده .

* * *

هكذا كان الحال باختصار حينما وصلت ، وكنت قد حملت معي مسدساً منذ الليلة الماضية لاني كنت مدعواً ليلتها فى قصبة الشامية وكان على ان أعود فى ساعة متأخرة من الليل فظل المسدس مشدوداً إلى جنبي فمددت يدي اليه وسحبته وأنا أريد ان اهدد به لأفج طريقي وأخلص ولدي من وسط تلك المعمعة ، فلم يفـــد التهديد فاطلقت منه بعض الطلقات على سبيل التخويف فقرت رصاصة فى رأس رجل عز والله علي فقده واحزنني قتلي اياه . فقد كان دخل المعركة ليحسمها ولم يكن له فيها ناقة أو جمل وقرت رصاصة أخرى فى رأس رجل كان قدم من هنـــاك وليس له بما يجري دراية ، ولـكنها الاقدار .

* * *

وتدخلت الاقدار مرة أخرى في الامر حين أوحت لي التمسك بالانـكار فى المحاكمة فانـكرت ان اكون انا القاتل ، فحكم علي بالسجن المؤبد ثم فهمت بعد ذلك انني لو قلت الواقع يومذاك لـكان لي من ظروف القضية من الدليل على اني لم أرد ان أقتل حتى ولا فى سبيل الدفاع عن ابني اللذين كاد الخنجر ان يمزق أحدهما أو كليهما مايخفف الحـكم كثيراً ، ولـكن سبق السيف العذل ، واستطيع أن أقول انني لم اكذب من قبل وحين كذبت لأول مرة فقد كلفتني هذه الـكذبة الشيء الـكثير .

* * *

انها الاقدار ، وإلا من قال لي ان احمل المسدس ؟ انها الاقدار ، وإلا من أرغمني على الصيـــام في ذلك الشهر فأطار الصوم صوابي وبدد حلمي ؟ انها الاقدار ، وإلا فما الذي حملني على ان اكذب فانكر الجريمة ولا اتحدث إلى القضاء بظروفها واحوالها المخففة ...؟

* * *

ويسرني ان اخبرك وانت تسجل اعترافاتي بان الذي استطعت ان اعمله هو اني بعثت من السجن بما استطعت ان اجمع ، وبما تفضل علي به بعض الاصدقاء بدية القتيلين إلى اهلهما ، واني لاستغفر الله عن ذنب ليس لي فيه يد وان كان الرصاص قد انطلق منها ، ومع ذلك فان للغضب حصة الاسد من هذه النتيجة المؤلمة المريرة .



ليس من المستغرب ان يؤدي السكر في كثير من الاحيان إلى الوان عجيبة من الجرائم فيدفع بالكثيرين إلى ارتكاب القتل ، واقتحام البيوت ، والسطو على أموال الناس وأعراضهم ، والاقدام على استحلال جميع المحرمات بشتى الطرق والاساليب التي ما كانت تتم لولا خمول الواعية ، وهمود نشاطها ، وتعطيل فعاليتها بسبب الخمرة .

ولكن المستغرب هو ان تزيد نسبة وقوع الجرائم بسبب السكر أكثر من المألوف وتتجاوز هذه النسبة كل الحدود المألوفة في الممالك المشابهة لمملكتنا ثم نتعامى عنها ولا نوليها بعض العناية اللازمة في مثل هذه الامور ، وتظل في زيادة مطردة حتى تصبح تلك الجرائم قدوة للذين يملكون الاستعداد لاقتفاء أثر أولئك المجرمين . ولمثل هذه الاسباب معالجات شافية يعرفها المتخصصون ، من قبيل تحديد الحانات وتحديد الشرب ، ومواقيته ، وكيفيته ، وغير ذلك مما تفرضه الاحوال والمقتضيات التي يعينها أولو الخبرة في نظام مكفول كانت له نتائج باهرة في عدد كبير من الممالك ، اما ان يترك الحبل على الغارب ليعب من يشاء من الكحول ما يشاء ، وفي أي وقت يشاء ، ثم يسرف في اعطاء الاجازات بحمل السلاح وتهمل مراقبة حملة السلاح بدون اجازة اهمالاً جعل اغلب الطبقة الثالثة واكثر من نصف الطبقة المتوسطة

وكثيراً من الطبقة الأولى يعتمدون المسدس ، أو الخنجر ، أو السكين ، اكثر مما يعتمدون النظام ، والقانون ، والشريعة ، أقول اما ان يترك الحبل على الغارب على هذا النمط فلن يجني إلا الخراب والدمار ، والفساد ، وأي فساد اكثر من أن تحمل كلمة تافهة ، أو نظرة غير ذات معنى ان تحمل السكران على ان يهيج فيكسر ، ويحطم ، ويجرح ، بل ويقتل كما ترى من هذه الاعترافات التي تقرؤها هنا ، وهي أمثلة من التفاهة بحيث لا تستحق حتى الاشارة اليها فضلاً عن تسجيلها .

* * *

احمد عبدالله الشيخلي

— ١ —



أحمد عبد الله الشيخلي

لم يتجاوز بعد السادسة والعشرين ربع ، مكتنز ، مفتول الساعدين ، حكم عليه بالسجن المؤبد لقتله شريكاً له يعمل فى مقهاه ،

قال : والله اني لا اذكر اني قتلت الرجل ، ولا اتصور ان بالامكان ان اقتل دجاجة فضلاً عن أن اقتل انساناً ! وان يكون هـذا الانسان صديقاً لي ، وشريكاً فى عملي ، ثم لا أعلم بذلك مطلقاً ؟ ان مثل هذا يكاد يكون من رابع المستحيلات إذا لم يكن هو أول المستحيلات بالضبط .

انا من محلة باب الشيخ ببغداد ، والقتيل من نفس المحلة ، ولا اذكر بالضبط متى تعارفنا ، وكلما أعزفه هو اني كنت ألصق الناس به وأنا صبي ، فنحن تربان وفي سن واحدة ، لقد لعبنا فى الشارع معاً ، وشببنا معاً ، ثم حين كبرنا عملنا معاً شريكين فى (چايخانة) تقع فى آخر محلة (باب الشيخ) مما يلي سكة القطار ، يأوى الينا فيها المقامرون فنستفيد من لعبهم ثم تنفق بعض ما نستفيد على سبيل الرشوة ليغض بعض الشرطة عنا وعن زبائننا عيونها ، فاذا اقبل المساء مشينا انا والصديق الشريك إلى حانة من تلك الحانات المتواضعة التي يرتادها امثالنا وعببنا هنالك ما شئنا من (العرق) وخرجنا ونحن في منتهى درجات السكر يتوكأ أحدنا على الآخر ، وقد تخورقوى أحدنا فيهوى فلا يحس به الثاني ، وقد نهوى نحن الاثنين معاً ونقوم ليتخذ كل واحد منا طريقاً معاكساً للثاني ، وقد نصطدم بالجدران ، وقد نصطدم بالمارة ، وقد نصطدم بأعمدة الكهرباء والتلفون ، وقد لا نصل إلى البيت إلا ونحن في أشد ما نكون عياء من حيث اضطراب المعدة والقيء ، والتسكع فى الطرق والازقة ، وقد ندور حول بيتينا من قريب ، أو من بعيد ، فلا نصل اليهما إلا بعد مشقة ، وقد نبيت في الازقة والشوارع ، وقد ..وقد ..وقد يقع لنا الكثير من هذا فى كل ليلة ... وليلتين إذا لم تصدق . ولطالما اصطدمنا ببعض من يعترض سبيلنا ، والاصح طالما اعترضنا نحن سبيل الناس فاصطدمنا بهم اصطداماً جرنا الى الشرطة غير مرة ، ولكني لم اعهد انه اصطدم احدنا بالآخر شجاراً ، أو نزاعاً أو مغاصبة، ذلك لأننا قلباً وقالباً كنا ملتئمين كل الالتئام، وقد أنسى الشيء الكثير مما يمر علينا ليلاً ونحن فى حالة السكر، ولكني لا أنسى المجمل من تلك الحوادث أو قل أنني ما نسيت مرة الخطوط الرئيسة مما كان يقع لي ولصديقي ونحن نشرب أو نحن نعود الى البيت .

وفي ليلة اغلقنا (الجايخانة) كالعادة ويممنا احدى الحانات وسكرنا أنا

وشريكي على النحو الذي كنا نسكر في الليالي التي يتاح لنا فيها ان نأخذ الكفاية واكثر من الكفاية من (العرق) وخرجنا ندلف الى بيتينا بتلك الصورة وكنا على صفاء حين شربنا كما هي العادة ، ثم كنا على صفاء حين قمنا وحين دلفنا الى البيت ، وهذا كلما اذكره عن تلك الليلة .

* * *

وفي الصباح جاءت الشرطة فقبضت علي بتهمة قتلي شريكي (عبدالله محمود) في الشارع ...!! ومثلت أمام المحكمة ، وحضر عدد كاف من الشهود يشهدون بكيفية قتلي الشريك...!! اما انا فقد (عصرت دماغي) كما يقولون، ولا أزال اعصر دماغي لاذكر أين خلفت شريكي في تلك الليلة ، وكيف جرى هذا القتل فلا أذكر شيئاً ، ولا أصدق انى قد فعلت هذا ، ولكن هكذا كان . . . وهكذا تكون اشاءة الخمرة .. ، تجرم ، وأنت لا تدري انك تجرم ، وتقتل ، وانت لا تدرى من قتلت ؟ وكيف جرى ذلك . . . ؟

محمود طبانه

— ٢ —

معتدل القد ، وسيم الوجه ، اسمر اللون لا تخلو ملامحه من جاذبية ، وعلى انه قد انهى الثلاثين من عمره وانه منهمك في الشراب فانه لا يبدو الا وهو دون الخامسة والعشرين ، ومحمود طبانه متزوج ، وله ولد ، وهو صاحب (كازينو) في (الباب الشرقي) ببغداد ، ويملك داراً وسيارة دوج من طراز ٩٥٥ .

قال انه يرتاد المشارب على الدوام ، وانه حين يشرب يتحول الى شخص آخر غير هياب ، ولا وجل ، وعلى انه لا يذكر امثلة لذلك غير الحادثة التي حكم بسببها

وغير حادثة أخرى تلتها ، ولكنه لا يستبعد ان تكون هنالك حوادث أخرى قد وقعت له بسبب السكر ولكنها كانت غير ذات بال ولذلك شردت تفاصيلها من الذهن .

قال — وخرجت ذات يوم إلى مشرب من تلك المشارب التي اكرع فيها (الويسكي) وكنت في هذه المرة وحدي ، وبدأت اشرب ، ولم أدر كم مر علي وأنا اشرب ولكنني أحسست بأن الخمرة بدأت تدب في وجودي ، وفي هذه الأثناء مر علي شخص لم أكن أنا وإياه على صفاء ، ولكن المجاملة بيننا كانت محفوظة ، لقد مر على وهو يترنح من السكر ، فحملتني تلك المجاملة على أن أطلب منه الجلوس إلى جانبي وتناول بعض الكؤوس على حسابي كما هي الاصول . وما أن عرضت عليه الجلوس حتى بادرني بقوله :



السجين محمود طبانه

« انت (جراب) . . انت نذل . . . فلا يسوغ لواحد مثلي ان يشرب على حسابك !! » .

أرأيت كيف تنطلق الرصاصة من البندقية حينما تضغط على (الزناد) ؟ هكذا انطلقت فقلت :

إنما النذل (والجراب) واحد مثلك ، . . وكانت كلمة منه ، وكلمة مني ، ونحن في عالم من السكر أدى إلى سحبي المسدس من وراء ظهري ثم اطلاقي اربع رصاصات عليه اخطأت منها اثنتان ، وأصابت رجله اثنتان ، فحكم من جراء ذلك علي بالسجن سنتين ..!!

* * *

وبعد هذه الحادثة بشهر وقضيتي المذكورة لم تزل أمام المحكمة سرت وأنا في مثل تلك الحالة من السكر أطلب غريماً لي حتى إذا وجدته أطلقت عليه الرصاص ، ولكني أخطأته وأصاب رصاصي امرأة عابرة من هناك ، وأحمد الله ان الاصابة لم تكن قاتلة . . . ! !

قلت — وماذا كان بعد ذلك ؟

قال — ان قصص السكر ليس لها قبل ليكون لها بعد ؟ فهي عبارة عن ان تعب الشراب لتغيب عن الوعي فاذا ما كان ذلك ، فتوقع كل شيء حتى المستحيل من الأمور .



محمود طبانه في أحد مجالس الشرب وهو الثاني من اليمين

وها أنت ذا تراني أقضي فترة كان يجب ان تكون من أزهى فترات العمر في هذا السجن بدون ان يكون هنالك ما يستدعي كل ذلك أو بعض ذلك .

عزيز توفيق

— ٣ —

قال اني (عزيز توفيق) في الخامسة والعشرين من العمر ، ومن سكان بغداد وأعمل (براد كهرباء) وأنا موفق في عملي ، احصل على أكثر من حاجتي اليومية ، ولكني انفق هذا المحصول على الخمرة وليس عندي لذة تعادل هذه اللذة ، وعلى قدر

ما يدخلني من الربح فاني اسرف في الشرب وأزيد ، فاذا ما سكرت وأنا في حالة غير راكدة ، دارت برأسي أخيلة البطولة والشجاعة فانسى نفسي ولا أدري ما الذي يكون ، ولكنني حين اشرب وانا هادىء ساكن أبدو لطيفاً ، ضاحكاً ، ليناً ، وقد عرف عني ذلك كل الذين يعاشرونني ، فيأنس بي الجميع في الأوقات الاعتيادية ، ويتحاشون ثورتي عندالغضب ، تلك الثورة التي تهيجها الخمرة وحدها ، فقد جربت نفسي وأنا صاح فلم اذكر اني عملت شيئاً غير اعتيادي ولو كنت في أشد حالات الغضب واعنف سورته .



عزيز توفيق

ولقد بلغني ان بعض الانفار كثيراً ما مروا بمحل أخي ونالوا منه ، وتحرشوا به ، ولكني كنت أعالج القضية بالطرق الطبيعية وأسعى لرد عدوانهم بما أقدر عليه من اللباقة لأنني كنت أفعل ذلك وأنا صاح ...

وطال مدى تحرش هؤلاء بأخي حتى جرى ذلك في يوم كنت قد أخذت النصيب الأوفى من الشراب فقصدتهم عنوة تحت تأثير السكر ، وظهرت السبعية بأبشع صورها في نفسي حين اصطدمت بهم ولا أدري ماذا قلت لهم ولكني اذكر اني شتمتهم باقذع الشتائم واقبحها ثم سحبت المسدس فأطلقت عليهم ست طلقات خروا على أثرها ساقطين على الارض وهم أربعة ، وكانت الاصابات غير مميتة ، ولو بقي من الرصاص شيء غير تلك الرصاصات الست عندي لما أبقيت فيهم حياً .

ونظرت المحكمة في الأمر فكان الحال والسكر داعيين لصدور الحكم علي

بسنة من السجن لكل جريمة من تلك الجرائم الأربع ، ولقد تداخلت هذه السنين الاربع فصارت سنة واحدة . ولا أدري فيما إذا كان بوسعي ان اطلق الخمرة عند خروجي من السجن ثلاثاً أم لا ؟ ولكني سأظل سواء عدت إلى شربها أو استطعت ان اهجرها ، سأظل ألعنها إلى الأبد .

السجين دندش

— ٤ —

شاب على أبواب العقد الرابع ، ليس في صورته ما يدل على الشذوذ الطبيعي من حيث الخلق ، وليس ما يدل على الشر المعنوي من حيث الخلق ، ومع ذلك فهو يعتبر نفسه نصف شرير على أقل تقدير ، وقد أوتي ظرفاً ، ولطفاً ، وأدباً ، وسرعة بداهة قد تثير الاعجاب في النفوس ، وفوق ذلك فهو ينظم الشعر العربي ويحفظ بعض النصوص الادبية وشيئاً من الطرائف ، ويحسن رصف الكلم وإثارة الضحك في النفوس لحد ما ، وعلى انه منكمش على نفسه في السجن ، يتجنب الاختلاط بالمساجين ما وسعه ، فقد رأيت البعض — ممن يتذوق الادب — يعرف له تلك المزايا ويحتف به ، ويلتف حوله .

اما اسمه فلم يكن (دندش) كما ذكر ، ولكنه لجأ إلى هذا الاسم بقصد التعمية ، فقد قال لي انه من بغداد ومن بيت فيه اكثر من واحد من الاعلام المعروفين ، وانه يكفيه ما قد سبب لهم من أذى من جراء سلوكه وهو حر خارج السجن ، فلا يريد ان يؤذيهم بتعريف نفسه للناس وهو مأسور داخل السجن .

أما لماذا اختار اسم (دندش) دون بقية الاسماء فهو ما يجب ان نحمله على محمل الدعابة والظرف الذين جبل عليهما .

قال : ـ

اسمي (دندش) وإذا لم يعجبك هذا الاسم فبامكانك ان تجعله (حنتوشاً) ، و (سنگماسير) ، أو ما شئت ، فالغرض من ذلك ان تقول للقراء حين تريد ان تتحدث ان تقول لهم : قال فلان ولا تقول : قال الراوي .

قال دندش : ـ

أؤكد لك انني ما كنت أكون شريراً لولا النزق الذي يبعثه الدلال ، ولولا الخمرة التي تخرج هذا النزق بابشع صوره واقبحها ، حتى لتحمل المرء على أن يأتي بالمستحيلات من الوقائع القبيحة المضحكة المبكية ، ولكن هكذا أراد لي ابي رحمه الله وامي حفظها الله ، فقد دللاني غاية الدلال ولم يحاسباني على ما كنت افرط في سهري، وعودتي إلى البيت بعد منتصف الليل من أغلب الليالي كما ينبغي ان احاسب ، بل جارياني حين أردت ان اتم دراستي الثانوية خارج العراق،فبذلا لي مالا ينبغي ان يبذل لشاب مثلي ، حتى اجتمعت في العلل الثلاث : الفراغ ، والشباب ، والجده ، لأني تركت الدرس ، ورحت اعطي لنفسي ما تشتهي ، وكان مقام الخمرة منها مقام الروح من الجسد ، فكرعت منها ما شاء الشيطان أو ما شئت أنا على الاصح ـ فأي شأن للشيطان بي ؟ ـ وساقتني الخمرة إلى كثير من المزالق كنت انجو منها بفضل ما أبذل من مال وجرأة وتخويف ، وقد حدثت لي عدة حوادث غير مشرفة ، وجنيت على بعض الفتيات باغرائهن لا سيما حينما كنت خارج العراق بداعي الدرس أرجو ان تعفوني من ذكرها ، ففي ذكرها الكثير من الألم لك ولي ولقارئك الذي سيعرفني على رغم تكتمي ومحاولتي التستر ، ويكفيني مما مر ما لحقني من الفضائح . وقال :

وعلم أبي بأني لم استفد شيئاً من الدرس واني انفق ما يبعث به الي على الموبقات وعلى الأصدقاء ممن يلائمون طبيعتي وقد قضيت أربع سنوات على تلك

الحال فبعث يستدعيني الى بغـداد ليحوطني برعاية خاصة ، ويفرض علي رقابة جديدة يرجو بها أن يقفني عند حد معين من الاستهتار .

وعدت الى بغداد ، ولـكني عدت بشيء ثمين لا أزال اعتز به وان كنت لم افد منه الفائدة التامة وهو انى إذا كنت لم اتوجه للدرس فى المعهد الذي التحقت به فانى قد وجهت همتي بصورة خاصة الى لون من ألوان الأدب وهو الغزل والخمريات ، والمجون ، فلقد اتيح لي ان اتعرف ببعض الشبان من زملائى الذين يتذوقون هـذا اللون من الأدب فى المعهد فاتخذت منهم رواداً للبحث عن اجمل القصائد واروع الشعر فى وصف النساء ووصف الخمرة ، والهزل والمجون ، ولقد بلغ الحال ان تساجلنا فى هذا الشعر ، وتبارينا فى هذا القصيد ، واصبحت لي ملـكة لا بأس بها فى ولوج هذا الميدان .

ولم يكن حالي فى بغداد بأحسن منه فى الخارج فتماديت فى شرب الخمرة ، وجئت بصنوف من القضايا الغريبة التي سببت لي تبديد كثير من الأموال فى ميادين سباق الخيل ، وعلى الموائد الخضراء ، وفى الليالي الحمراء ، ومات أبي وفى نفسه شيء مني .

وقل المال الذي كان يستر لي كثيراً من العيوب ، ويغلق الـكثير من المشام عن ان تصل اليها تلك الروائح النتنة التي تبعثها الخمرة ، وبدأ رد الفعل لـكل ذلك يظهر للعيان ، ولـكني كنت منغمساً الى شحمة الأذن .

* * *

واذكر مرة انى بلت وانا تحت تأثير الخمرة من فوق المقصورة التي كنت اشغلها فى احـــد الملاهي بصحبة بعض الرفاق والراقصات ، لقد بلت من فوق المقصورة بمشهد من الحاضرين على بعض الجالسين ، وبالطبـع هاج ذلك البعض وماج ، ولـكن القضية سويت كما سويت مئات القضايا التي وقعت لي ، وانتهى الأمر بسلام .

وذات ليلة من ليالي الشتاء كنت قد الححت على بعض الأصدقاء بأن يرافقنا الى مشرب اعتدنا ان نحتسي فيه الخمرة فاعتذر منا قائلاً انه يريد ان يذهب الى الحمام ولما وجدنا ان الاصرار غير مجد تركناه لشأنه وذهبنا ، وبعد ان بلغ السكر منا مبلغه اقترحت على الرفاق ان نلحق بصاحبنا الى الحمام لنغتسل نحن الآخرين ، وركبنا سيارتي وقلت للسائق خذنا الى الحمام . . .

اما اي حمام هذا الذي يجب ان يأخذنا اليه فلم اذكر له شيئاً عنه ، وكان ان وصلنا الى احد الحمامات ، ودخلناه وفينا من تجاوز الحدود المألوفة من السكر ، ولست ادري كيف بدأت المعركة بيننا وبين الزبائن ولماذا وقعت ؟ ولم يكن في الحمام حينذاك اكثر من بضعة انفار ، فرحنا نلوح (بالپشتمالات) في وجوههم ، ونزلنا بهم ضرباً بها وهي مبللة ـ هابيط وهاباط ـ حتى اخرجناهم من الحمام الى الخارج ، ووصل الخبر الى الشرطة ، وقبل ان تساق القضية الى المحكمة سويت المسألة بيننا وبين أهل الحمام والزبائن ..!!

* * *

وفي إحدى الليالي ـ وكنت قد صرفت سائق سيارتي ـ وتوليت انا القيادة عائداً الى البيت ، ولست ادري كيف وبأية صورة وجدتني في الصباح نائماً في قارب من هذه القوارب النهرية الراسية على شاطي. (أبي نواس) وسيارتي مقفلة وواقفة على جانب من الشارع كما لو كان الذي وقفها هناك واعياً كل الوعي ..؟

* * *

وصدمت مرة بسيارتي وأنا اقودها سياجاً من بيت فتهدم من جراء ذلك جانب من السياج ، كما لحق بسيارتي بسببه بعض الضرر ، وقد قال لي من حضر الواقعة انني عمدت حينذاك الى البيت المقابل لهذا البيت ، فطرقته ، وحين خرج إلي صاحب البيت قلت له : ان سيارتي قد اصطدمت بسياج جيرانك هذا ـ واشرت

الى البيت ـ فتسبب من ذلك انهدام جانب من السياج ، كما لحق بسيارتي بعض الضرر ، أما ضرر السياج فأرجو ان تنوب عني بدفعه لصاحبه ـ وناولته هنا ثلاثين ديناراً على ما قيل لي ـ واما ضرر سيارتي فسأقاضيه انا عنه في المحكمة غداً ! على ما قلته له . . ! !

* * *

وقال دندش : وكل هذا الذي احدثك عنه لا اعيه او اني اعي بعضه حين وقوعه ولكن الذين يشهدونه من معارفي وأصدقائي هم الذين يحدثونني به في ساعة الصحو ، ولقد قصدت مرة وأنا سكران الى اسطبل أحد معارفي فقتلت حصانه لأنه هو الذي سبب لي خسارة مبلغ كبير حين دخل ميـــدان السباق وراهنت على فوزه ففشل . . !

* * *

وفي إحدى الليالي وكان السماك قد جاءنا بالسمك (المسقوف) الى شاطىء النهر ، سبقنا أحد الرفاق في مد يده الى السمكة فقال انها ليست جيدة كما كان المنتظر ، فما كان مني إلا ان انادي السماك وأقرعه ، ثم احسر عن رأسه قلنسوته واقبعه بالسمكة وارش في وجهه (العنبه) المخللة ، ثم بلهجة العسكري الآمر اصيح به : الى الوراء در ، فيدور ، ثم أقول له :

الى اهلك هرول ، فيهرول . ، .

اما كيف امتثل أمري وكيف أجرى ذلك ؟ فلأنه كان يعرفني ويعرفني جيداً . وقد اصطدم ببعض من لا يعرفني ، او بعض من هو اقوى مني شكيمة ، واطول باعاً ، واكثر عناداً ، وقد اخرج منكسراً من المعركة لأن المصطدم به كان اشد انغماساً في سكره ، واقوى بأساً مني ، ولكن الأصدقاء او قل المال هو الذي كان يتدخل في الأمر فيصلح من شأني وينهي المسألة على وجه من الوجوه .

ومساء يوم ونحن جمع من بعض الشباب وبعض الراقصات وقد توسطنا بقاربنا نهر دجلة والساقي يطوف علينا بالكؤوس وقد اطل البدر من بين سعف النخيل وعذوقه والفصل في آخر الصيف قرأ مغنينا على طريقة (الدشت) صائحاً بأعلى صوته :

يا نديمي لا تؤخر لذة اليوم الى غد
عاطنيها فالهواء طيب والقمري غرد

فأصلحت له البيت وقلت اقرأ هكذا:

عاطنيها فالهوا قد طاب والقمري غرد

فأعاد قراءة البيت مصححاً ثم راح يكمل :

بنت كرم لو رآها راهب الدير لعربد
عتقت دهراً فجاءت تخبر الابن عن الجد

وقد قرأ الفعل من (عتقت) كما لو كان مبنياً للمعلوم بينما هو مبني للمجهول فصححته له مرة أخرى ، وراح يواصل :

شاهدت في عصرها ماكان من يأجوج والسد
كل(شيء) فكأن (لن) ـ كل ماض فكأن قد

وكان يجب أن يقول :

كل ماض فكأن لم كل آت فكأن قد

وإن الشخص الذي يبول على الناس من فوق المقصورة لا لشيء إلا لمقتضيات المزاج أفيجوز ان يسكت عن هذا المغني وهو يعمل بهذه القطعة الجميلة من الشعر مثل هذا العمل ؟ ومع اني كنت لم ازل من السكر في البداية في تلك الساعة فقد قمت اليه وأنا احاول ان أرميه في النهر ، ووالله لو فعل بعضنا ما اردت ان افعل لما اسمعنا أحد مثل هذا الهراء الذي كثيراً ما نسمعه من فوق المنابر ، ومن الاذاعات ،

ومن وراء الميكرفون في الحفلات من خروج على قواعد الأدب ، والعربية ، والذوق، والسليقة .

وعبثاً حاول الرفاق ان يحولوا بيني وبين المغني وانا ممسك به اريد ان أرميه في عرض النهر وهو ممسك بي امساك الذليـــل ، ومال القارب فاذا بنا نحن (الاثنين) وثالث معنا ممن كان يحاول انقاذ المغني نسقط في النهر !!

ولم اترك المغني في تلك الليلة إلا وقد حفظ المقطوعـــة على وجهها الكامل وغناها لنا وفق الأصول ... وهناك استرحت .

* * *

فقلت لدندش :

ولكن الخطأ فيما وقع هو انك وقعت معه فى النهر وكان الواجب أن يلاقي وحده جزاء فعلته ، ثم سألته :

— اما السليقة فقد دلت على انك تملك منها الشيء الوافر فهل لك ان تنشدني شيئاً من أدبك ؟

فضحك دندش وقال ـ ليس لدي غير (السفاهات) ولا تصلح السفاهات للانشاد وهي ضرب من ألعاب الصبيان طالما لعبناها أنا وبعض الأصدقاء الذين يتعاطون الأدب ، وكان لي منهم صديق باسم غالب الطنطاوي كان معي في المعهد وان حكايته لتشبه حكايتي من جميع الجوانب أي انه كان ممن افسده الدلال ، وافسده المال ، وافسدته الخمرة ، ومن طريق هذه الخمرة احب الأدب ، وولج ميدانه ، وحفظ الشعر إكراماً للخمرة ، ثم اذا به يمجن ، ويهزل ، وينظم اروع الشعر فى الخمرة ، والنساء ، والمجون ، وجمعت بيننا الاسباب ، وسمعت منه ومن اصحابه مما حبب لي الادب ، ويظهر انى كنت املك الاستعداد لنظم الشعر فما لبثت ان ساهمت ، وقيل لي انني قد اصبحت من المجودين ، والمؤسف انني لم

أجود ـ إذا صح انني جودت ـ فيما ينفع الناس وينفع نفسي ، وإنما صار الشعر عندي وسيلة لهو غير بريء ، ووسيلة عبث غير مشرف ، ومن يدريك انني لو كنت احسنت نشأتي ومشيت في الطريق التي يمشي بها (الاوادم) ؟ من يدريك انني ما كنت اكون ذات يوم شخصاً محترماً بسبب الأدب وحده فضلاً عن الاسباب الاخرى ؟ ولـكن . . .

وعدت أرجو ، من دندش ، أن ينشدني شيئاً من ذلك الشعر الماجن العابث ، فتبسم وقال :

— أهو أمر لا بد منه ؟

قلت — لا بد . . .

قال — هذه أرجوزة تنوف على مائة بيت ولـكني لا احفظ منها إلا القليل وقد ارسلتها الى الصديق الأديب غالب الطنطاوي ، الذي هداه الله بعد زمن فاستطاع ان يقلع عن الخمرة وموبقاتها ، وما يتعلق بها ، واستطاع فيما بعد ان يتم دراسته ويتوجه الى إدارة مزرعة له أحسن توجه ، وبقيت أنا . . .

لقد نظمت هذه الارجوزة بعد عودتي من الخارج الى العراق ، وأرسلتها له واصفاً بها ما حوطني أبي من مراقبة قصد بها ان يحصي علي حركاتي وسكناتي ، وما لاقيت من القيود النسبية المفروضة ، متلهفاً الى تلك الأيام الجميلة ، والليالي الزاهية التي كانت مزدانة باللهو ، واللعب ، والعبث ، وقد والله يشق علي ان اتلو عليك ما احفظ منها ، ذلك لأنها حكاية أيام الطيش ، تلك الايام التي لا ينبغي ان ادنو من ذكراها ، ولـكنك ـ سامحك الله ـ تأبى الا ان تعيدني الى الماضي المؤلم ، وانه لمن المؤسف أيضاً ان لا تكون معي الارجوزة التي بعث بها إلي (الطنطاوي) جواباً على هذه الارجوزة لأقرأها عليك لـكي ترى كم هي رائعة ، فائقة ، جميلة .

ثم انشدني (دندش) ما يحفظ من ارجوزته التي اثبتها هنا كلون آخر من ألوان تصرف الخمرة بالنفوس ذات الملكات الممتازة وتوجيهها توجيهاً معاكساً لما تتطلبه الحياة :

إلى صديقي غالب الطنطاوي . خذني في الشرب وفي (البلاوي)
سلامي العاطر والتحية أزفها ندية زكية
واخبر الأخ الكريم اني وصلت بغداد برغم مني
ومذ وصلت ابتدت (الرقابة) تدق حولي الدف والربابه
تسأل كيف تسهر الليالي وتقتفي في مشيتي ظلالي
تعد مني لحظاتي عدا إن أنا ارنو أو أصد صدا

* * *

ان جئت بيتي بعد نصف الليل منتشياً مدمدماً : يا ليلي . . .
نادى أبي أمي أن أدني مني هذا ابننا قد جاءنا يغني
عاف الدروس والتهى بالغزل وقال للنفس فما شئت اعملي
رقص ، وقصف ، وكؤوس خمر وفتيات في الدجى كالبدر
ولم يزل معنفاً ولائماً وانا أنا كما عهدتني كما . . .

* * *

وجئت ذات ليلة سكرانا في قوة تصارع الثيرانا
وصحت يا سكان ذي المحلة بغداد هذي ، ليس هذي الحلة
فليخرج الربع من البيوت مضروبة ثيابهم (بالأوتي)

ولنبـدأ الرقص وقرع الـكاس ولنحيها ذكرى ابى نؤاس
فنزل البعض من المنازل وصـاح بالشباب هيـا وانزل
نشرب نخب خـدننا كؤوسا ونحرق العفة والناموسـا
وحين افرغوا قناني (العرق) وسبحوا فى ماء ذلك المرق
وعربد الشباب فى الشوارع : خذ الفتاة تيك ، والأخرى دع . .
وضج من سكرتنا الطريق ونفر العـدو والصـديق
وشب بيننـا عراك حام لم يبق من شيش ولا من (جام)
وجاءت الشرطة تعـدو ركضا ووقعت نهشاً بنا وعضا
وحين سيق جمعنا (للمخفر) وقيل خذ هذا وذياك ذر
عربدت ـ والناس عبيد القوه والحار منهم ـ ياصديقي ـ (جوّه)
فأطلقوا مني السراح بالعجل وكان للنفوذ والمال العمل
لم ينسألوني سر هذي العربده ؟ ولم يقولوا لي ـ (عملت ليه كده ؟)

* * *

ومع كل ذا فانى غاضب لأنني مقيـد يا (غالب)
يحصون عني كل سيئاتى فاين مني انت (يا أغاتى ؟)

* * *

أين أنا من تلكم الحرية واين منى مهجتى (. . .)
من لي بمن يحملنى للقاهره فاليد منى يا صديقي قاصره

• • •

اشكو اليك قلة الحـــرية !! اشكو افتقادي تلكم الامسية
كيف الغلام أحمـــد السوداني من يحضر الفراخ بالصواني ؟
كيف فتاة انسنا أمـــيره تلك التي لم تحس غير البيره :
وكيف عمنـــا ابو عـــزيزه ذاك الذي نؤمه في الجيزه
فيحسن القيـــام بالأوامر ويجمع العهـــار بالعواهر
فان سهرت عند ذاك (النادي) فاذكر صديقاً لك في بغداد

* * *

ومن ذكريات المجون الجميلة التي تعلوها مسحة من الأدب على رغم عبثهـا هي اني دعوت ذات مرة عدداً من الاخوان ونحن حول مائدة من الشراب إلى وضع قواعد قانونية لحياة اللهو والمرح ، فقر رأينا على ان نسن للخمارين شريعة خاصة نضع لها بنوداً ومواد نحاسب بمقتضاها اهل (الـكيف) فقمنا بوضع قانون يعين حق الشارب ، وحق المنتشي والسكران ، ثم حق الحانة ، وحق الساقي ، وحق النذل ، وقلنا في القانون

١ ـ إذا نادى السكران النذل وقال له وهو في حالة السكر :

(كلب ابن الـكلب ، ابن . . .) فيجب على النذل ان يقول : (تؤمر بيك ، امرك سيدي) ، أما إذا بدت على النذل آثار الانزعاج فعلى صاحب الحانة ان يسرع فيلطم النادل ما لا يقل عن ثلاث لطمات و (چلاقين) .

٢ ـ وإذا وقع اختلاف في الحساب بين صاحب الحانة والزبون السكران ، فعلى صاحب الحانة ان يقر رأي السكران ويعتبر كلامه هو القول الفصل ، وإذا أبى فليتحمل هو نتيجة ذلك .

٣ ـ إذا طلب السكران من النذل في أحد الملاهي بان يدعو له احدى الراقصات

لتساقيه ولم تقبل الراقصة ذلك فلا يجوز للندل ان يخبر السكراز برفضها وإنما عليه ان ينتحل الاعذار ليصرفه عن تلك الراقصة إلى غيرها .

وقال دندش :

وهنالك عشرات البنود والمواد المضحكة التي لا اتذكرها الآن ، وقد وضعنا شريعة خاصة بالذين يستحقون ان ينوبوا عن الآخرين في حضور السهرات والدعوات الخاصة ، أو المصايف من الممالك الجميلة ، أوحضور اندية (الوجوديين) بباريس كمنتدبين حين لا يتاح (للاصيل) انيقوم بتلك المهمات لمرض ، أو عارض ، أو أي شيء آخر يضطره للتخلف ، كما ينوب البعض في أداء الحج والطقوس الدينية ، وزيارة البقاع المقدسة ، وسمينا ذلك :

(قانون نيابة المضطرين - والانس على حساب الآخرين) وكان من مواد هذا القانون على ما اذكر :

١ - يحق للذين تضطرهم الاحوال للتخلف عن حضور حفلة الرقص ، والقصف ، والشراب والدعارة في الحل والترحال ، في المشاتي والمصايف : ان ينيبوا عنهم نواباً يؤدون هذه المهمات على وجوهها الكاملة .

٢ - ان تتوفر في المرشح للنيابة : عدد من الشروط اهمها :

أ - ان يكون في رأسه بعض الكدمات والحفر الدالة على كثرة ترنحه من شدة السكر بحيث تستدعي حالته الاصطدام بهذا الجدار وهذا الجدار .

ب - ان يحمل شهادة من الحراس يقولون فيها انهم كثيراً ما يشاهدونه ملقى في قارعة الطريق من شدة السكر .

ج - ان يحمل شهادة من عدد من الندل والخدم في المراقص يشهدون فيها بانهم كثيراً ما شاهدوه يتلقى الصفعات من بعض السيدات لكلمة نابية بدرت ، أو حركة شائنة صدرت .

د ـ ان يكون له صوت ناعم يسحر السيدة التي تراقصه حين يهمس في اذنها وهو يراقصها بما يقتضيه المقام ،

هـ ـ ان يبرهن على انه قد سبق ـ فى عدد كبير من الحالات ـ عدداً كبيراً من المنافسين والمزاحمين في ميادين الغرام والحب .

و ـ ان يحسن التقفية لحد كبير ، ولا يقصد بالتقفية تقفية الشعر هنا وإنما تقفية الضحكات ، كأن تقول السيدة شيئاً ولو كان غير مضحك فيجب عليه حينذاك ان يطلق لفمه العنان وهات يا ضحك ... ما دام ذلك يسرها .

ز ـ ان يحسن اطراء النساء ويتقن فن الاطراء بطريقة شعرية وان لم يكن شاعراً .

ح ـ ان يجيد تناول المشروب وقرع الكأس بالكأس ، وحمل المشارك على العب من الشراب بالقدر الذي يريد .

ط ـ ان يكون مستعداً كل الاستعداد حين يدخل نادي الوجوديين بباريس لأن يمتطي ظهور الجالسين ، وان يكلفهم بأن يثغوا معه كما تثغو الحملان ، أو أن يخوروا كما تخور الثيران ، وان يأتي بالعجائب من الخبال والعربدة ، ليثبت للوجوديين انه يعطي الحرية التي تقدسها هذه الجماعة حقها فى كل معانيها ، وانه إذا وجد (سارتر) فليطوقه بذراعيه ، ويقبله تقبيل العارف بقدره المكرم لعبقريته ، وان تكون له قوة (عباس الديك) لتقذف (بسارتر) إلى الأعلى ثم يتلقاه بذراعيه ، ثم يقذف به ، ثم يتلقاه ، ثم يقذف به ، ثم يتلقاه ، (وهكذا أوردنا هذه المادة بهذه الصيغة حتى ملأنا صفحتين من الورق ونحن نكتب : ثم يقذف به ، ثم يتلقاه ، ثم يقذف به ، ثم يتلقاه) .

واذكر اننا كنا قد انتشينا اكثر فى تلك الساعة فلم نكتف بملء الصفحتين بتلك الكلمات بل رحنا نغنيها ونحن جلوس حول المائدة ، وبصوت متحد ومتزن صائحين :

ثم يقذف به ، ثم يتلقاه ، ثم يقذف به ، ثم يتلقاه ، ولم نلبث ان سمعنا بعض الموائد الأخرى المحيطة بنا تتحد معنا في الانشودة ، ثم إذا بأغلب الملهى ينشد :

ثم يقذف به ، ثم يتلقاه ، ثم يقذف به ، ثم يتلقاه .

وإذا سئل هذا النائب عما يفعل فليقل : ان من مقتضيات (الوجودية) ان يعطي الانسان لنفسه تحقيق ما تشتهي ليثبت ان الوجود كله في الموجود ، وهذا هو أقل ما يشتهي هو ، وغير هذا لا يلذ له . (١)

وكان (قانون نيابة المضطرين ، والانس على حساب الآخرين) يحتوي على مواد كثيرة أخرى نسيتها الآن ولكن أهمها مايلي :

ملحوظة ـ ويستثنى الذين يحملون شهادة التزكية من الحاج (. . .) من كل ماورد في شروط النيابة ، اما التزكية المحمولة من الحاج المذكور فتكفي ان يقول فيها (ان حاملها رجل معروف لدينا وموثوق به ، وقد كتبنا ذلك للاطلاع) .

وحين سألت السيد دندش عن مزية هذه التزكية التي يمكن لها ان تعوض عن جميع الشروط المطلوبة للمرشحين ، وتبدل وتغير ما لا يستطيع الاجماع والشهادات ان يبدل ويغير قال :

ان الحاج (. . .) حينما أراد ان يحج بيت الله الحرام اصطحب معه في السفر (قرابتين) من (العرق) وثلاث نساء من الدواعر ، فكيف لا يكون لتزكية رجل هذه صفته مثل هذا الشأن والقيمة ؟

وتحدث دندش إلي كثيراً عن الخمرة ومفعولها وما سببت له من مشاكل ، اما جريمته التي زج بسببها في السجن فقد اعتذر عن الادلاء بها ، ولكنه قال :

---

(١) المعروف ان هذا الرأي المنسوب الى سارتر ليس له بفلسفة الوجودية صلة وانه لم يقله سارتر بالمرة .

(المؤلف)

قال — ماذا تنتظر من شخص يقدم على خطف بعض الفتيات فيركبهن بالسيارة قسراً ؟ فلا يستحي من الله ، ولا يستحي من الناس ، ولا يستحي من نفسه ؟ ماذا تنتظر ان تكون جرائمه التي يحكم بسببها ؟

انني لم ارتكب عملاً مشرفاً لكي احدثك عنه ، ويكفيك ان تعرف ان نتيجة النزق تكون قاسية جداً ، فلقد اضعت المال ، وأضعت شرف النفس ، وأضعت كل المفاخر التي تتشدق بها أسرتي ، كل ذلك في سبيل الاحتفاظ بشيء واحد لا غيره ألا وهو : الكأس .

وإذا كان (دندش) لم يحدثني عن جريمته الأخيرة بنفسه ، فقد حدثني عنها غيره وأنا لا أريد ان اشير اليها هنا ما دمت قد علمت بعدم ارتياحه من ذكرها ، ثم لاعترافي بزمالته الأدبية وغيرتي عليه بداعي الأدب ، وبمقتضى حدوده التي لا ينبغي أن اتجاوزها .



للبطء في صدور الحكم وعدم البت في الامور بسرعة تتناسب مع ظروف الجرائم التي تنظر فيها المحاكم - أثر غير قليل في تشجيع البعض وحملهم على الانتقام من خصومهم بأيديهم ، حتى لقد كان يبلغ اليأس بالبعض إلى أن يعرض عن الشكوى لدى المحكمة بالمرة ، ويعتمد نفسه في مقاصصة غريمه بأية طريقة يختطها لنفسه دون التفكير في النتائج ، بل لقد يبلغ الحال بالشهود إلى انكار شهاداتهم وادعائهم بعدم وقوفهم على أي شيء من عوارض الجرائم لمحض تخوفهم من كثرة الذهاب ، والمجيء ، والتنقل بين المحاكم وبين محلات اعمالهم وخشية من عدم البت السريع الذي لقي منه الكثير الأمرين ، فلو فرضنا ان حادثة وقعت في منتصف طريق الكوت لاحدى السيارات وكانت تقل شخصاً من سكنة الناصرية وآخر من سكنة سامراء وآخر من الموصل ، والآخر من العمارة ، وكان التحقيق يستلزم مناقشة هؤلاء الشهود فان المحكمة في كثير من الاحيان لا تكتفي باستدعاء هؤلاء الشهود مرة واحدة لتنهي المناقشة وتسجيل الشهادة في جلسة واحدة ، بل انها لستدعيهم مرة وهم على هذا البعد من المسافة بين مساكنهم ومحل المحكمة ، وتؤجل المحاكمة مرة أخرى ، ثم تستدعيهم مرة وتؤجلها أخرى ، وهكذا حتى كثيراً ما اضطر الشاهد الى ان يترك عمله ، ويتجشم متاعب السفر ، والحضور في الوقت المعين وفي ذلك ما فيه من اضرار بليغة كثيراً ما يعود اليها سبب كتمان الشهادة ، وتضيع بسبب ذلك حقائق كبيرة ، ويصدر الحكم وهو بعيد كل البعد عن الاصابة .

ولا أزعم ان هذا البطء في البت هو كل السبب في تهرب الشهود من الادلاء بشهاداتهم واعتماد الناس على انفسهم وأيديهم في مقاضاة خصومهم ومقاصصتهم ، ولكني اعتقد ان البطء في البت بالاحكام وعدم الأخذ بشدة القانون والجزاء الصارم فى الاحكام ، سبب غير منكور الأثر في هذه الظاهرة التي تدل على زيادة عدد الاجرام والمجرمين ، وبسبب ذلك وقع الكثير من حوادث الاجرام التي تغص بها السجون ، وهذه نماذج عابرة منها .

* * *

حسن محمد ارداع

— ١ —



حسن محمد ارداع

شيخ في السبعين من العمر ذو لحية مهيبة ووجـه يدل على رجولة وخشونة ، فاذا ما وقعت في السجن مشكلة ولم يشأ المساجين عرضها على ادارة السجن فلن يحلها غير حسن محمد ارداع ، وإذا آل النزاع بين المساجين إلى الاحتكام فلن يحتكموا إلى غير حسن محمد ارداع ، انه شخصية مهيبة تستدعيك إلى احترامها رضيت أم أبيت ، وهو بعد ذلك قوي البنية لحد الافراط كثير الايمان بالله يصلي ويصوم ، وقد حكم عليه بالاعدام وهو صائم ، وأراد

ان يستقبل الشنق وهو صائم ولكن القضاء ، القضاء وحده هو الذي بدل حكم الاعدام بالسجن المؤبد !! وكان معه ستة محكومين آخرين بالاعدام نجوا منه ، كما نجا هو ! !

* * *

قال حسن محمد ارداع : انني من سكنة كرادة مريم ببغداد ، وأملك فيها بعض البساتين بمقتضى الوراثة ، ولقد سبق لي ان خدمت العسكرية على العهد العثماني خمس سنوات متواصلة ، واشتركت بمعركة ارضروم مع الروس وكنت فخوراً بانني استطعت ان استلفت نظر رؤسائي العسكريين بتلك الحملة الهائلة التي قمنا بها في تلك المعركة وكان معي عدد من العراقيين العرب الذين لعبوا دوراً مهماً في تلك المعركة ، ولعل لتلك الخدمة العسكرية ولنشأتي القروية كل الشأن في صلابة عودي ونشاطي البادي علي ، فانا لم يقل عمري عن السبعين الآن ، ومع هذا فانني حين اقبض على معصم اغلب الشبان فلن يستطيع ان يفلت مني واحد منهم ، ولهذه القوة أو الاعتزاز بالنفس اعزو ارتكابي لجريمة القتل الأولى فقد قتلت رجلاً على أثر منابذة حادة قامت بيني وبينه ، فحكم علي بالسجن اثنتي عشرة سنة .

ولقد تحكم العداء بسبب هذا القتل بين اسرتي وبين اسرة القتيل ، وآل طلب الانتقام المتأصل في نفوس الذين ينشأون مثل هذه النشأة من العشائر - والذين يقل ايمانهم بالقانون ان يأخذ مجراه في مقاصصة المعتدين كما ينبغي - إلى الانتقام لأنفسهم ، فعمدوا إلى أخي فقتلوه ، وزج القتلة بالسجن سبع سنوات انهوها وخرجوا .

وقضيت مدة سجني وخرجت انا الآخر من السجن ، ولم يمر علي شهر واحد بعد حتى اصبح أحد سكان هذا الجانب من كرادة مريم مذبوحاً وقد فصل رأسه عن جسده ، والقي على حافة الطريق العامة .

من هذا الذي يستطيع أن يعمل مثل هذا العمل مالم يكن قوياً كل القوة ، وموتوراً من القتيل المذبوح ؟ ولقد كنت أنا ذلك على ما قالوا ، اما القوة فقد كنت أملك منها الكثير ، وأما الوتر فقد كان بيني وبين الذبيح واسرته ماكان يساعد على نسبة هذه الجريمة الي والتصاقها بي ، وبناء على ذلك لم يفد دفاعي، ولم تفد مناقشتي للشهود .

وخلاصة الأمر هي ان القناعة قد حصلت بأن دافع الانتقام في هذه الجريمة كان هو المحفز الوحيد على ارتكابها واني انا ذلك الرجل المنتقم ليس غيري ، وصدر الحكم علي بالاعدام ، وزججت بالحبس المنفرد ومعي ستة من المحكومين بالاعدام ينتظرون التنفيذ وكان ذلك في رمضان ، وكنت صائماً وصمت على ان الاقي ربي صائماً ، وللقدر احكام عجيبة غريبة تنقض كل حكم ، وتبطل كل مفعول ، وشاءت هذه الأقدار ان تبطل هذه الأحكام وتحولها من المشنقة - في آخر ساعاتها - إلى السجن المؤبد ، فقد بلغ صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني في تلك الاثناء مرحلة تسلم بها جلالته سلطاته الدستورية فلم يشأ جلالته ان يكون الاعدام أول ما يوقع من الاحكام ، لذلك صدرت الارادة الملكية بتبديل الحكم بالسجن المؤبد ، وعلى الآن ان اقضي سبع عشرة سنة أخرى في السجن لتنتهي مدة هذه الاحكام .

حسناء جواد

— ٢ —

حسناء جواد أو (احسان) كما يسميها ابواها بدافع الدلال ، في الخامسة عشرة من العمر أخرجها أهلها من المدرسة قبل ان تنهي الصف الاول الابتدائي في النجف لكي تتعلم الخياطة في البيت ، وقد تعلمتها فعلاً وبدأت تشتغل في البيت بالاجرة .

قالت ان امي كردية من الشمال لذلك ، كثيراً ما زارنا بعض أقرباء أمي وأقاموا عندنا ضيوفاً عدة أيام ، وفي هذه المرة كان من ضيوفنا فتاة كردية جاءت بها مناسبة زيارة (النجف) لتقضي عندنا أياماً ، وذات يوم خرجت مع هذه الفتاة في زيارة أصدقاء لنا لم يسع أمي ان تصحبنا اليهم ، وكان بالقرب من بيتنا محل للخياطة يديره خياط يقيم في بيت تفصل بيننا وبينه ثلاثة شوارع .

وحين دنونا من المحل ماشيتين بدت من الخياط بعض التحرشات الدالة على المغازلة السمجة بالفتاة الكردية قابلتها الفتاة بالاستنكار والاحتجاج الصارخ ، وجرت بعض المناوشات بسبب ذلك بيننا وبين الخياط المذكور ، وحين بلغ الخبر أم الفتاة جاءت إلى النجف وتجدد النزاع بيننا وبين الخياط من جديد ، وكان الخياط المذكور قد اعتذر لنا قبل هذا بانه لم يدر ان الفتاة المذكورة تخصنا ، وانها من ضيوفنا ، وسويت القضية وانتهى الأمر .

ومرت بضعة أسابيع حين فوجئنا بزوجة الخياط تدخل بيتنا لتسألنا عما إذا كنا قد رأينا ابنتها الصغيرة التى لم تبلغ بعد الرابعة ؟ فأجبناها بالنفي ، ثم عادت مرة أخرى لتبحث عن ابنتها في بيتنا ففسحنا لها في المجال لتفتش البيت زاوية زاوية .

وسعينا في البحث عن السبب الذي يحمل الخياط واهله على ان يخصونا دون غيرنا بالتفتيش ، أهو ذلك الحادث السابق الذي اشرت اليه أم أن شيئاً جديداً قد وقع ونحن على غير علم به ؟ وعلمنا أخيراً ان جارة لنا اسمها (حكمة) ـ وهي في السادسة والعشرين من العمر . تعمل في بيتنا وفي بعض البيوت الأخرى مقابل بعض الفائدة ـ هي التي دلت هؤلاء على بيتنا وهي التي ادعت بانني انا التى استدرجت الطفلة إلى بيتي وأدخلتها فيه ، فلم تخرج الطفلة بعد ذلك من البيت ، لذلك كنا نصر حين تمر أم الطفلة المفقودة ببيتنا كنا نصر على وجوب تفتيش بيتنا تفتيشاً دقيقاً في جميع مظانه .

وجاء بعد ذلك أهل البنت يطلبون منا ـ وهم على استحياء ـ السماح لهم بتفتيش بئرنا ، فقال لهم أبي انني لست اسمح لكم بتفتيش البئر فحسب ، وإنما أنا مستعد لدفع الف دينار إذا وجدت ابنتكم عندنا ، وبالطبع كنا جميعاً واثقين بأن اتهامهم إيانا ليس إلا مجرد ظنون وأوهام مبعثها تلك الحادثة السابقة التي قوتها في اذهانهم الخادمة (حكمة) .

وجيء بمن ينزل البئر ـ وآبار النجف كما تعرف ـ عميقة بعيدة الغور ، ليس بوسع كل أحد ان ينزل فيها ، وإلا لما توانى ذلك الجمع الذي بدأ يزيد عدده دقيقة بعد دقيقة عن النزول جميعاً إلى البئر بداعي اهتمامهم بالقضية أو بداعي حب الاستطلاع .

ونزل النزال ، وبعد ما يقرب من ربع ساعة صعد الى الأعلى معلناً بأنه وجد الطفلة طافية فوق الماء ، فهاج البيت وماج ، وأخبرت الشرطة بالخبر ، واستخرجت جثة الطفلة وحملت إلى المستشفى ، وتوجهت التهمة إلي ، وحمل أهل الطفلة وذووها على بيتنا فكسروا زجاج النوافذ وحطموا الراديو ، وبعثروا جميع الامتعة .

وبدأ التحقيق يجري معي في الشرطة باعتباري انا التي القيت الطفلة في البئر بشهادة المرأة (حكمة) ، واوعز إلي بأن اتهم (حكمة) بالقائها الطفلة في بئرنا وان أقول في المحكمة بأني قد سمعت وأنا في الطابق الثـاني من البيت صوت (جناجل) الطفلة ، وحين اطللت من فوق ، رأيت (حكمة) تلقي بها في البـئر وتخرج من البيت .

ولم أود أن أقول ذلك ولكني قلته تحت تأثير الايعاز ، فجرحت المحكمة اقوالي هذه ، وبرأت ساحة (حكمة) وانحصرت التهمة فى قتل الطفلة بى أنا بداعى الانتقام ، وحكمت علي المحكمة بسبع سنوات . . . ! !

حسان الذخيرة

— ٣ —

ومن حديث الانتقام وعدد من المساجين قد ضربوا حولي نطاقاً يحدثونني عما يعرفون من قصص الانتقام التي كانوا هم – أو بعض من يمت اليهم ، من المعارف ، والاصدقاء ، والأقارب – أبطالاً لتلك القصص ، وكان بالقرب منا سجين كان موظفاً قبل أن يسجن ، ومن الموظفين المعروفين في حقله ، جلس يصغي إلي هذه الاحاديث بشوق ، ويؤمن عليها بالايماء كلما ختم المتحدث جملته أو أوشك أن يختمها .

وحين توجهنا اليه ، أو قل وحين لم يبق أحد لم يرو شيئاً مما يعرف ، ابتدأ هذا الموظف السجين الكلام بأن زفر زفرة خفيفة وقال :

وفي الصيف ، وفي الوقت الذي تتعطل فيه الأعمال كليــة أو تخف بعض الشيء وتغلق المدارس ابوابها انتجاعاً للراحة وتوقياً من هجير القيظ ينشد هنالك الناس راحتهم في المصايف أو المتنزهات وينتشرون على قدر ما تسمح به الظروف والأحوال في الجهات البعيدة والقريبة من مواطنهم ومساكنهم .

اما نحن فقد كنا نقصد – في كل صيف يتاح لنا فيه أخذ الاجازة – اسرة ريفية كانت تقيم على الضفة اليمنى من دجلة ، وفى قرية صغيرة مجهولة هي أقرب إلى مدينة (الصيرة) منها لأية قصبة أخرى . وكانت هذه الاسرة تشتغل بالفلاحة ، وكان لها بنا وبآبائنا اتصال منذ زمن بعيد يعود رفع الكلفة بيننا اليه وحده ، فكنا نقضي عندهم من كل سنة شهراً أو بعض شهر حسب الاجازة ، يعمل ويسرح كبارنا مع كبارهم فى المراعي والحقول ، ويلعب صغارنا مع صغـــارهم حول البيوت ، ومع الكلاب ، والدجاج ، والحملان .

وكانت الاسرة تتألف من رجل شيخ كان صغارنا يدعونه (جدّهم) فينادونه (جدي فليّح) ومن زوجته العجوز وكانوا يدعونها (جده سكينه) ، وكان للجد فليح وللجدة سكينة اربعة أبناء اكبرهم في العقد الرابع ، وأصغرهم في أوائل العقد الثالث ، وقد تزوج الاعضاء الأربعة وانجبوا عدداً من الاطفال وكانت لهم اختان تزوجت الكبرى وانتقل بها زوجها بعيداً فلم نعد نراها بعد زواجها إلا نادراً ، وبقيت الأخرى فى بيت ابويها وهي أصغر أولاد فليح .

ولقد اوتي أبناء فليح من القابلية الجسدية والاستعداد للعمل ماجعل انتاجهم الزراعي والحيواني مطمح انظار طبقاتهم من الفلاحين . وهم وان لم يملكوا هذه الأرض ولكنهم كانوا الصق بها واكثر استغلالاً لها من مالكها ، وافهم الفلاحين بكيفية الافادة منها ، ومما يملكون من قطيع فيه العشرات من رؤوس الغنم ، وبضع بقرات ، وكثيراً ماهادونا بمنتوجها في كل مناسبة تستدعي مجيء أحدهم إلى بغداد .

ولطالما بعثت الجدة (سكينة) لاطفالنا بعدد كبير من البيض وقد صبغت كل قسم منه بلون أو أكثر من الالوان الجذابة ، ولطالما بعثت لنا بحمل خضبت ناصيته البيضاء بالحناء . وبعدد من الدجاج .

وكنا نشهد النعمة عندهم تكاد تفيض فيضاً سنة بعد أخرى فيزداد نشاطهم ويكثر انتاجهم وتطفح بيوتهم بالخيرات ، وقد بدت آثار النعمة ظاهرة فى مأكلهم ، وملبسهم ، ومسكنهم ، وحين غمرت مياه الفيضان في إحدى السنين مزرعتهم ، وحين خربت بيوتهم ، ودفعت بهم وبمواشيهم بعيداً لم يستطع غضب الطبيعة هذا ان ينال منهم مطلوبه ، فقد عادوا إلى ارضهم وبنوا بيوتهم بأحسن مايبني القرويون ، وجددوا بعض فراشهم ، وبعض آثاثهم ، ولم يمر بعض زمن حتى كانوا يملأون العيون والنفوس بما كان يبدو عليهم من مظاهر البهجة النسبية ورغد

العيش . وآل الأمر بهم إلى أن يخصوا جانباً من إحدى بنياتهم الطينية بالضيوف وان يجلسوا فيها كل أمسية بعد ان يعودوا من الحقول فيجتمع حولهم عـــدد من الجيران للتنادر وشرب القهوة .

ولقد كنا نشعر بالسعادة تظللنا طوال أيام الصيف التي كنا نقضيها عندهم ، ولولا ما كان يكدر مسامعنا من أصوات طلقات البنادق التي تخترق سكون الليل والتي ترعب أصداؤها البعيدة نفوسنا لـكانت هذه الفترة من أسعد فترات العمر على الاطلاق .

وكثيراً ما سأل صغارنا الجد (فليح) عن مصدر هذه الطلقات وعما إذا كان بالامكان القضاء عليها فيجيب ضاحكاً بأنها أمور طبيعية لا ينبغي ان يخافها أحـد فهي اما صدى لملاحقة اللصوص ، أو نتيجة لأخذ الثار ، أو انها عنوان فرح أو حزن عند بعض القرى ، ويعود صغارنا يسألون الجد فليح : ولـكن متى يتم القضاء على اللصوصية وعلى الاخذ بالثار وتبادل اطلاق الرصاص يا جدي ؟ فيغرق الجد فليح في الضحك ويقول :

ان صاحب البندقية الخرساء التي لا يسمع أحد صوتها جبان يا أولادي أبعدنا الله وأبعدكم عنه !!.

ويبدو ان أولاد (فليح) قد لمسوا ما تجنيه الشركة المتكاتفة من خير وثمر فعملوا من حيث يدرون أو لا يدرون على رعاية هذه الشركة وأولوها عناية كبيرة ظهرت آثارها في هذا الصفاء البادي على الجميع في ساعة العمل ، والتعب ، والراحة ، والسكون ، وظهرت آثارها فيما بدأت تدر عليهم من أرباح أحسنوا استغلالها في غرس الاشجار ، وخدمة المزرعة ، والعناية الـكبيرة بقطيعهم ، ومن يدرينا فقد كانت تـكون مزرعة فليح نموذجاً من أصلح النماذج لو أن الامر مشى في طريقه على هذه الوتيرة .

وذات مساء من سنة ١٩٥٠ ونحن نقضي جانباً من الصيف عنــدهم ، سمعنا صوت (ثامر) وهو أصغر أبنــاء (الجد فليح) ينادي اخته من وراء البيت صائحاً : . . « علاهن . . علاهن » . ثم سمعنا علاهن تقول وتؤكد .

— « اجيتك . . اجيتك » .

ثم دوى صوت طلقة نارية . . . هب الجميع ـ ونحن من بعضهم ـ على أثرها فاذا (بعلاهن) تتقلب ذات اليمين وذات الشمال ، وإذا بالدم يفور من صدرها كما يفعل انبوب الماء حين ينفجر واكثر ، ثم إذا بعينيها تتلفت . . ولم نسمع منها اكثر هذه الكلمة :

— ليش ؟ . . ليش ؟

وقد كررتها مرتين ثم غارت عيناها ، واصفر وجهها . . وقد بدأ فوران الدم يتحول إلى سيل فاتر ، وأخذت أنفاسها تتضاءل حتى خمدت ! !

وجرى التحقيق فظهر ان نزاعاً قد حدث بين ثامر وأحد الفلاحين فعيّر هذا الفلاح ثامراً ، واتهم أخته (علاهن) باتصالها الشائن بفلان (وقد سماه . .) ولكن الكشف الطبي جاء ينفي هذه التهمة ، وعجز الفلاح أن يدل على مصادر أقواله فسجن بعض الوقت ثم اطلق . أما ثامر فقد حكم عليه بالسجن سبع سنوات جزاء قتله لأخته البريئة . .

أسمعت كيف تنزل الصاعقة على تل من الهشيم فتذروه في الهواء شرارات مشتعلة لا تكاد تخمد ذراتها وتتهاوى حتى تتلوها ذرات أخرى تتصاعــد إلى عنان السماء ؟ هكذا اشتعل بيت (الجد فليح) بكباره ، وصغاره ، ورجاله ، ونسائه . فلم يعد لذلك الوجه الباسم المشرق من تلك الحياة الهانئــة اثر لتلك الجاذبية الاخاذة ، حتى الخراف ، وحتى العجول ، لقد بدأ على ثغائها وخوارها ما يشير إلى استيحاشها وتحسسها بخلو البيت وان يكن مليئاً . .

ترى اين كانت هذه النكبة مخبوءة ؟ وكيف وبكل هذه السرعة قد اختفت (علاهن) في بطن الارض ؟ وكيف وبهذه السرعة قد طوى السجن ثامراً بين قضبانه ؟...

ومر شهر وبعض شهر على خروج الفلاح المذكور من السجن فاذا برصاصتين تقر احداهما في صدره والاخرى في رأسه ، وإذا بالتحقيق يكشف عن ان (عاجلا) وهو الابن الكبير (للجد فليح) هو الذي يغتال (الفلاح) المذكور انتقاما لاخته المتهمة البريئة ولأخيه السجين ثامر !!

ويفر عاجل من العدالة ، وتزداد الدنيا حلكة في عيون هذه الاسرة ، ويعشي الباقون فى حذر من رد الفعل ، ومن مقابلة الانتقام بالانتقـام ، فلا ليلهم ليل ، ولا نهارهم نهار .

ان الولدين الباقيين لا يعملان في الحقل إلا والسلاح إلى جنبهما !! وانهما لا ينامان حتى يستيقظا على النأمة الخفيفة ، والبارقة الطارئة ، ليأخذا أهبتهما ، وليحولا فوهة البندقية إلى مصدر الصوت أوالضوء الخاطف خشية ان ينتقم منهما أهل القتيل ، وقضت الاسرة كلها أياماً وساعات ، بل قد قضت شهوراً وأسابيع ، وهي من الحذروالحيطة فى فزع وهلع لا يوصف ، حتى ظهرت من بين شقوق ذلك (المضيف) وحجرة الضيافة ـ ذات ليلة ـ فوهة بندقية لم يحس الجالسون إلا وقد انطلقت منها رصاصة دخلت من جانب (الجد فليح) وخرجت من الجانب الثاني بعد ان مزقت له احشاءه... فهب الابنان ، وقد كان أحدهما حاضراً مصرع أبيه وكان الثاني على بعد قليل يعالج أمراً من الامور وراحا يعقبان الفار ويطلقان عليه الرصاص ، ولم يعرفا ان هنالك بعض اخوان للقاتل الفار يسندونه من وراء كمين قريب حتى واجها الخطر وجهاً لوجه فسقطا مضرجين بدمهما ، وقد مزق الرصاص جسديهما تمزيقاً . . . !!

* * *

وانطفأ ذلك السراج الوهاج ، وتقلص في، السعادة شيئاً فشيئاً وتشتت النسوة وقد قصدت اثنتان منهن اهلهما واستصحبتا أولادهما معهما ، وتزوجت الثالثة ولم يبق مع الجدة (سكينة) إلا زوجة ثامر وابنها الفطيم (حسان) .

وقال السجين : ـ

ومرت ثلاث سنوات انقطعنا عن زيارة هذه الاسرة وقضاء أيام الصيف إذ لم يبق منا من يطيق أن يرى هذا الوجه الكالح ، وهذه الدنيا العابسة ويصبر على مايرى كأن لم يسمع شيئاً ولم ير شيئاً .

وذات يوم اندفع الباب ، فاذا بالجدة سكينة وكنتها وفطيمها حسان ..!! فلم يبق في البيت من لم يخرج مستقبلاً ، ولم يبق من لم يصرخ في وجه الجدة باكياً .

انهم استبطؤنا فشعروا بوحشة كما شعرنا نحن من جراء انقطاعنا عنهم، فجاؤا يزورونا ببغداد لقد كانوا في ألبسة رثة ، وحال تدل على فقر مدقع ، هاج من نفوسنا كوامنها فلم نقو على تمالك انفسنا من الانفجار باكين ، وبدل ان تندفع الجدة سكينة معنا بالبكاء ، وبدل ان تهيج ، راحت تطيب خاطرنا ، وتجفف دموعنا وتقول وتكرر :

— ان البركة في الباقين . . . ان في الباقين البركة يا أولادي . . وحين رأتنا لم نزل هاجين باكين ، راحت تفسر معنى قولها : (ان البركة في الباقين) فقالت :

— لا محل للبكاء ، فأنا لا أزال قوية الامل بعودة ابني الهارب ، وانتقامه من القتلة وأخذه بثار أبيه واخويه !؟ وإذا عز عليه ذلك فانه لم يبق بين انتهاء مدة سجن (ثامر) إلا القليل ، وسيكون هو الكفيل بأخذ الثار .

ثم قالت — ولنفرض جدلاً ان ثامراً هو الآخر قد فشل ، فان في حفيدي هذا الكفاية .

وهنا حملت حفيدها الفطيم بين يديها ، وسألته وإذا كبرت فماذا انت فاعل يا حسان . .

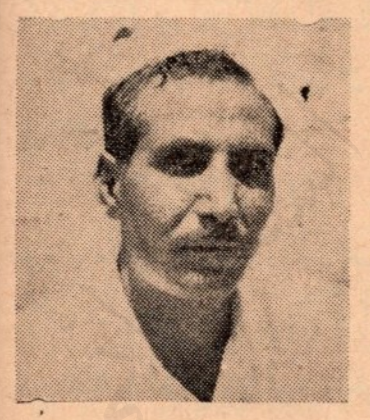
ــ وبسذاجة الطفولة ولغته الريفية اجاب قائلاً : ــ

اكتلهم واحرج ابوهم ...

مهدي احمد الوكع

ــ ٤ ــ

لقد انهكه السجن وأذا به فبدا نحيفاً خائر القوى ، ولولا بريق عينيه والابتسامة التي تلوح على شفتيه بين آونة وأخرى لنمت كل ملامحه على الخمول وحتى هذه المحافظ النسوية الدقيقة التي يحوكها من صغار الخرز الزجاجية الملونة والتي اصبحت ديدنه ... حتى هذه المحافظ لا تعبر إلا عن فتور وسأم ، ومن ... ومن الذي لا يفتر ولا يسأم ولا يبدو نحيفاً خائر القوى إذا حكم عليه بثلاثين سنة ...؟ وقد قضى هذه السنوات كلها في السجن باستثناء أربعة شهور ولم يبق له الآن إلا سنة يقضيها ويخرج .



مهدي احمد الوكع

ومهدي أحمد الوكع في السادسة والثلاثين من العمر من سكان مهروت ناحية (كنعان) يملك أرضاً مشاعة بينه وبين أقربائه وبسبب هذه الارض وقعت هذه الجريمة .

قال ـ مهدي :

وكان لي عم كثيراً ما سببت هذه الأرض التي نملكها شجاراً ـ بيننا وبينه ـ ولكنها لم تؤل يوما الى جريمة ، ذلك لأن جهاز الجريمة ـ حين كان يقع النزاع بيننا ـ كان مفقوداً ، وذات مرة شاءت المصادفة ان يكون سلاحي معي ساعة النزاع وما اسرع ما وجهت البندقية اليه ، وأطلقت الرصاص فأرديت عمي قتيلاً وقد حكم علي بعشر سنوات من أجل ذلك .

وأتممت المدة في السجن وخرجت وأنا أشد ما أكون ندما على ما فات وصممت على أن أغسل جريمتي بالتودد إلى أولاد عمي الثلاثة ، وكان اثنان منهم لم يزالا صغيرين بعد ، فقد قتل عمي واكبرهما لم يزل دون الخامسة ، ولكن خالي الذي ضمني اليه ساعة خروجي من السجن عارضني في هذه الفكرة ، وقال لي انك غر لا تفهم بعد القواعد ، لأن ابن عمك الكبير لن يترك دم أبيه يذهب هدراً وسيقتلك حتماً ثما من ذلك مناص ، وان استطعت ان تروضه وتقتل في نفسه روح الانتقام المتغلغلة في أوساط الشعب وفي وسط العشائر العراقية خاصة ، فلا تستطيع أن تأمن شر أخويه عندما يكبران ويعرفان فيك قاتل ابيهما ، ويسمعان من الافواه ان قاتل الأب لا يترك حياً ، وان على أولاده ـ إذا كانوا أولاده ـ أن يأخذوا بثاره وان كلفهم الأمر ما كلف . .

ومع ان خالي لم يترك وسيلة دون ان يضرب لي مئات الامثال على صحة رأيه ، وعلى خطلي ، ان انا استسلمت لفكرتي ولم احتط من أبناء عمي ، فأني دنوت منهم ، وزوجت أختي بالكبير ، وتزوجت أنا بابنة عمي (أخته) ، فغاض ذلك خالي ، ولكن كل شيء هناك كان طبيعياً ، وخرجت من بيت خالي ، وآويت إلى أولاد عمي ، ومرت على ذلك أربعة شهور ، أربعة شهور لا غيرها حين أصبح ذات يوم ابن عمي الكبير قتيلاً ! ! ولا أدري كيف حامت حولي

الشبهات وقبض علي ، وحوكمت ، وكانت الأدلة كلها والقناعة الحاصلة تكفي لحبك التهمة حولي ، وكان خالي من الساعين والعاملين على اتهامي ! ! وكان من السهل ان تعزى أسباب قتل ابن عمي الى تخوفي من انتقامه مني ، واحتياطي الشديد من بطشه بي ، بالاضافة إلى ماكان من اجرامي الماضي الذي يؤيد روح الشر فيَّ ، فصدر الحكم علي بالسجن المؤبد ، ومع ذلك فلم تنته قضية الانتقام إلى هنا بل لقد كبر الولدان الآخران ، وظهر لهما مما وقعا عليه من الادلة بأن قاتل أخيهما لست أنا وإنما هو خالي الذي كان يريد بقتل اخيهما أن يوسع شقة الخلاف بيني وبين أولاد عمي لذلك عمدا إلى خالي فقتلاه وسجنا من أجل ذلك سبع سنوات وانتهت مدة حكمهما منذ زمن ، وبقيت أنا لأنهي مدة حكمي التي لا تقل عن سنة .

* * *

واننا وان كنا لا نملك من الادلة التي تحملنا على تأييد هذا الاعتراف تأييداً مطلقاً أو طفيفاً فاننا لا نستطيع بأي وجه ان ننفي امكان وقوع الحقيقة التي تضمنها هذا الاعتراف .

ففي مثل هذه الامور يجب ان يفتح باب التحقيق من جديد في المحاكم ، خصوصاً بعد وقوع جريمة الخال .

وان تناقش مثل هذه الامور مناقشة كافية ، فما يدرينا ان لا يتوصل القضاء إلى أدلة جديدة تدين (الخال) الذي حدثنا عنه السجين ؟ فيثبت لدى المحاكم انه هو الذي قتل ابن عم (مهدي أحمد الوكع) وليس مهدي القاتل كما يقول ، وان الافاضة في أسباب قتل الخال من قبل التحقيق والمحكمة هي التي توصل إلى النتائج المطلوبة .

ان أمثال هذه القضايا ربما كانت كثيرة ، وكثيراً ما تضافرت الادلة على ادانة الشخص حتى إذا حكم عليه ومرت على حكمه سنوات ظهرت هنالك أدلة جديدة تثبت براءة المحكوم ، ولكن المحاكم ، والحكام ، والظروف تكون حينذاك قد تغيرت وتبدلت فلا يتصدى على الغالب أحد للسؤال عن المحكوم الأول وعن مصيره ، أما المحكوم فلربما ـ بل على الغالب ـ لا يفهم مثل هذه الامور ليستلفت اليها الانظار ويوصل أمره إلى الادعاء العام ، ولقد وجدت في السجن بعض السجناء الذين تضر السلسلة التي يرسفون بها باحدى رجليه أو بكلتيهما ضرراً صحياً اما لوجود الدمامل ، أو لاصابة العظم بالكسر ، وغير ذلك ولكن السجين لم يدر للآن ان القانون يضمن له أن يطلب اجراء الفحص الطبي عليه وفك السلسلة من رجليه ، لذلك فليس بالبعيد إذا ما جهل السجين طريق لفت الانظار إلى نفسه فى مثل هذه الاحوال .

وعلى هذا كان ينبغي على وزارة العدلية ان تتوسع كثيراً في مثل هذه الدراسات وان تستعين بخبير عدلي تضمه إلى السجن لدرس مثل الأمور والولوج إلى السجن بين آونة وأخرى لتلافي الحيف بالطرق القانونية فليس من الهين بقاء مظلوم ـ إذا وجد ـ في السجن ساعة واحدة فضلاً عن سنين متواصلة .

* * *

قرأت في هذه الايام وأنا اكتب هذا الفصل ان القاضي فرديونغ قاضي إحدى محاكم (مانهاتان) في الولايات المتحدة قال وهو يصدر حكمه بالزام ولاية نيويورك بدفع تعويض قدره ١١٢ الف و٢٩١ دولاراً للسيد لويس هوفنر قال يخاطب لويس :

« ان هذا المبلغ الذي احكم لك به هو ليس إلا تعويضاً رمزياً . . . فأنا واثق

ان جميع ثروة ولاية نيويورك لا يمكن ان تعوضك عن العذاب العقلي والبدني الذي قاسيته طوال اثني عشر عاماً عنــدما حكم عليك بالسجن اشتباهاً بدعوى انك قاتل . . . »

والجدير بالذكر ان لويس هوفنر دخل السجن وهو في السابعة والعشرين وافرج عنه في هذا الاسبوع ، وهو على حدود الأربعين أي أن زهرة شبابه كلها انقضت في السجون .



هوفنر – قال القاضي ان ثروة نيويورك كلها لا تكفي لتعويضه

داود سلمان

— ٥ —

هو الآن في الثانية والثلاثين من سكان بغداد وقد ترك المدرسة قبل ان يتم الصف الثالث من الدراسة المتوسطة ليشتغل مشتركاً مع غيره بشراء السيارات المستعملة والادوات المستهلكة فيصلحها ويبيعها من جديد .

وتزوج داود سلمان من ابنة خالته ولم يجر زواجه برغبة منه لذلك لم تستطع هذه الزوجة ان تسد الفراغ الحاصل في نفسه ولكنه كان يعاملها بمعروف لأنها من أرحامه ولا بد له ان يفعل ذلك راقت عينيه أم لم ترق ، ولأول مرة يحس

داودسلمان بانه قد وجد الفتاة التي تستطيع أن تملأ فراغ نفسه ، وها هو ذا يتحدث عن قصته بنفسه قال :



داود سلمان

لم أعرف ـ قبل أن أحب ـ شيئاً من معاني الحب ، على رغم كوني شاباً وقلما خلت حياة الشاب من الحب ، بل لقد عجبت من صديق لي كيف سمح لنفسه أن يحب فتاة ثانية وهو قريب عهد بالزواج ؟ وكنت أشد الناس لوماً له وتعنيفاً لغرامه بل لقد استعانت امه بي لشدة ما تعرف عن استنكاري لمثل هذا الحب الطائش الذي يحمل المرء على الرغبة عن زوجته والارتماء في أحضان العشيقات ، ذلك لأني لم أذق طعم الحب بعد ولم أفهم ان الحب حينما يدخل حياة الانسان يعمي منه البصر والبصيرة فلا يكاد يفهم شيئاً غير الحب .

وشاءت الاقدار ان يضمني ـ ذات ليلة وجمعاً من الاحباب ـ مجلس شراب وانس ، وكثيراً ما كانت تضمني مثل هذه المجالس انشد فيها السلوى المفقودة في كنف زوجتي ، ذلك لأني تزوجت على غير حب ولكني لم اكره زوجتي ولم انفر منها

وفي هذا المجلس لمحت فتاة وسيمة ، لطيفة ، كانت الفتنة تنبعث من جميع ملامحها فلا تكاد تقع عليها العين أو قل لم تكد تقع عليها عيني أنا حتى تسمرت فلم تعد تطيق التحول عنها إلى من كان في ذلك المجلس من امثالها .

وسألت عنها ، فعرفت أنها يهودية اسلمت لتتزوج من طالب مسلم وقد نقم عليه اهله ونبذوه فلم يطق الاحتفاظ بها والانفاق عليها فطلقها فراحت ترتاد البيوت (المشبوهة) بتحفظ نسبي .

وقبل ان يرفض اجتماعنا في تلك الليلة استطعت ان احدثها ، وان اتفق معها على موعد يجمعنا نحن الاثنين معاً للتحدث بصورة أوسع .

وجاءتني في اليوم التالي حسب الموعد إلى (ميامي) وكنت قد حسبت الساعات ساعة ساعة ، ودقيقة دقيقة ، منتظراً حلول الوقت الموعود ، ذلك لاني كنت قد احسست بما يشبه النار المشبوبة في قلبي .

وآمنت بانها هي وحدها التي تستطيع ان تخمد هذه النار إذا شاءت ، وتحدثنا طويلاً وادركت بانها تحسن الاعراب عن خوالجها جيداً فقد استطاعت في بضع دقائق ان تجعلني واثقاً منها ، مطمئناً بصدقها ، عاذراً إياها ، كما استطاعت في مثل تلك الدقائق ان تجعلني مغرماً بها ، مفتوناً بجمالها ، بعد ان كنت اهزأ من الحب ، وأسخر بصديقي المفتون قبلي .

وعلمت منها انها قد اضطرت الى (الانحراف) بعد طلاق زوجها الشاب ، فقد صارت مسلمة ، وقد صار رجوعها إلى اهلها شيئاً غير ممكن وانها لتغمس خبزها بالدموع حزناً على ما آلت اليه حالها .

ثم رأيت بعيني ـ هاتين ـ دموعها المنسكبة ، وسمعت باذني ـ هاتين ـ نحيبها ، ولمست بيدي رجفة اعضائها وهي تقص علي قصة ماضيها ، فاتحدت العوامل كلها : عامل الحب المفاجيء ، وعامل الانسانية والشفقة ، وعامل عزوف قلبي عن زوجتي ، فجعلت مني بسرعة عجيبة رجلاً ينوي ، ويقول ، ويعمل ، في آن واحد ، فلم تنه الفتاة حديثها بعد حتى سألتها عما إذا كانت توافق على السكنى معي في جانب من البيوت المستأجرة على أن أقوم بكل تكاليفها ؟

فأجابت بالايجاب وعدت ذلك صنيعاً مشكوراً .

واعتذرت لها من ضيق حالتي المادية التي لاتسمح لي بأن أفرد لها بيتاً مستقلاً كاملاً ثم بدأت أنفذ وعدي ، فاستأجرت لها جانباً من بيت ، وأثثته بما ينبغي ان يؤثث بيت لمثلها وزيادة .

وعشنا أياماً بلغ خبرها زوجتي وأختي فأعلنا علي الحرب ، ومعنى اعلان الحرب عند زوجتي وأختي هو القطيعة ، وتلقيت هذه القطيعة بعدم الاكتراث فلم أمر بزوجتي ، ولم اسأل عنها ، كما لم أمر ببيت اختي المتزوجة - والتي كان لها شيء من الفضل علي في تنازلها لي عما ورثت من أبوي - ولم اعتذر اليها .

وفتحت مسكني هذا في وجه أم عشيقتي ، وأخيها ، واحسنت اليهما ، وكانا من اليهود الذين طلبوا اسقاط الجنسية العراقية عنهم ، فكانا يتهيآن لاكمال المعاملة ومغادرة العراق .

وجاءتني عشيقتي تقول انها لم تعرف بعد (تكليفها) إذا ما سافرت أمها واخوها الى اسرائيل ؟ وانه من الخيران تطلق لها حريتها لتوجد عملاً ، او تسافر مع امها ، إذا كنت راغباً عن الزواج بها ، وإلا فان حياة قلقة كهذه ليست مما تطمئنها وتطمئن امها المزمعة على السفر وهي بعيدة عنها ؟

ورأيت في طلبها الحق ، ومشيت إلى المحكمة الشرعية فسجلت زواجي بها ، وسافر اخوها وامها - كما قالت - فرحين بهذه النتيجة ، وبعد اسبوعين او اكثر ، عادت الام لتخبرنا بأن الذي سافر كان ابنها وحده ، وانها لم يتيسر لها ان تسافر معه وكل رجائها ان نسمح لها ولو كخادمة في البقاء الى جانب ابنتها عندنا ، فلم اجد في ذلك ضيراً ووافقت ، ومنذ ان التحقت الام بنا بدأت اشعر ان الاحوال لم تعد كما كانت ، وان زوجتي ليست على بعضها كما يقولون ، وانني طفقت احس بما يشبه الغربة ، ومع ذلك فقد كان حبي لها يزداد يوماً فيوماً وتزداد هي انكماشاً او جفاء او شيئاً من الانكماش والجفاء يوحي إلي بانها فقدت حرارتها السابقة وانها تسعى بمختلف الوسائل لتتخلص مني .

وبلغ هذا الفتور مسامع الاصدقاء وبعض الاقرباء فخاطوني من جميع الجهات وضربوا لي مئات الامثال على ان الزواج على هذه الشاكلة ومن هذا النوع من

النساء زواج غير مضمون وغير مأمون ، وانها لفرصة سعيدة لو استغللتها فطلقتها ثم عدت إلى زوجي وولدي عائشاً في ظلالهما .

وما زال هؤلاء يشحنون ذهني بالمواعظ والنصائح ، وما زالت هي تريني وجوهاً نكراء حتى اضطررت وانا مرغم الى ان اطلقها فطلقتها ، ووهبت لها كلما كان لي من أثاث ومتاع وعدت إلى زوجتي وطفلي استرضيهما واستغفرهما واطلب المعونة منهما على نسيان عشيقتي ، ولكنها كانت صدمة عصبية قوية ذهبت بنومي وذهبت بشهيتي للطعام ، وذهبت بما كنت املك من ظرف ولطف وسفه ، وكانت حالتي تشتد كلما جاءني خبر بأنها تعاشر اليوم جماعات فيهم من اعرف ، وفيهم من لا اعرف ، وانها قد عادت إلى سيرتها الأولى من ارتياد الدور (المشبوهة) وتأسيس علاقات جديدة مع احباء جدد .

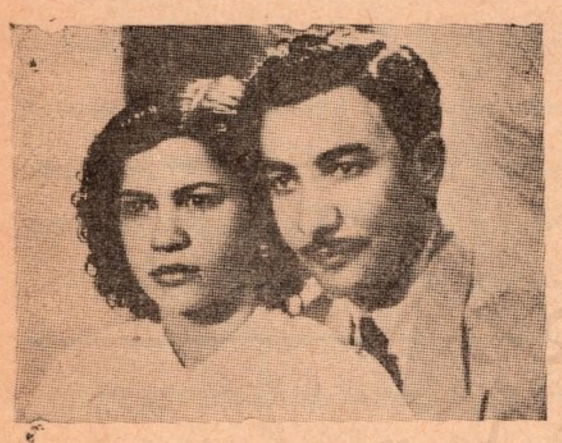
وعولجت لدى اختصاصيين بأمراض الاعصاب حتى تحسنت حالتي بعض التحسن ولكني لم انسها . ولا أحسب اني قادر على نسيانها حتى ولو صممت اذني عما اسمع ، وأغمضت عيني عما أرى .

وألفيتها هي وأمها مساء يوم وأنا أمر بالصيدلية لشراء دواء جديد ـ قال الطبيب انه يريد ان يجربه في تهدئة الاعصاب معي ـ فكان سؤال وكان جواب ، وكان استغراب منها عما صرت اليه من هزال وما بدا علي من انهيار ، فاخبرتها بالواقع ، وقلت لها انني لم يغمض لي جفن منذ ان فارقتها ، ولم يهنأ لي عيش منذ ابتعادها عني ، واني قد آمنت الآن بأن الحياة بدونها ستكون معدومة .

وقلت الشيء الكثير عن حبي ، وقالت هي الشيء الكثير عن عتبها ، وجددنا العهد هناك بأن استأجرلها جانباً من بيت ، وان نتكتم جهدنا لئلا نثير ثائرة زوجتي التي لم تغتفرلي الزلة السابقة إلا بما يشبه المستحيل من خضوعي والارتماء على قدميها والايمان الغليظة باني غير عائد إلى مثل ما كنت فيه .

وعدنا إلى وكرنا القديم ، وعلمت زوجتي بعودتي ، فقالت انها كانت تتوقع ذلك منذ أول يوم عرفتني عاشقاً فهي غير ملومة على هجرها إياي وعدم صفحها ، عني وقررت ان تتجاهلني بالمرة وان لا تفتح بابها في وجهي بعد هذا .

وقضيت أياماً إلى جانب عشيقتي هذه ناعماً بالسعادة ، هادىء القلب والاعصاب وقد جددت لها الفرش والمتاع واسرفت فى الانفاق على ملبوسها ومأكولها وجهزت بيتها بأحسن مما جهزته به من قبل ، ولكن الهناءة في هذه المرة كانت قصيرة ، فقد



داود سلمان ومريم وهما في أوج أدوار الحب

حدث ما يستوجب الشك في اخلاصها ، ويثير الظنون في سيرتها وقد دخل حياتها أشخاص آخرون غيري فمضيت افكر فيما يجب على ان أعمل لاسيما وقد اصبح رجوعي إلى زوجتي مستحيلاً ، وتخلصي من حب عشيقتي اكثر استحالة ، وعدت إلى البيت مساء يوم فاذا بها هي وأمها قد حملت كلما كان من متاع وأسباب وانتقلت إلي جهة مجهولة !!

وبحثت عنها ... حتى عرفت مقرها الجديد ، فبعثت لها بمن يسترضيها فلم ترض ، وعرضت عليها مختلف العروض لتعود فلم تقبل ، وكتبت لها ، وكتبت لي ، فلم نصل الى حل ، وقضيت أياماً تعسة ليس فيها شيء ولا بعض شيء من الهدوء .

ولقد قضيت ليالي نابية لم أذق فيها طعم النوم ، وليس فيها شيء ولا بعض شيء من الاغفاء .

وتململت على الفراش كأني فوق فراش من الحسك والسعدان ، وطال عذابي

وأطاله علي ما كنت أرى من مماشاة البعض لها وارتياد السينما برفقتهم ، ولم أك أعرف ان الشقاء دركات واني قد هويت الى آخر دركة منه إلا في ذلك اليوم .

وفكرت .. لقد فكرت طويلاً في هذا الذي يجعلها تتبوأ هذه المنزلة من الشموخ ، وتتعالى علي وعلى أمثالي بمثل هذا الغرور المشهود ، لقد فكرت فيه فوجدت انه (الجمال) وحده ، انه الجمال . . . مصدر الغرور ، ومبعث الخيلاء ، وهو هو سر هذا التعالي البادي على هذه العشيقة ، أما التي لا يبعث فيها الجمال هذه البواعث فهي ليست إلا الحورية التي وعد الله بها المتقين في جناته .

انها الحورية وحدها التي لا تعبأ بجمالها فتصرف كل همها في رضى المتقين دون ان تبالي بأشكالهم وسحنهم وعيوبهم الجسمية .

وهداني تفكيري الى ان اقضي على سر الشموخ من عشيقتي هذه فأقفها حيث يجب ان تقف ، وليس حيث يدعوها غرورها ، وافرغ انتقامي في قالب خاص .

لقد هداني تفكيري إلى أن احرمها من هبة الجمال بأن اهيء مقداراً كافياً من (اسيد الكلوردريك) واسكبه في وجهها لأعميها ولأهري جلدته ، واشوه منها أوضح وجوه الجمال وهو وجهها ، وانتقم لنفسي شر انتقام ينتقم به ...!!

وهيأت الحامض المطلوب ، ومضيت ابحث عن الفرصة وانا احمل (الحامض) أياماً في قنينة صغيرة ولكنها كافية لتعمي عينين أوسع من عينيها ، وتشوه وجهاً اكبر من وجهها وأوسع رقعة .

وخرجت من السينما ... وكان برفقتها أحد مفوضي الشرطة ، وفارقته عند مفترق الشوارع مما يلي مسكنها فكانت فرصة كافية ، وكانت مباغتة متقنة ، ومع ذلك فقد سلمت عيناها ، ولم يشوه الحامض غير جانب من وجهها ، وكانت النتيجة ان صدر الحكم علي - بعد ان امتد توقيفي نحو ثمانية شهور ونصف شهر - ان صدر الحكم بالحبس أربع سنوات ، مر منها الآن نحو ثلاث سنين ، ولم يزرني فيها أحد من ارحامي ، لا أختي ، ولا زوجتي ، ولا ابني !!

اما هي... الحبيبة المشوهة الوجه، فقد كتبت لي الى السجن عدة رسائل بخطها وهذه احدى رسائلها :[1]

« . . . وأملي الوحيد هو دوام صحتك التي هي الغاية ، ولا يسعني ان ابين لك الشوق الذي اعانيه : ولا يستطيع لساني ان يترجم معانيه ، فأنا اقطع الليل بالحسبات ، والنهار بالحسرات، فلا تمر علي ساعة إلا وشخصك الأنيس امام ناظري .

. . . واني اوصيك ان تلعب وتلهو مع رفقائك ولا تنقهر ، فانا لك وانت لي حتى ولو بقي آخر يوم من حياتنا ، ولا تعتقد باني أعز أي انسان سواك ، وعلينا ان ننسى الماضي ، ونحسب حساب المستقبل ، واسأل الله ان تقضي سجنك فنعيد أيامنا الحلوة ، ولا نفترق ، حيث نحن الطرفين لا واحد يقدر ان يستغني عن الثاني ، وأنا اريدك ان تقضي سجنك مطمئناً ، وأنا عوض عن جميع اهلك واقربائك . . . الخ »

المخلصة

مريم

شكرية بنت ملا محمود

—٦—

هي امرأة في الخامسة والثلاثين من العمر تزوجت من مطشر ورزقت منه بابنة واحدة زوجها ابوها حين كبرت، وحياة شكرية مع زوجها حياة منكدة منغصة تخللتها اتهامات وشكاوى كثيرة يمس أغلبها الشرف و (الناموس) ولقد القت بنفسها على رجلي تحاول تقبيلهما وتستغيث قائلة :

---

(١) اكتفينا بنقل هذه الفقرات من نص رسالتها التي وضعها داود سلمان تحت اختيارنا .
(المؤلف)

لم يمر طويل وقت على زواجي بالرجل حتى اكتشفت بانه رجل من طراز آخر لا يهمه من أمر الشرف والعرض أي شيء وكل غايته من الحياة ان يحصل على المال بأي طريق كان ، ولقد حاولت التخلص منه مراراً فلم اوفق فكان يحملني على اتيان المنكرات ، ويهددني بالشرطة والحبس كلما حاولت الخروج من ربقته ، ولم يكن كاذباً في تهديده فقد كان اتهمني ببعض التهم التي أصدر بمقتضاها أمراً بالقبض علي كان يحمله معه فيقودني بواسطته كما يقود الذئب الحمل الوديع .

وكنا نعيش ببغداد ، واغرى مرة فتاة على الهرب من اهلها وضمني اليها في رحلة إلى (الديوانية) وهنالك انزلنا على امرأة من سماسرة الرقيق الابيض وعرض بيعنا عليها وقال لها بهذا النص :

« ان لكل من هاتين ثمناً معيناً فاذا أردت الحلوة الجميلة ـ ويعني بها الفتاة ـ فلا أقل من خمسين ديناراً ، وإذا اردت الثانية ـ ويعنيني أنا ـ فثلاثين ديناراً »

وتم البيع والشراء ودفعت المرأة الخمسين وتسلمت الفتاة ، اما أنا فلم تدفع (السمسارة) بي قيمة ! ! لذلك قرر زوجي ان يسافر بى إلى البصرة لبيعي هناك بأي ثمن كان .

وبكيت وتوسلت اليه ، ولكنه لم يلن ولم يعدل عن رأيه ، ولم أجد وسيلة غير ان ابحث عن فرصة تمكنني من الانفلات من بين يديه والهرب من وجهه ، فهربت .

وعدت إلى بغداد ، وبعد أيام علمت بانه جاد في ملاحقتي ، واني إذا لم أقع اليوم تحت مخالبه وقعت غداً أو بعد غد ، شئت أم أبيت ، لذلك صممت على ان اوصل الخبر إلى اهل الفتاة المبيعة ليهتدوا إلى ابنتهم وليعرفوا البائع لعله يقع فى الفخ فلا تقوم له قائمة بعد ذلك وانجو من شره فى هذه المرة نجاة ابدية .

وصدق ظني ولم يصدق . لقدصدق ظني لان الشرطة قبضت عليه وعلى (السمسيرة) في الديوانية وعلى الفتاة المبيعة ، وأوقفت أولئك ، ولم يصدق ظني ، لانه ما لبث

ان خرج من التوقيف وضاعف جهاده في طلبي حين علم باني انا التي اخبرت أهل الفتاة ، فلم يبق لي إلا طريقان وعلي ان اختار احدهما لانجو من ملاحقة هـذا الرجل في هذه المرة نجاة خالصة ، والطريقان هما اما ان اقتل نفسي، أو اقتله، وكانت نفسي تميل إلى الطريق الثاني بداعي الانتقام والتشفي اكثر من ميلها للطريق الأول ، فشرعت ابحث عن السكين الصالحة حتى عثرت عليها وحملتها معي لاغمدهـا في مقاتله في اول فرصة سانحة .

ومرت ايام وتلتها ايام ، وكنت اهم بالخروج من سوق الشواكة بجانب الكرخ ، إذا به يضع يده على كتفي ، ثم يمسك بيدي ويستعين بالشرطة بحكم الأمر الذي يحمله بوجوب القبض علي انى وجدت ، فلم استطع ان انفذ ما انطوت عليه نفسي ، واغرز السكين حيث اريد .

واقتضي التحقيق ان اساق الى شرطة (الكاظمية) ثم الى شرطة (الفضل) ، ورأى زوجي ان هذا العذاب او هذه (البهدلة) كما يسميها الناس كافية لأن تكون قرطاً في اذني وتأديباً لهذه النفس المتنمرة ، فجاء إلى مركز شرطة الفضل ليضع المقدمات اللازمة لاخراجي من التوقيف بالكفالة .

وهنالك رأيت ان الوقت قد حان لأثأر لشرفي ، وإذا لم تصدق ، فقل لراحة نفسي وبأسرع من لمحة الطرف سحبت السكين وهجمت بها عليه ، فكانت ثلاث طعنات سريعة خاطفة لا يستطيع ان يطعنها من لم تذق نفسه مرارة الذل ، والظليمة وحلاوة التشفي بأخذ الثأر ،

وكانت همتي في صعود مستمر حين هجمت عليه ، لذلك جاءت طعنتي الأولى في الترقوة ، والثانية في الرقبة ، والثالثة في رأسه ، ولكنهم خلصوه من بين يدي قبل ان اخلصه، وهاهوذا قد عولج وشفي، وظللت انا لأقضي سنة في السجن ، ولاأعرف بعد ذلك أأستطيع التخلص من هذا الوحش المفترس إذا ما انهيت مدة الحكم أم لا ؟

عباس حسن كافر

— ٧ —

وفي الوقت الذي كنت اهم بدخول الغرفة التي الجأ اليها لاسجل بعض المختزلات ورؤوس الاقلام في السجن ، رأيت شاباً اسمر اللون في نحو الثامنة والعشرين من العمر يقف عند باب الغرفة وحين رآني قال :



عباس حسن كافر

— أأنت بحاجة الى ان تسمع القصة التي لم تنته بعد ؟

قلت — كل الاحتياج .

وفتح لي السجان الغرفة فدخلت ودخل السجين على الاثر فقلت :— ابتدىء

قال — الحقيقة اني اكاد اضيع مبتدأ القصة فلا أدري كيف ابتدىء

قلت — ابدأ كيفما تشاء . وما عليك بعد ذلك شيء ما دامت النهاية مجهولة والقصة غير منتهية كما تقول .

قال — اسمي عباس حسن كافر كنت اعمل سائقاً لسيارة في خط بين الشورجة ببغداد وخارج السوق ، وكان يعمل على نفس الخط الشخص المدعو خضير الصفار ، وكان لا بد ان يحدث شيء ما بيني وبين هذا بسبب المنافسة على رغم كوننا من ابناء بلد واحد هو الاعظمية ، فأدى ذلك إلى عدة اشتباكات ومشاحنات كنا نحسب انها لن تتجاوز هذه الحدود .

وكان لجبار خضير عدد من الاخوان والارحام . وكان لي أنا تسعة اخوة ، خمسة من ام ، واربعة من ام ، وكان لا بد ان ينتقل هذا الفتور الحاصل بيني وبين منافسي لا بد ان ينتقل الى افراد اسرته وأفراد اسرتي فانتقل .

وجاءنا ذات يوم اخونا الصغير باكياً يشكو اعتداء أخ لمنافسنا عليه في اثناء اللعب وكانت الدماء تجري من اطراف اذنيه ومن رأسه فأثار هذا المنظر حمية أخي الكبير المدعو علي حسن كافر ، وهب كما تهب العاصفة المفاجئة فتقلب البيت رأساً على عقب قبل ان يستطيع أحد ان يتدبر أمرها ، ويحتاط لها ، وصاح بأخينا الصغير الشاكي ان يتقدم ، وان يمشي امامه إلى حيث الصبي المعتدي ، وحين بلغ محله في الملعب بين الصبيان ، صاح به قف حيث انت لكي يقتص منك أخي الصغير فيفعل بك ما فعلت به واياك ان تحرك ساكنا .

ودنا أخي الصبي الصغير إلى المعتدي عليه ـ وهو الأخ الصغير لمنافسنا في عملنا ـ وكان اقوى من أخي ، وأجلد ، وافتك ، ولكنه لم يستطع ان يعمل شيئاً لوقوف أخي الكبير ، وأمسك اخي الصبي به من اذنه جراً ودفعاً بينه وبين الحائط ولم يزل به حتى أدمى منه اذنيه والصبي يبكي ولا يطيق الدفاع والحركة خوفاً من أخي الكبير .

وبلغ الخبر أهل الصبي فزادهم ذلك حنقاً ، ويبدو انهم لم يرضوا بما مر علاجاً لهذا الحنق فصمموا على شيء آخر واصروه في نفوسهم .

وذات ليلة وبينما كان أخي الكبير علي حسن كافر يهم باغلاق مشرب الشاي الذي يعمل فيه إذ هاجمه شخص لم يظهر اللثام من وجهه غير عينيه ، وبطعنات سريعة من سكين حادة ارداه قتيلا . وكان بالقرب منه صديق لنا ما كاد يرى مروق القاتل كالسهم حتى تعقبه ليقبض عليه فرد عليه القاتل بسكينه وأرداه قتيلاً هو الآخر .

وقبض على منافسنا جبار خضر الصفار وعلى أخيه واودعا سجن التوقيف فقد كانت شبهة (التحقيق) تدور حولهما ولعدم وجود عداء بيننا وبين احد غير هذا البيت . اما انا فقد كنت على يقين من أمر القاتل . وكنت اعلم انه لا يستطيع أحد ان يقدم على مثل هذا الأمر الفظيع غير جبار المذكور فقد كان جبار هذا قاسياً وكانت نفسه متشبعة بتقاليد أخذ الثأر بأضعاف مضاعفة لما يتطلبه الأمر وإلا فان القضية لم تزد على اشتباك الايدي ثم لم تزد على معركة صبيان إذا استلزمت اخذ الثار فلا يتجاوز الثار صلم الاذن والانف على اقسى الفروض وافظع أنواع الانتقام..أما ان يكون القتل عقاباً لمعارك صبيانية واشتباكات آنية تزول بزوال الوقت فلم يقع هذا إلا نادراً ، وكان من هذا النادر سقوط أخي وصديقه صريعين يخبطان بدمهما .

وتقدم بعد يومين أو ثلاثة ايام من توقيف جبار واخيه ، صبي هو ابن اخت المتهمين ، وقال انه هو القاتل ، وان خاليه بريئان من دم القتيلين ، وزعم ان السبب يعود الى تحرش القتيل به تحرشاً ينافي الشرف ، فحكم عليه بالسجن خمسة عشر عشر عاماً واطلق خالاه .

اما انا فلا اكتمك ، فقد اصبت بما يشبه الجنون فقد كنت اعتقد ان القاتل لم يكن غير جبار ، وان ادعاء الصبي المذكور لم يكن إلا باباً لنجاة القاتل من الاعدام الذي لا مفر منه ، جزاء للقتل المدعوم بسبق الاصرار ، لذلك هاجت نفسي وماجت ، واحسست بكابوس الحنق يجثم على صدري طوال الايام والليالي مضافاً الى ان الاخذ بالثار كما تعرف يكاد يكون من الشرائع العرفية المقدسة ، فالذي لا يأخذ بالثأر لا يستحق ان تقع عليه العيون وان يكون له بين الجالسين مقعد ومكان .

هكذا كان شعوري يوم وقعت الواقعة ، وهكذا نويت بل وصممت لا سيما

وانني كنت السبب ، لقد كنت وحدي السبب في كل ما وقع من جراء المنافسة في عمل السيارات ولكن الأيام كثيراً ما تبدل الافكار ، وتغير الاتجاهات ، وتقلب الامور رأساً على عقب فالفيتي بعد شهور من الحادثة اكثر هدوا من السابق ، وأبعد ما أكون تفكيراً في الجريمة ، بالرغم من كل العوامل التي اشرت اليها .

* * *

ومرت سنة وشهران كاد الستار ينزل على الحادث نهائياً ولكن الاقدار أو البيئة نفسها عادت لتعمل عملها من جديد حين اعترض طريقي قاتل أخي ، فتيقظ الماضي بجميع صوره البشعة في نفسي ، وهاجني ماجرى بيني و بينه من الكلام القارص ومن عدم مبالاته ، وكان هناك عراك ، وكان هجوم متقابل ، انتهى بان يخر القاتل على يدي مقتولاً ، وانتهى الأمر بصدور الحكم علي بالسجن المؤبد .

* * *

وان العوامل التي دفعت بأولئك إلى القتل ثم دفعت بي أنا لم تزل تعمل عملها عندي وعند غيري ، ذلك لأن زوالها ليس بالأمر اليسير الذي يجري طبيعياً ويتم بدون اتخاذ معالجات جذرية . فلقد كنت انا طالب مدرسة ولم اقرأ في جميع كتب القراءة ولا المحفوظات ما يخرج هذه الافكار -افكار الانتقام - من ذهني أو يصحح هذه الاغلاط التي شحنت بها اذهان القرويين في حين تقع كل يوم مئات من جرائم القتل بداعي الثأر والانتقام .

اقول : وان العوامل التي دفعت بأولئك إلى القتل أو لا . قد تضاعفت واشتد مفعولها حين اقدمت انا على قتل القاتل .

ولا شك ان الصدور ظلت تغلي ، وان القلوب ظلت تمور ، وان الحقد والحنق قد بلغا من أهل القتيل مبلغاً جعلهم يلتمسون الراحة في سلوك طريق واحد لا ثاني له وهو طريق القتل .

* * *

وبالامس . . . وبعد مرور اربع سنوات علي في السجن ، عمد ابن اخت لقتيلي الذي قتلته ، لقد عمد هذا إلى أخ لي اصغر مني فقتله انتقاماً لخاله .

— أرأيت ؟

فقلت له :

— ثم ماذا ؟

قال — ألم أقل لك ان عندي قصة ليست لها نهاية .

قلت — ولكنها انتهت .

قال — لا تنتهي ما دامت العوامل التي حدثتك عن بعضها قوية ومتأصلة في هذا الجمع الغفير من الناس ، فمن يدريني ان لا تكون هذه العوامل قد عملت عملها في نفسي لو كنت خارج السجن اليوم ، ومن يدريني ان لا اكون قد أضفت إلى تلك السلسلة حلقة أو حلقتين أو اكثر إذا وجدت أقل توان أو اقل فتور في تطبيق القانون الصارم على المعتدين . ومن يدريني ان لا تدفع هذه العوامل بغيري الى ان يمشي في الطريق التي مشيت فيها انا ومشى فيها غيري من قبل ؟

والآن . . . هل آمنت بان القصة التي حدثتك عنها قصة ليست لها نهاية ؟

* * *

والحق ان اغلب قصص الانتقام عندنا هي من القصص التي لم تنته بعــد ، وما دام البطء والتلكؤ ملازماً لصدور الاحكام ، وما دام الاخذ بالجانب اليسير والتساهل من القانون ملحوظاً في هذا المقام ، وما دام كثير من الحكام يتجنبون الشدة والصرامة في تطبيق القانون . فان نسبة الاعتماد على الموتورين في الانتقام من واتريهم بايديهم – وليس على يد القانون – ستكون في زيادة مطردة ، كما تحدثنا عن ذلك سجلات الاجرام اليوم .



هنالك ألوان كثيرة من النشل والاحتيال يفرض الواجب على المسؤولين ولاسيما (الشرطة) ان يتصدوا لجمعها وتصنيفها بين آونة وأخرى لنشرها في الصحف والمجلات مبوبة مرتبة ، أو نشرها في كتب خاصة يقومون بتوزيعها على القراء مجاناً أو بيعها بقيمة زهيدة تسهيلاً لشرائها ومطالعتها ، ثم يعلقون عليها بما يقتضيه توجيه الناس ، وتقتضيه الفائدة المتوخاة من نشر هـــذه الوقائع حين يتم تفهمها جيداً وتتم معرفة مواطن الاستفادة منها ، فعلى هذا النوع من سرد القضايا والاشارة إلى مغازيها يتوقف اتساع الذهن ، والتوقي ، والحذر ، لئلا تكون جيوب الناس ، ومحلات اعمالهم ، وبيوتهم ، مسرحاً لتمثيل روايات النشل والسرقات عليها .

وان نشر مثل هذه الحوادث من قبل المسؤولين وتوضيح النقاط الغامضة فيها إذا لم تفد إلا ان تبعث الحذر في نفس ربة البيت ـ فلا تدعها تفتح باب منزلها لقارىء مقاييس الكهرباء ، ومقاييس الماء ، وعمال التلفون ، إلا بعد تأكدها منهم ـ لكفى ذلك فائدة ، فان الكثير من قضايا الاحتيال ، والسرقات ، والنشل إنما تبدأ من أمور طبيعية ، بسيطة ، قد لا تمر على بال أحد .

وانا حين استدرج بعض المحكومين بالسجن للاعتراف ببعض ما وقع لهم ، لا أقصد بذلك الا ضرب بعض الامثلة العابرة لهذه الوقائع هنا ، عسى ان ينتبه

المسؤولون ، فيقوموا على غرار هذه الامثلة بنشر بعض المجاميع ، وما يجد في عالم السرقات وانواعها بين آونة وأخرى بشكل يضمن التفات الناس واجتذابهم إلى تعقيب الحادثة تحقيقاً للغرض الذي اشرت اليه .

* * *

فيصل لازم الدهان

— ١ —

وتوسمت فيه اللباقة والجاذبية التي يطفح بها وجهه المشرق الذي لا ينم ولا يمكن ان ينم عن الشر والجريمة ، فقلت وقد عرف بعض المساجين انني قد دخلت السجن باحثاً عن مواضيع معينة تعنيني قلت :

— أترى لو أني وجهت اليك بعض الاسئلة ان تجيبني بالواقع بدون أية زيادة ونقصان ؟

فسكت قليلاً ثم قال :

— ربما

— قلت اذن تعال معي نجلس هناك ، وقل لي ما اسمك ؟ وكيف كانت نشأتك ؟ وما هي أول جريمة ارتكبت ؟ وكيف انتهى بك المطاف إلى السجن ؟

قال — اسمي فيصل لازم الدهان ومن سكنة قصبة الكحلاء التابعة للواء العمارة وقد سمي ابي بالدهان لانه كان يشتغل ببيع الدهن . وقد نشأت نشأة لا بأس بها بالنسبة لوليد في قرية كالكحلاء . فأكملت دراستي الابتدائية ، ودرست الصفوف المتوسطة الثلاثة في العمارة على نفقة وزارة المعارف ولكن ،

المرض حال بيني وبين انهاء دراسة الصف الثالث المتوسط ، ولما مات ابي وجدتني لا استطيع ان اواصل الدراسة لتأخري سنة ، ولا نقطاع نفقة المعارف عني ، وقد احسست بهذا الفتور البادي علي تماماً ، ثم بدأت أحس بقلق حياتي ، واتعابها ، وكان لي خال ببغداد استدعاني اليه لاكمال دراستي على نفقته ، فسافرت من العمارة إلى بغداد ولكني لم احسن متابعة الدراسة ، وظهر علي القلق بأوضح صوره فرحت اطوف باحثاً عن عمل حتى بلغت مدينة (الزبير) ولقد أدى بي هذا القلق والشعور بالعوز والاحتياج إلى أن امد يدي غير مرة إلى السرقة ، وفي الزبير عملت بشركة النفط ، ولم البث طويلاً حتى قصدت (عبادان) وعملت هنالك في الشركة ولكن عملي لم يكن ثابتاً لأني لم أحس بالاستقرار في نفسي ولم اكن اعرف لذلك سبباً فانتقلت الى (الاهواز) ، وفي الاهواز ولأول مرة في تاريخ حياتي اجدني منجرفاً بالجريمة بشكل واسع وبطريقة تدل على انني اتقن السرقة بجميع فنونها اتقاناً كبيراً ، أما تفصيل ذلك فأرويه بدون أي تحريف :



السجين فيصل لازم الدهان

في يوم وأنا واقف في الشارع العام من الاهواز انتظر صديقاً لي ، إذا بأربعة أشخاص في أزياء عربية يمرون، فهفت نفسي لهم ، وسمرت عيني في وجوههم ، وتلاقت النظرات فعبرت عن زوال الوحشة والاستيناس بالعثور على عربي مثلهم ، فسألني احدهم :

— اعربي أنت ؟

— قلت بلى ، وانتم ؟ لا شك انكم عرب ؟ فاين تريدون ؟

— قالوا اننا من عشائر الحدود بين ايران والعراق ، واننا نريد زيارة مشهد (الرضا) بخراسان .

ونبهتني فطنتي الى ان هناك شيئاً غير الزيارة فقلت :

— لم هذا التخفي انني واحد مثلكم وانا من العراق فبحق (الرضا) الذي تقدسونه أين ترى وجهتكم هنا ؟

فضحك كبيرهم وقال :

— اننا نبحث عن فندق فهل تعرف أنت الفارسية ؟

قلت — نعم (وكنت قد تعلمت الفارسية خلال عملي بعبادان جيداً) وانتم هل تعرفون الفارسية ؟

قالوا — كلا

قلت — ولا كلمة ؟

قالوا — ولا كلمة

قلت — والقراءة والكتابة ؟

قالوا — ولا القراءة والكتابة

قلت — وماذا انتم تعملون هنا ؟

قالوا — اننا نستبدل عملة بعملة ، فنأتي (بالدنانير) العراقية إلى هنا ونبدلها (بالتوامين) من العملة الايرانية ، وقد نشتري بها اقمشة أو بعض أشياء اخرى نحملها الى العراق من طريق غير طريق الكمارك فنفيد منها .

قلت — نعمت المصادفة ، فان لنا هنا فندقاً قريباً يديره ابي فلنتوجه اليه .

وسرهم ان يكون لأبي فندق ، وجئت بهم إلى أحد الفنادق هناك ، وحين دخلت على صاحب الفندق سألته هل يعرف العربية ؟ فأجاب بالنفي ؟ فقلت للتأكيد :

— ولا كلمة ؟

قال — ولا كلمة

قلت ان هؤلاء هم ابي وعمي وقريباهما ونحن نريد غرفة جيدة في هذا الفندق .. فعين لنا الغرفة ، وسألني مستغرباً :

— وكيف تعرف انت الفارسية ولا يعرفها قومك ؟

— قلت ان أمي ايرانية وقد التقى بها أبي في مدينة كربلاء وتزوجها هناك وقد تعلمت الفارسية منها ولم يتعلمها أبي .

وسألني أولئك قائلين :

— كيف تقول انك من العراق وابوك لا يعرف العربية ؟

— قلت ان ابي ايراني وقد سافر الى كربلا فالتقى بأمي وهي عراقية فتزوجها هناك وقد تعلمت انا منها العربية ولم يتعلمها ابي .. . !!

وطلبت من صاحب الفندق ان يسلمني سجل الفندق لاكتب فيه اسمي واسماء قومي ، فدفع بالسجل إلي وحملته إلى الغرفة وهنالك زاد اطمئنان الجماعة من وجود السجل بيدي وكون الفندق فندق ابي ، وانني فيه كل شيء .

وسألتهم هنا عما يحملون من الدراهم لتسليمها للفندق امانة بناء على أوامر الحكومة وقلت لهم : ان كثرة الشكاوي مما حدث للمسافرين قد حمل الحكومة على اعتبار صاحب الفندق مسؤولاً عن أية فقيدة على شريطة الاخبار بها وتسليمها على سبيل الامانة لصاحب الفندق ، وكنت اتحدث اليهم بلهجة مطمئنة وفريدة فى الاطمئنان عن امانة الفنادق وسهرها على مصالح الناس وودائعهم فأخرج احدهم ورقة حوالة بمبلغ لا اذكره ، أما الثلاثة الآخرون فكان مجموع ما سلموه لي من دنانير و (توامين) يقرب من ٧٠٠ دينار تسلمته منهم ، وقد نزلت إلى غرفة إدارة الفندق فسلمت ورقة الحوالة لصاحب الفندق ، وسلمته من تلك المبالغ

ستين ديناراً فقط وقد قطع لي بها وصلاً باسم كل واحد من أولئك الثلاثة ووصلاً لصاحب الحوالة بورقة الحوالة ، وعدت بالوصل اليهم في غرفتهم وقلت لهم ان بوسعهم متى ارادو ان يسحبوا المبلغ كله أو بعضه من أبي وقد صـــدر (الوصل) موقعاً منه خشية ان اكون انا غائباً عنـــدما يريدون ان يسحبوا من اماناتهم شيئاً .

ولقد خرجت من (الاهواز) الى عبادان فى تلك الساعة ، ومنذ ذلك اليوم وأنا لم أدخل الاهواز ، وكلما عرفت هو ان الشبهة قد حامت حول شخصين من المشردين النشالين في الاهواز ، وقد قبض عليهما وزجا فى التوقيف نحو شهرين وعذبا طويلاً ، وبالطبع كانت النتيجة سلبية .

* * *

وهنا وقف فيصل برهـــة ثم انطلقت اساريره وابتسم ، وعرضت ابتسامته حتى صارت ضحكة ثم قال :

— أأستطيع ان اقفز بضع سنوات مرة واحدة فاطوي تلك الحوادث طياً ؟

— قلت ولم لا ؟ انني لا أريد منك إلا ان تقول ما ترضى ان تقوله وان كان يهمني ان تقول لي كل شيء ؟

قال — من الخير ان نعبر تلك الحفنة من السنين ما دمنا في عصر السرعة وحسبك ان تعرف انني عدت من (عبادان) الى (العراق) وكان قد ظهر اسمي ضمن اسماء المكلفين بخدمة العلم ، فدخلت الجندية ، ولم البث بعض زمن حتى هربت . ثم قبض علي متهماً (بالنصب) والاحتيال ثم هربت ، ودخلت السجن محكوماً ، ثم دخلته محكوماً مرة أخرى ، ولا تسألني كم مرة دخلت ، وكم مرة خرجت ، ولا تسألني لم وكيف قد جرى ذلك ؟ لأن عصر السرعة يقتضي

ان اقفز مثل هـذه القفزات التي استمحتك العفو من أجلها قبل قليل ، ولـكن هنالك شيئاً احسب انك ستسر به إذا ما وقفت عنده متأنياً وذلك هو حوادث قصتي الأخيرة التي انتهت بالحـكم علي ثلاث سنوات ونصف سنة وزجي في السجن كما ترى .

الملازم الثاني فيصل

واخيراً فرض علي ان اتم الخدمة العسكرية فالتحقت بكتيبتي وهي الـكتيبة الجبلية المدفعية السادسة بكركوك ، والتحقت بجلولاء للتدريب .

وفي مدة قصيرة كنت المقرب الى ضابط الـكتيبة وقد عهدت إلي شؤون الـكتابة في قلم الـكتيبة فـكنت انجزها على خـير وجوهها ، وذات يوم علمت بان الضابط الآمر على وشك ان يأمر بالقبض علي بتهمة اغفالي اياه واصدار أمر موقع منه بالسماح لأحد الجنود بقضاء اجازة طويلة لقاء مبلغ قيل اني تسلمته من الجندي على سبيل الرشوة والمـكافأة لاستحصال الاجازة ، وقيل انني نظمت له الاجازة ودسستها بين عدد من الاوراق التي يجب ان تمر على الضابط لتوقيعها ، وكان ان نجحت الحيلة ، ووقعت ورقة الاجازة ضمن الاوراق الموقعة الأخرى ، وانـكشف الأمر .

هكذا كان قد قيل عني ، وسواء صح ما قيل أم لم يصح فقد عاودتني فـكرة الهروب من الجيش من جديد ، وفي أقل من خمس دقائق وجدتني اخلع البدلة العسكرية وارتدي بدلة (نيلية) ، واستقل القطار قبل صدور الأمر بالقبض علي .

ولمحني (الانضباط) العسكري في المحطة ، وعلى رغم بدلتي المدنية ومشيتي الاهلية ، والحركات التي كنت اجيد تمثيلها فقد ساورته في أمري الشكوك فدنا مني وقال :

— انت جندي أليس كذلك ؟

— قلت انا لست جندياً ، وانا اشكر لك نباهتك فهكذا يجب ان يكون (الانضباط) ذلك لانك إذا اخطأت في معرفتي بالذات فانك لم تخطيء معرفة مسلكي العسكري ، فأنا ضابط ولست جندياً .

قال — ايسمح لي سيدي بالاسم والهوية ؟

قلت — ان اسمي فيصل وأنا (ملازم ثاني) في الكتيبة .

وحين انتهيت من تعريف نفسي رفع الانضباط يده بالتحية العسكرية وقال لي عفواً .

وكان القطار يحمل بعض الجنود الى بغداد وقد رأوا احترام الانضباط لي بعيونهم فبالغوا هم الآخرون في احترامهم لي ، ومع ذلك فقد ناديت (الانضباط) قبيل حركة القطار بدقائق وطلبت ان يوصي من كان يقل القطار من الجنود بمراعاة خدمتي في الطريق ان اقتضاني مقتض لذلك ، وعاد الانضباط إلى رفع يده بالتحية وضرب الارض وخفقها بحذائه ، واجرى اللازم المطلوب .

وصفر القطار وانا لم احس بشيء غير اعتيادي فالهدوء ورباطة الجأش في كل أزمة من ابرز خصائصي .

واحس المقـر بهروبي ، وتناقل بعض الجنود خبر إفلاتي من بين يدي الانضباط ، فقبض على (الانضباط) الذي انطلت عليه الحيلة ، وسيق للمحاكمة . اما انا فكانت بغداد قد احتضنتني ، وقد لفتني بردائها الواسع ذات المئات من الطيات والخبايا . . .

الضابط المحتال

وفي تلك الاثناء كان قد حدث بعض السرقات في بعض الفنادق الكبيرة ببغداد ودلت التحقيقات والتحريات على ان السارق يدخل بعض الفنادق الكبيرة على هيئة

ضابط كبير فيأكل ، ويشرب ، ثم يعين احدى الغرف التي يسكنها بعض المسافرين فيلجها في الوقت المنـاسب ، ويحمل ما خف حمله من محافظ وحاجات ثمينة وغير ذلك ، دون ان يعرف به احد .

* * *

وذات يوم تقـدم احد (الشخصيات) المحترمة من الاجانب شاكياً افتقاده محفظة وبعض حاجاته من غرفة الفندق ، وكانت الشبهات حينذاك تحوم حول الضابط الذي يرتدي بزة المقدم في الجيش فيرتاد الفنادق الفخمة لتناول الغداء بدون ثمن وبدون ان يعترض سبيله معترض ، وقد دل التحقيق على ان هذا الضابط المحتال يقوم بالسرقة بشكل من الدقة التي يضيع معها كل دليل على وقوعها .

واهتمت الشرطة ، وزادت من اهتمامها لأن المشتكي كان (شخصية) مرموقة . وإلا فقد سبقت حادثة هذا المشتكي حوادث اخرى كثيرة فلماذا لم يجر الاهتمام الجدي اللازم بها كما يجري الآن؟ وجدت الشرطة في البحث عن هذا الضابط المحتال، ونشرت خبره الصحف ، واشارت إلى بعض ما قام به من السرقات في كل من فندق (السندباد) و (سمير اميس) ثم وضعت الشرطة الخطط اللازمة للقبض عليه بكل صورة ، وعلى اية شاكلة .

ولـكن من هو هذا الضابط الذي يرتدي بزة (المقـدم) في الجيش ويقوم بسرقة الفنادق على هذا النحو من الاحتيال ؟

انه لاشك محتال قدير وجرىء... ولـكن من هو هذا المحتال القدير الجريء ؟

انه فيصل لازم الدمان . . ألم يكن فيصل قد انتحل صفة الملازم الثاني حين هرب من كتيبته ؟ ألم يكن قد انطلى امره على (الانضباط) فضرب له الأرض بحذائه ؟ ورفع له اليد الى مافوق عينيه بالتحية ؟ ثم قام على خدمته الجنود في القطار؟ فلم لا يكون هو بعينه ؟ انه فيصل (الملازم الثاني) وقد ارتقى اليوم الى رتبة (مقدم) بمحض اشاءته ...!!

ولأول مرة تعلو وجه فيصل - وهو يحدثني - سحابة من الامتعاض ، ولأول مرة أرى الألم يتدفق من عينيه ويتفجر من بين شفتيه ، وبلهجة لا تترك للشك موضعاً يقسم فيصل بانه لم يعرف من أمر الضابط المحتال يوم قبض عليه شيئاً ، ولم يدر ان هنالك تهمة بعدد من (النصب) والاحتيال قد قام بها ضابط مزيف إلا حين طافوا به على الفنادق للتعرف عليه وجمع الشهادات التي تدينه .

وسيق فيصل أول ماسيق الى قطعته العسكرية ليحاكم عن التهمة المنسوبة له بخصوص الاجازة وعن هروبه من الجندية ، وعن انتحاله صفة الملازم .

* * *

ويقول فيصل : اما انتحالي صفة الملازم فقد كذبتها في المحكمة تكذيباً باتاً ولا حاجة للاشارة الى اني كنت كاذباً في هذا التكذيب ، وحين ووجهت بالانضباط زعمت باني لم اقل له اني (الملازم) فيصل ، وإنما قلت اني انا فيصل لازم ، وقلت للمحكمة : وانتم تعرفون ان اسم ابي لازم ، ولا يبعد ان الأمر قد التبس على (الانضباط) فظن لازماً ملازماً ! !

وقال فيصل — ولست اطيل عليك الحديث فقد اجتمعت كل الادلة على اني انا هو الضابط المحتال الذي يسرق الفنادق بتلك الاساليب من الاحتيال ، وصدر الحكم علي بالسجن ، ولأول مرة ادركت مرارة العقاب حين ينزل بالبريء ، ولأول مرة رحت افكر ، بظليمة ذينك الشخصين اللذين حامت حولهما الشبهة ظلماً في (الاهواز) فظن بانهما هما اللذان سرقا تلك المبالغ من نزلاء الفندق ، ولأول مرة اثوب الى رشدي فاتصور جيداً معنى ايذاء الناس والحاق الضرر بهم ، واشعال النيران في القلوب ، وتعذيب الناس بدون حق .

— قلت وبعد ؟

قال — اخشى ان لا تصدقني إذا ما قلت لك : وبعد فليس غير التوبة من يستطيع ان يغسل نفسي من ادرانها ، وانا اليوم أزاول كتابة العرائض في السجن ، واستطيع ان اؤكد لك انه ما من أحد يحسن كتابة هـذه العرائض مثلي ، ذلك لأنني احس بما أريد ان اكتب ، وان الحس الصادق هو أول شواهد التوبة ، وحسبك ان تعرف انني قد اعثر في السجن بل لقد عثرت عـدة مرات على نقود مخبأة لبعض السجناء ، فأحملها الى اهلها واوصيهم بايداعها أو دفنها في مكان اكثر اطمئنانا ، ولو كانت في بقية من الروح السابقة لما فعلت ذلك أو بعض ذلك كما قد تدري .

السجين ملا فهد هلال

مجموع احكامه ١٥ سنة

— ٢ —

شيخ ذو لحية سوداء ، وفوق جبينه كدمة بحجم الريال داكنة ، ذات نتوء قال عنها انها اثر السجود ، وقال انها طالما فرجت لي كرباً فكانت خير ملجأ الجأ اليها في قضاء المآرب ، انه في الاربعين من العمر ومن سكان مدينة العمارة ، يخلط بين الفصيح والعامية ، ولا يتكلم بدون ان يستشهد بآية قرآنية ، أو كلمة مأثورة ، أو حديث أو بيت شعر من شعر التصوف والمواعظ ، وهو يروي كل هذا مغلوطاً ، وملحوناً ، وخارجاً على الوزن ، ولكنه يرويه بجرأة وعدم اهتمام .

كان أول ما التقيته ودعوته إلى الجلوس يعد عدته لصلاة الظهر ، فقال انه سيفرغ ويخف الي ، وهنا قرأ علي الآية الكريمة :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله

وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .

وبعدما يقرب من ربع الساعة جاء الملا فهد فقلت له : تقبل الله يا ملا فهد فقال :

« واتل عليهم نبأ بني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين » .

قلت — كيف تعلمت القرآن يا ملا فهد ومتى ؟ فحاول ان يجيب باللغة الفصيحة المزيجة باللغة الدارجة الدالة على الكلفة فضلا عن خروجها على القواعد اللغوية فرجوت منه ان يجيبني باللغة الدارجة كما يفعل معظم المساجين وقلت له اني انا الذي اضبطها باللغة الفصيحة ، اما الآيات واما الشعر الذي يستشهد به فان عليه ان يأتي به كما يحفظه ، فامتثل وقال :

كنت شاباً وابن ثلاث عشرة سنة يوم احسست وانا العب في الزقاق ان البيت الذي ينتهي عنده الزقاق الخلفي في (العمارة) فارغ ، وان صاحبته قد خرجت لشأن لها واقفلت الباب بالمفتاح ، ولم يكن التسلق على هذه الدار من سطح آخر عسيراً علي فتسلقت الجدار وهبطت الى ساحة الدار وقصدت الصندوق الخشبي الكبير كأنني مسبوق بشيء من أمره ولم اكن مسبوقاً ، وكان في هذا الصندوق صندوق صغير من الخشب وهو مملوء بالحلي فحملت الحلي وخرجت من حيث جئت ولذت بالفرار .



السجين ملا فهد هلال

اما الباعث على ذلك فاغلب الظن انه العوز وعدم وجود من يشرف على تربيتي فقد كانت لي أم ضعيفة لا تقوى على زجري وتهذيبي ، وكانت نتيجة تلك السرقة ان الشرطة قبضت على جميع من مر في ذلك الزقاق والزقاق الذي كنا نلعب فيه خلال خروج صاحبة البيت من بيتها وعودتها اليه .

ولقد انكرت عند التحقيق ان اكون انا السارق ولكن انكاري لم يطل إذ لم اذق طعم بعض اللطمات النازلة على خدي والعصي التي لعبت على اليتي من قبل الشرطة حتى اعترفت ودللتهم على موضع الحلي . فحكم علي بدخول مدرسة اصلاح السجون وانكببت هناك على القراءة والكتابة لأول مرة اتعلمها ، وخرجت من المدرسة متظاهراً بالتقوى اقرأ القرآن المجيد ، وارتل الادعية وما لبثت قليلاً حتى عدت الى السجن مرة أخرى متلبساً بجريمة النشل والنصب حيناً ومقبوضاً علي حيناً آخر بتهمة مشاركة العصابات فى الاختلاسات التي حكمت بها ١٥ سنة .

* * *

وساعدتني هذه اللحية الكثة والكدمة السوداء التي تعلو جبيني لحد بعيد فى اداء مهمتي ، واني لاذكر مرة اني القيت بنفسي على شاب وهو يهم بدخول حرم سيدنا العباس زائراً للمقام الشريف وقد توسمت فيه الخير مما كان يبدو على وجهه من آيات النعمة ، وكان الموسم موسم ازدحام لاداء هذه الزيارة وما كدت القي بنفسي عليه حتى طوقته من وسطه بذراعي فأحسست وانا اقبله من جبينه واشمه فى صدره ، بأن وراء ظهره مسدساً قد شد الى نطاق من الجلد ، فرحت اقول له وأنا اعالج فك المسدس من وراء ظهره ، وهو مبهوت مما يرى من حرارة العناق والتقبيل أو الشم ، فرحت أقول :

— انها والله لنعمة ، لنعمة ما بعدها نعمة ان اراك فأعرفك دون ان ينبهني الى ذلك منبه ؟ أفلست انت ابن الشيخ جاسم ؟ انني لا انسى فضله

علي فهو الذي علمني القرآن وهو الذي هداني الصراط المستقيم ، وهو الذي لم يتركني حتى وثق من اني أؤدي صلاتي على خير وجوهها . واقضي شطراً من الليل بالتراتيل .

رحم الله الشيخ جاسم ، لقد كان آية من آيات الله ، علمني اصول ديني فأحسن تعليمي ، وهذبني فأحسن تهذيبي فلا أدري كيف أجازيه ؟ ولا كيف اكرّم ذكراه .

لقد كنت أقول كل هذا بحرارة لا يتطرق اليها الشك ، وكانت سحنتي أو بالأحرى لحيتي ، هذه ثم الكدمة التي تعلو جبيني والتي قيل عنها (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) كانت كلها تؤكد للشاب انه امام رجل من كبار العباد وخيرة الزهاد ، فراحت تتجاذبه الهواجس فلا يدري أيصحح لي رأيي ؟ ويخبرني بأنه ليس ابن الشيخ جاسم كما ظننت ؟ وفي ذلك ما فيه من الخجل لرجل زاهد تقي ورع لا يبتغي غير التبرك به لأنه ابن مقتداه ، وشيخ طريقته وهاديه ؟ أم يسكت ليؤيد بسكوته ظنه ؟ ولعله ترددبين هذا وهذا ، ولكني لم اسمح لهذا التردد ان يطول ، إذ تم لي في تلك الفترة من العناق والشم واستمطار شآبيب الرحمة على روح أبيه والدعاء له بالخير ، لقد تم لي ان افك المسدس من نطاقه ، وادسه في جيبي ، واودعه على ان التقي به هنا في نفس المكان عند فراغه من زيارة سيدنا العباس .

ولا اكتمك اني كنت أجري كل هذا وانا ارتعد من الخوف لما هو معروف عن سيدنا العباس من حدوث المعجزات والانتقام ، فمن يدريك ان لا ينزل بي ضربته وأنا عند صحنه ، فكنت وانا اعالج نشل المسدس ابرر عملي بأني حين يتاح لي ان انجو بالمسدس فسأخص نصف ثمنه عند بيعه لخدم سيدنا العباس بن علي بن ابي طالب .

كان هذا نذراً نذرته في قلبي .

وقد ثبت لي ـ فيما بعد ـ ان العباس لم يقنع بهذا الحل ، إذ لم يمر علي يومان حتى قبض علي بتهمة سرقة أخرى انكشف على اثرها سر نشل المسدس ، فما كدت أمد يدي في جيب أحد (الزوار) الاجانب فى الجهة المسماة (بالخيمگاه) من حي كربلا حتى دار الرجل بسرعة البرق وقبض على يدي من معصمي وهي في جيبه وسلمني إلى الشرطة متلبساً بجريمة النشل ، وهنالك في الشرطة عثر على المسدس وعلى غيره من الحاجات وجوبهت بابن الشيخ جاسم ليدلي بشهادته ، ويروي كيفية قيامي بانتزاع المسدس من نطاقه المشدود إلى ظهره ، فلم ار اكذب منه رجلاً ، ولا أشد منه وقاحة ، فقد روى القصة على نحو آخر :

لقد زعم باني جئته مسلماً عليه وسألته هل انت ابن الشيخ جاسم ؟ فأجابني بالنفي . . ولكني اصررت على انه ابن الشيخ جاسم ، واصر هو على انه ليس ابنه ، وبين هذا النفي منه والتأكيد مني سرق المسدس وهرب ...!!

فكذّبته وكذبني ، وقلت له انه لم ينف كونه ابن الشيخ جاسم ، وقال انه بل نفى ذلك في وقته حتى تدخل المحقق ونهرني وهم بأن يلطمني فأسرعت بتصديق الرجل وأيدت قوله على الرغم مني .

* * *

وعلى ذكر المسدس أروي لك حادثة نشل اخرى ذات علاقة بالمسدس . فلقد عقبت شخصاً ببغداد محاولاً ان افرغ من جيب قبائه ما فيه ، وحين وجدت الفرصة لدس يدي فى جيبه ، وتحسست محتواه وجدته مسدساً ملفوفاً بمنديل ، اما لماذا يحمل هذا المسدس فى جيبه ؟ ولماذا يلفه بمنديل ؟ فهذا ما يعرفه الكثير من الذين يتعقبون معاني (سبق الاصرار) في حدوث الجرائم ، وما يدريني فقد يكون الرجل لم يفكر بالجريمة وانما هو التوقي والحذر يوحي اليه بأن يستعد كما لو كان موحى اليه (بسبق الاصرار) .

وكيفما كان الأمر فقد ايقنت اني إذا سحبت المسدس من جيبه المعلق بالقباء على هيئة كيس، فانه منتبه إلى ذلك حتماً، بسبب اختلال التوازن وطرح الثقل، فرحت افكر فيما ينبغي ان اضع في الجيب لأسحب ما في الجيب. وكنت هنا قد مررت بصاحب حانوت، ودلني فكري على شراء قالبين من الصابون المتصلين بعضهما ببعض على شكل قالب مستطيل واظنه كان من النوع المعروف بـ (لايف بوي) وما اسرع ما سحبت المسدس، ودسست القالب في مكانه، وكان الله غفوراً رحيما.

قلت — وكيف تم لك ذلك ؟

قال — ليس في الأمر سر وكما يقتضي لذلك هو ان يكون السارق لبقاً نبيهاً يعرف متى يجري هذه العملية، وان الزحام سواء في ركوب الباص، أو عند التجمع لسبب ما، أو حدوث أمر يدهش البال ويشغل ذهن المرء عن نفسه ان الزحام في مثل هذا خير مجال لحدوث هذه السرقات، وحين يعود المرء بذهنه الى نفسه يجب ان يجد كل شيء طبيعياً في تلك الساعة، والاسهل القبض على النشال في المكان والزمان، لذلك فانني نشلت المسدس في الوقت المناسب الذي لا يمكن ان يحس الرجل بفراغ جيبه لانشغال باله ووضعت قالب الصابون في جيبه في الوقت المناسب، حتى إذا ثاب ذهنه، والتفت الى نفسه لم يتحسس بشيء قد وقع، وإلى ان يكون الرجل قد فهم الأمر اكون انا قد انتقلت إلى محلة ما أبعدها عن وقوع الجريمة، واني لا أنسى ان وجودي وأنا بتلك البزّة الدينية والهيكل الروحاني إلى جانب الرجل وهو مشغول البال، كان يساعد لحد كبير على نجاح الخطة لعدم اخذه الاحتياط لنفسه مني، ولانصرافه إلى ما هو فيه من معالجة الزحام أو التفرج على ما حدث، بينما كنت انا المأمون من جانبي اقوم بهذه العملية.

* * *

والظرف الذي يصلح لان يشغل الناس بغير انفسهم ويصرفهم عن التفكير

فيما هم فيه لكي يتم النشل أو النصب والاحتيال على اكمل وجوهه شرط اساسي لنجاح العملية ، لذلك كان في مقدمة الامور البحث عن تلك المجالات أو الظروف المساعدة ، فاذا عز وجودها طبيعياً ، وجب خلقها صناعياً ، وحسبك مثلاً ان تقف مع شريك لك على جسر بغداد في الوقت الذي يحلو فيه الوقوف ، وتبدأ الكلام مع الشريك مومئاً الى نهاية الافق أو نهاية خط النهر أو الى كبد السماء ثم تحدق إلى النقطة الوهمية وانت تخاطب شريكك قائلاً :

— لا . . انها على ارتفاع رمح أو اقل من ذلك .

ثم تظاهر بالاستغراب وقل :

— هاهي ذي قد ارتفعت . . . ارتفعت . . انها عجيبة ، حدق اليها جيداً قبل ان تغيب .

ثم أكثر من ذلكما تستحضر من الكلام عن الشيء الموهوم فستجد ان عدداً من المستطرقين على الجسر قد وقفوا ، واذا كان الوقت مساعداً من حيث الطقس ازداد عدد الواقفين ، ثم إذا بكثير منهم ينظر حيث انت تنظر ، ويومىء حيث انت تومىء ، وليس هنالك شيء منظور ولا شيء يومأ اليه ولكنه التقليد وحب الاطلاع يملأ الانسان وهماً فيشغله عن نفسه بالسفاسف فتنسحب حينذاك انت وشريكك ، وتبدآن بمد الأيدي في جيوب الغافلين لنشل ما تجدان وانتما تقرآن آية الشعر المعروفة :

خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت ان تنقري

* * *

وليس للنصب والاحتيال قواعد معينة ، فهي تتوقف لحد بعيد على القابليات الذهنية ، وحسن التصرف الذي يستدعي ان يلبس السارق لكل حال لبوسها ، واني لأذكر اني جئت ذات عيد اطوف على ملاعب الاطفال فرأيت صبية تلبس

قلادة ذهبية . وقد ظهر لي من مراقبتي لها انها وحدها هنا ، وان المسؤولين عنها على بعد يساعد على دنوي منها وخطفي القلادة من رقبتها ، وما اسرع ما انكببت عليها اقبلها واسألها عن ابيها؟ وكيف صحته ؟ وكيف هي الماما ؟ ثم عمدت بأسرع من البرق الى بائع (الكستيك) القريب منا فاشتريت لها منه عوداً ووضعت في يدها مقداراً غير قليل من النقود الصغيرة المختلفة الحجوم اشغلتها بها عن نفسها حتى امتلأت راحتها بها ، واختطفت القلادة من رقبتها بكل سهولة ثم قبلتها وقلت لها :

« ان عدت إلى البيت فلا تنسي ان تبلغي أباك تحياتي وتقولي له ان عمي الشيخ حسين يقول : لم كل هذا الجفاء ؟ ولماذا لم نرك منذ زمن بعيد ؟ »

اما ما الذي قالت لأبيها وماذا قال لها ابوها بخصوص الشيخ حسين فالله العالم به وحده ، وكلما ادريه هو ان الاطمئنان بهيكلي النام على التقوى كان ذا تأثير حتى على هذه الصبية .

* * *

واحسن وجوه التصرف أو احسن مجالات الافادة من هذا المظهر الدال على التفاني في ذات الله وعبادته هو ان كنت ألج المساجد بقصد الصلاة فاذا وجدت سترة معلقة ، أو قبـاء منزوعاً على الدكة أو الحصيرة بقصد قيام صاحبه بالوضوء اسرعت فالقيت بسترتي أو قبائي فوق سترة الرجل أو قبائه أو بالقرب منه ثم اسرعت بالوضوء وقمت إلى سترتي لألبسها قبل ان ينتهي صاحب السترة المعلقة أو المنزوعة فوق الدكة من وضوئه ، وبخفة لا يعرفها إلا القليل امد يدي إلى جيوب السترة فانشل محفظته أو أي شيء آخر تحت ستار ارتدائي لسترتي وألوذ بالفرار ببركة هذه اللحية غير الكريمة يومذاك .

* * *

وهنا قال الملا فهد : وقد ذرفت الآن على الأربعين وتزوجت بامرأتين وصار

لي منهما ابنان وأربع بنات ويكفيك ان تعرف اني نادم على ما وقع واني تائب والله هو التواب الرحيم .

* * *

ولقد قيل لي ان الملا فهد قد صعد المنبر في احدى ليالي رمضان من هذه السنة وقال فيما قال بعد الوعظ والدعاء :

(ايها المساجين : سلوني قبل ان تفقدوني)

فسألته مستوضحاً :

— أحقاً انك قد قلت ذلك ؟ وإذا صح فكيف جوزت لنفسك ان تقول ما لم يقله غير الامام علي (ع) ؟

— قال يا سيدي انا في دنيا السجن ببغداد لست أقل من علي (ع) في دنيا المخلوق ، فما الذي تحسب ان يسأله السجين هنا مما لا استطيع ان اجيب عليه ؟

* * *

ولقيت الملا فهد بعد اسبوع من مقابلتي الأولى فاذا به قد اتى على لحيته بالموس فلم يبق منها شيئاً ؟!! فقلت له :

— لم فعلت هذا يا ملا فهد ؟

قال — لقد قال سلمان الفارسي رضوان الله عليه : ان ذيل الكلب خير الف مرة من لحية ليس بمقدورها ان تدخلك الجنة وان تعبر بك الصراط ..!!

قلت — ولكني بحاجة الى صورة فتوغرافية لتلك اللحية الكثة البهية ...

قال — ليس عليك إلا ان تنتظر اياماً ، فليست اللحية اقل شأناً من البرسيم والجت ، فانهما ليتجاوزا الذراع ارتفاعاً من الارض في أقل من شهر ، فلا خير في لحية لا تعلو سنتمتراً في اكثر من شهرين ؟

ابراهيم ميخائيل الارمني

مجموع احكامه ١٢ سنة

— ٣ —

هو الآن في الستين من العمر يحسن عدداً من اللغات ولا سيما الانكليزية والآثورية ، اما العربية فيتكلمها مزيجة من لغات مختلفة ولهجات متباينة ، له عدد كبير من سوابق الاحتيال والنشل والسرقات لا تقل عن ١٥ حادثة على ما يقول هو ! ! وقد بلغ مجموع احكامه عنها نحو ١٢ سنة بالحبس ، اما التي ذهبت مذاهب الريح فقد كانت من الكثرة بحيث لا يستطيع ان يحصيها هو - على ما قال - ولا يزال (ابراهيم الأرمني) كما يسمونه محتفظاً بنشاطه ، وعلى جانب كبير من الحذر ، فقد ابى أولاً ان يعترف بشيء مما مر ، وقد ابدى مما كان يبدي غيره من الاباء عند استدراجه إلى الكلام ، ولكنه سمح بعد ذلك لنفسه ان تفيض ببعض الحوادث حين ألفني ، وألف التبسط معه في الحديث فقال :

أنا آثوري ومن أولئك الذين تجندوا في جيش (الليفي) بسن الذبان يوم كان تابعاً للقوات العسكرية البريطانية ولقد صرت في مدة قليلة رئيس عرفاء في الجيش لما كنت اتمتع به من مواهب دالة على الذكاء ، والنشاط ، وسرعة الخاطر ، ثم حدث ما يستوجب محاكمتي أمام محكمة عسكرية انكليزية انتهت بطردي من الجيش الانكليزي بعد ان خدمت في (الليفي) اربع سنوات .

وكانت الحرب العظمى الثانية في أوجها يومذاك ، فرأيت انها خير فرصة لتحقيق امنيات نفسي من طرق بسيطة سهلة ، لا تكلف اكثر من ارتداء بدلة عسكرية انكليزية برتبة ميجر ، خصوصاً وانني احسن اللغة الانكليزية ، واتقن

لهجة الانكليزي العريق في انكليزيته ، وقد كانت سحنتي تساعد لحد كبير - كما ترى - على اجادة هذا الدور ، فرحت اطوف على المخازن لابتياع ما أريد من حاجات لقاء وصل ادفعه للمخزن كما كان يفعل حينذاك كبار العسكريين .

ولقد اتقنت الدور غاية الاتقان حين جئت معي ذات يوم بجنديين انكليزيين فحملتهما من المخزن الشيء الكثير من أفخر الخمور وعلب الفواكه وكلما كان يتناسب أخذه من لدن ميجر انكليزي مثلي ، حتى ربحت الكثير من وراء هذا الدور من التمثيل .

وذات يوم عرجت على المخزن الانكليزي فطلبت صندوقاً من السيكاير الانكليزية ، ووقعت حسب الاصول المتعارفة في ورقة الحساب ، وخرجت ، وحين بلغت الباب كان هنالك جنديان انكليزيان من جنود الانضباط وقد شكا في تصرفي وطلبا مني ان اعرفها بنفسي ، فقمت بذلك خير قيام ونسبت نفسي للقطعة العسكرية التابعة للفرقة ، وقد عزز تلك النسبة ما بدا مني من طلاقة وحسن تمثيل فصدق الجنديان مدعاي واطلقا سراحي بعد ان اديا لي التحية العسكرية المصحوبة بالاعتذار ، ولكني ما خطوت بضع خطوات حتى لحقا بي من جديد ، وطلبا مني ابراز هويتي العسكرية . . . وحينذاك مددت يدي الى كل جيب من جيوبي متظاهراً بالبحث عن الهوية ثم اعتذرت ، وقلت انني لم أجدها ومن المحتمل انها في البدلة الأخرى التي خلعتها في المقر .

وهنالك اقتاداني ، وسلماني الى السلطة العسكرية التي بدأت التحقيق معي منذ أول ساعة في طريق آخر غير طريق الاحتيال ، فقد ذهب ظن السلطات بي مذاهب أخرى ذات علاقة بالجاسوسية على حساب الالمان ، ونزلت هنالك رحمة الله ، ورحمة الله في هذا المكان ، ليست إلا تكبيلاً بالقيود والسلاسل ، وضرباً مبرحاً ، وتعذيباً اقل نتائجه ان يحمل المرء على الاعتراف

بأسرع ما يكون حتى ولو كان في ذلك الشنق ، ولكن لم يطل هذا التعذيب ولم يتجاوز بعض الساعة حين تم التحقيق من ثكنات سن الذبان لمعرفة هويتي ، والتحقق فيما اذا كنت جاسوساً أم نشالاً ومحتالاً ، واحلت حينذاك الى المحاكم العراقية فحكم علي بالسجن تسعة شهور .

* * *

قلت — هذه قصة وقعت لك مع الانكليز فارو لنا قصة وقعت لك مع المواطنين . . . فقال :

كنت في الموصل حين رأيت آثورياً من بني قومي – وليس من قومك لكي تحنق علي ، أو تثور في وجهي ، – وقد اقبل على المدينة ومعه ثلاثة بغال يبتغي شراء الحاجات ، فدنوت منه وكلمته بلغته الآثورية مهللاً مرحباً ، وقد علمت انه لا يعرف من العربيه شيئاً أو بعض شيء فجئت به الى خان هناك وربطت له بغاله فيه ، ورحت اضع الخطط لانتزاع ما يملك من نقود فلم اهتد الى الطريق الطبيعي لتنفيذ تلك الخطط ، واطلت التفكير في الأمر ، فرأيت ان أخذ البغال منه وبيعها أسهل علي بكثير من انتزاع نقوده منه بحيلة من الحيل ، هذا زيادة على ان قيمة البغال حتى ولو بيعت بأبخس الاثمان كانت اكثر بدون شك مما كان يحمل من نقود قد لا تزيد على بضعة دنانير على اكبر تقدير ، لذلك طلبت منه ان يجلس قليلاً في الخان لكي اهيء له ولبغاله حاجتها من الاكل ، ثم نخرج معاً الى السوق لشراء ما يحتاج اليه ، وشكرني هذا القروي الساذج كثيراً ، وشكر الله إذ اتاح له آثورياً يفهم لغته ويحن عليه قربة لله ، أو للدين ، أو للدم .

وغبت عنه قليلا وعدت احمل مقداراً من الشعير والعلف للبغال ، ثم خرجت مرة أخرى باحثاً عن الدلالين الذين يتعاطون التوسط لبيع المواشي ، فعمدت

بواحد منهم الى الخان ، كما جئت بشيء من الحلاوة والخبز فوضعتها امام الرجل وقد شرع بالاكل ، وافهمت الدلال بأن هذا مستخدم عندى فى قريتي وقد طلبت منه ان يجيئني بثلاثة بغال مما املك هناك لبيعها وقضاء بعض الحوائج بأثمانها ، وساومت (الدلال) بالشكل الذي لا يثير الريبة ، واتفقنا على ان يشتري البغال لنفسه بستين ديناراً ، ثم يتولى هو بيعها .

وخرجت معه الى السوق وقد قبضت هنالك الثمن ثم عدت ، وبمشهد من الآثوري المسكين الذى كان قد انتهى من تناول طعامه سلمت البغال الى الدلال فأخذها وراح ...!!

وسألت ابراهيم الارمني : وماذا قال القروى حين شهد الرجل يمسك بأزمة البغال ويخرج ؟ ما ذا قال ؟

قال ابراهيم - واقسم لك ان القروي هو الذى اغناني عن ايجاد العذر والتعليل لأخذ الدلال هذه البغال فكأنه كان يريد ان يفهمني بأنه ذكي ، فطن ، يستكنه الامور قبل وقوعها حين التفت الي قائلا :

— أو ليس الرجل قد قدم ليذهب بالبغال كي يسقيها الماء ثم يعود بها ؟؟

قلت — أحسنت . . . فأنت أول قروي ذكي اراه فى هذ البلد ، فتعال الآن لنشرب الشاى فى هذا المقهى القريب ثم نذهب حيث تريد :

وفى المقهى تركته يشرب الشاى وسلكت الطريق الذى اريد ولا أدرى بعد ذلك ما تم من أمر الرجل وذكائه .

* * *

وقلت له : والآن يا ابراهيم وقد تجاوزت الستين أتشتهى ان تحصل على ثلاثة بغال بهذه الطريقة التي وصفت :

فضحك ابراهيم وقال .

— والله لقد فضحتني الأيام ... اكثر مما استحق الفضيحة ، حتى التصقت بي ذنوب غيري ، وحتى نسب لي ما لم افعل ، ولو وجدت المجـــال اليوم لطرت بالدجاجة ، وبالبيضه الصغيرة ، فأين هو المجال الذى تستطيع ان تظفر فيه بجحش واحد ؟ حتى تظفر بثلاثة بغال ؟ أين هو يا سيدى اين ؟



تؤلف الجرائم التي تقع بسبب الشرف والعرض أو (النــاموس) - كما اصطلحت عليه المحاكم - جانباً كبيراً من سجل الجرائم فى العراق ، وعلى ان هذه الجرائم كثيرة الحــدوث بين القبائل العراقية بسبب التقاليد الموروثة وما جرى عليه السلف ، فان حدوثها في المدن والحواضر ليس قليلاً ، ومع ذلك فلم نسمع للان ان الحكومات العراقية المتعاقبة قد قامت بدراسة واسعة أو ضيقة لمثل هــذه الجرائم ، واستعانت بالخبراء من أوربا أو أميركا في طريقة مكافحتها والعمل على قمعها بصورة علمية .

ولا يبعد أن نجد - إن قمنا بدراسة واسعة - ان نسبة هذا النوع من الجريمة قد زادت في السنوات المتأخرة على نسبتها فى السنوات المتقدمة ، في حين كان يجب أن تقل هذه الجرائم سنة بعد أخرى ، ولو أتيح لنا من يتصدى لجمعها ، وإحصائها ، وتصنيفها لتهيأ على الأقل بعض المجال لحصر الفكر فيها ، ومن طريق حصر الفكر يمكننا أن نلج الى ميدان المعالجة أو فهم طريق المعالجة حتى تتسنى لنا الامكانية الكافية للقضاء على هذا النوع من الجريمة .

وكيفما كان ، فان الفرصة لا تزال سانحة ليهب فيها كل مسؤول الى العمل بما يفرضه عليه الواجب من السعي الى الاصلاح على أساس علمي صحيح ، وذلك

باستخدام عدد من الخبراء يعهد اليهم بدرس هذه الجرائم ، وصورها ، وبواعثها ، وجميع ظروفها ، ليتم وضع المناهج الكافلة لقمع هـذه الجرائم ، فلا تمر بعض سنوات إلا ويكون قد قام الف دليل على ماتم من تغيير محسوس في مذهب المحيط ورأيه في هذه الجرائم ، والف دليل على ما طرأ من تبديل جوهري في كيفية سلوك اللاتي يخرجن على قواعد (الشرف) ويدنسن قدسية العرض .

أما الذين يثأرون لشرفهم فقد توجههم تلك المناهج توجيهاً صحيحاً يميزون به ما يجوز لهم فى عرف الحياة وقواعدها وما لا يجوز ، وما يكون من حقهم أن يقولوه وأن يفعلوه وما لا يكون ، وبذلك تقل إن لم تمح هـذه الجرائم المرتكبة باسم الشرف على هذا الطراز من المذابح والذاهب ضحيتها عدد كبير من النفوس وفى ضمنها عدد كبير من نفوس الابرياء .

* * *

والعراق في أشد الحاجة الى إنتباه المسؤولين لمثل هذه الأمور ، والعمل بحزم تحت ارشاد الخبراء على اصلاح المجتمع وتوجيهه نحو الخير ، وإعادة النظر في عقاب المرأة الجانحة ، والرجل الجانح على ضوء خبرة الخبراء وحملها على رعاية الشرف بالشكل الذي يلائم الأحوال ، ويتفق مع السنن السماوية ، والشرائع المـــدنية .

* * *

وهذا بعض ما أدلى به إلي السجناء الذين ثاروا استجابة لداعي الشرف وصبغوا أيديهم بالدماء بناءً على مقتضيات التقاليد ، وبناءً على طبيعة المحيط التي لا تسمح بالتواني والتلكؤ في مثل هذه الأمور ، بل تفرض على أرباب الشرف أن يثأروا لشرفهم - إذا ما ثلم - ساعة يسمعون بثلمته ، وليس ساعة يتحققون ويتأكدون ، وعليهم أن يغسلوا العار بالدم .

ان طبيعة هذا المحيط يجب أن تتغير ، ويجب ان تتغير عاجلاً وبدون توان ، وان تغييرها لا يتم عن غير الطريق الذي أشرنا اليه ، ذلك لأننا لو تركنا الأمر للطبيعة ولمجرى الحضارة فقد تكون النتيجة غير مرضية ، وغير سارة لأمة تفهم الشرف على نحو يختلف ومفهوم الأمم الأخرى .

ومن هذه الاعترافات أرجو أن يتعظ القراء ، فيضعوا هذا الموضوع نصب أعينهم ويتحدثوا به ، ويكثروا التحدث عنه حتى يحملوا المسؤولين على أن يخصوه بالعناية اللازمة كأمر من أهم الأمور الحيوية .

* * *

مظهر صالح

— ١ —

في الخامسة والعشرين من العمر يعمل فى بغداد صباغاً في البيوت نهاراً ، ويدرس طالباً في الصف الخامس الابتدائي ليلاً وهو يعيل أسرة مؤلفة من اختين إحداهما في الثامنة عشرة والثانية في التاسعة ، وأخوين أكبرهما فى الثانية عشرة وأصغرهما في السادسة ، وقد مات أبواه فكان هو الأب والأم لأخويه واخته ، ومع أن البسة المساجين واحدة ، والهيئة تكاد تكون متحدة ، فانك لتستشف ضعف حال (مظهر) المادية وضيق رزقه من وجهه وعينيه ، والى جانب هذا العوز المحسوس به ، تقرأ على وجهه آيات الوداعة والدماثة جلية واضحة ، قال وهو يحدثني عن جريمته :



السجين مظهر صالح

قال : ـ وجاء إلي من يخطب أختي الكبيرة ، وأنا وإن كنت أرغب كل الرغبة بزواج اختي تخفيفاً من الثقل الملقى على كاهلي ولكني لم أشأ أن أزوجها قبل الاطمئنان التام من سيرة الخاطب في دنياه فرحت أسأل عنه فلم أسمع غير الثناء ، وكان يعمل سائقاً في سيارة ، وهو وإن لم يكن ذا سعة للزواج ولكنه كان أهلا له كما قيل لي ، فرضيت به صهراً ولم الحظ فروق العمر ، فقد كان في الخامسة والثلاثين او اكثر قليلاً .

وبعد يومين من زواجه بأختي جاءني الى البيت وبمحضر من قريبة لي وجيران كانوا هنالك ، أخبرني بأنه حين بنى بزوجته لم يجدها (باكراً) !! فما الذي تريدني أن افعل ؟ من الذي سمع مثل هذا عن اخته ثم سكت ـ واخت كهذه التي كنت أنا الذي أعيلها وأحدب عليها كما يحدب الأب واكثر ؟ ـ ، انني لو سكت فبماذا كنت أجيب من سمع الحكاية من فم الرجل ، من قريب وغريب ؟ أأقول لهم انني عديم الشرف ، عديم الناموس وتنتهي الحكاية ؟ أم اصبر لكي ينتشر الخبر ليقول لي الناس ذلك همساً وبالتلميح او الاشارة وقد يكون بالتصريح أيضاً ؟ .

انني لم افعل غير ما يفعل الناس جميعاً هنا ، لقد قلت لزوجها :

امض بنا الى البيت وسلمني أختي بيدي . وسار الرجل الى بيته وأخرجها إلي ، وهنالك في الشارع ، وفي المكان نفسه سللت الخنجر الذي حملته لهذه الغاية وانهلت عليها طعناً فمزقت لها جانباً من صدرها وجانباً من بطنها ، وقطعت من جوانبها

الأخرى جوانب أخرى، وحين حملت الى المستشفى، لم يبق فيها موضع لم يمس بطعنة، وكانت فيها بقيــة من رمق فنقل اليها الدم، وسهر عليها الأطباء وكانت معجزة للطب حين استطاعت بعد أيام أن تجيب على اسئلة المحقق.

لقد قالت انها لم تر من زوجها اكثر من انه وضع إحدى راحتيه على فمها لئلا تصرخ بينما حاول أن يفتضها بأحــد اصابع اليد الأخرى وقد آلمها ذلك كثيراً وانكرت عليه هذا وهي لا تعرف لذلك سبباً إلا أن يكون في الرجل نقص طبيعي حاول أن يجربه بالزواج فلما لم ينجح التجأ الى العمل المنكر باصبعه وربما رأى في اتهامها وسيلة لاسترجاع المهر الذي دفعه او انتقاماً لاستنكارها إياه.

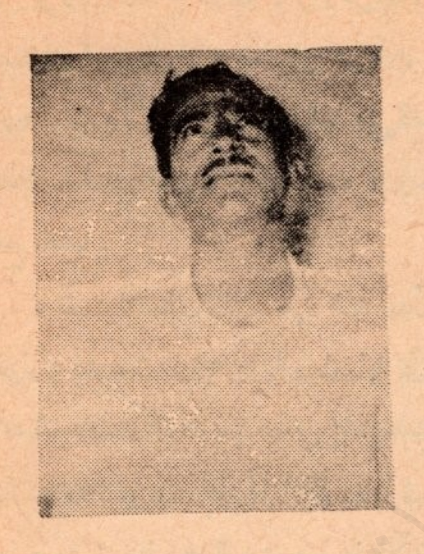
هذا ما قالته اختي بالضبط وجاء الطب العدلي يؤيد رأيها ويثبت ما قالته بدون اية زيادة ونقصان. فوجد ان الافتضاض كان قد تم بواسطة الاصبع.

وصدر الحكم علي بالحبس سنة واحدة، وقد قضيت منه ستة اشهر وأنا في طريقي لقضاء البقية.

عبدالله أحمد

— ٢ —

لايزال وجهه ينضح بروعة الشباب ويبدو للرائي انه لم يتجاوز منتصف العقد الثالث بينما هو الآن في الخامسة والثلاثين وهو من سكان بغداد تخرج من مدرسة الصناعة قبل الحرب الثانية، وعمل في الكهرباء مهندساً في شركة (اس اس) الألمانية، ثم فتح له محلاً لتجهيز الدور بالكهرباء ولبيع الأدوات الكهربائية، فوفق في عمله، واشترى له داراً فهــدمها وبناها من جديد ثم اشترى قطعة ارض عمرها ووضعها للايجار وتوسعت دائرة عمله فاشترى له سيارة صغيرة يغدو بها بين محل عمله وبيته، ثم سيارة نقل كبيرة شغلها في نقل البضائع.



السجين عبدالله احمد

وبعد ان قدم لي هذه المقدمات عن حاله قال :

وكانت امي قد ماتت فتزوج ابي بأختها (خالتي) وكنت انا قد انفردت ببيتي وتزوجت ، ورأيت ان اسحب اختي (من امي) من بيت ابى واسكنها معي فى بيتي ولم يكن حال ابى بالمساعـد على تدبير معيشته اليومية فخصصت له راتباً شهرياً وعنيت بأختي عناية خاصـة واشتريت لها ماكنة خياطة وعينت لها معلمة تعلمها التفصيل والتطريز وتوليت انا تعليمها في البيت حتى تعلمت القراءة والكتابة وكانت جميلة جداً فخطبها غير واحد حين بلغت سن الزواج - فلم يطمئن بالي من الخاطبين فمانعت في اعطائها ، وكان قـد حصل بين خالتي (زوج أبي) وبين زوجتي (نفور) مالبث ان توسع على مرور الأيام وصار عداوة . وتطورت هذه العداوة حتى شكاني ابي الى المحكمة طالباً زيادة النفقة التي قطعتها عنه بسبب هذه المشاكسات والمشاحنات ففرضت له المحكمة راتباً شهرياً أقل مما كنت أدفعه ، وكان هذا سبباً آخر لاثارة حفيظة أبي وزوجته .

وحين بلغ أبي ردي لخطباء اختي وتواني فى زواجها حمل ذلك الرد مني على الرغبة في الافادة من اختي بخدمتها لي ولزوجتي ، فجاء ابي وخالتي الى بيتي ومعها بعض اقربائي الذين كانوا يرون رأيها ويفسرون تأملي فى زواج اختي تفسير أبي وزوجته ، ونقلوا اختي الى بيت أبي ، وبعد ايام زوجوها من موظف يعمل في القسم اللاسلكي بدائرة البريد .

وكانت الطباع مختلفة ، والامزجة متباينـــة فعز الوئام ، وكثر النزاع فلا يتصافيان اسبوعاً إلا ويتنافران شهراً ، وطالما جاءت اختي إلي شاكية باكية فأرحب بها وأكرمها واحسن اليها على قدر ما استطيع حتى انتهى الأمر أخيراً بالطلاق الخلعي الذي لا رجعة بعده ، وجاءت إلي تحمل منه طفلين فلم أقصر معها ومع طفليها .

ولقـد لاحظت ذات مرة انها بدأت تتغيب ، وان تغيبها عن البيت بدأ يطول ، فشددت الرقابة عليها وحاسبتها على كل غيبة محاسبة غير هينة ، وكثرت هذه التغيبات وكثرت مؤاخذتي إياها عليها .

وافتقدتها مساء يوم فلم اترك مظناً لم ابحث عنها فيه فلم اجدها ، ولقد جدّ أبي وجدّت خالتي في البحث عنها هما الآخران في جميع المظان فلم يجداها ، ومر يوم ، وثان ، وثالث حتى انتشر خبر هربها ، وحتى أصبحنا مضغة في أفواه من يعرفنا ومن لم يعرف ، وبدأنا نسمع هنا اخباراً عن ماضيها ما كنا سمعنا بها من قبل ، وتهامس الجيران والأصدقاء بقصتها حتى لم يعـد التحدث عنها جهاراً ذا بأس ، ولك ان تقدر حال واحد مثلي يسمع عن اخته كل يوم اشياء لم يسمع بها من قبل في محيط يعتبر الساكت فيه عن مثل هذه الأمور احقر من الكلب والخنزير ، والفرق بين الشريف فى هــذا المحيط وغير الشريف هو لفظة واحدة ينطق بها الشريف فيقول للتي لوثت شرفه : (موتي) يقول لها موتي فتموت ، اما غير الشريف فيتجاهل الامر كأن لم يكن هنالك شيء قد قيل أو وقع .

وعادت اختي بعد غياب سبعة عشر يوماً تركت صدور الجميع تغلي كالمرجل .

— اين كنت يا . . . ؟

قالت — لقد اخذت ولدي وسافرت بهما الى ناحية (غماس) حيث يعمل زوجي السايق بدائرة البريد .

قلت — ولكنك مطلقة . . . فكيف رضيت ان تمكثي عنده سبعة عشر يوماً ؟ وفضلاً عن ذلك فقد مر على طلاقكما زمن طويل ولم يتفقد فيه ولديه . فهل كان من المروءة في شيء ان تقطعي هذه المسافة بين بغداد وغماس حاملة ولديك اليه ؟ وهبي كل هذا جديراً بالوقوع فلم لم تخبرينا بأنك عازمة على السفر ؟ .

قالت — خشيت ان تحولوا بيني وبين ذلك .

قال : وسافرت انا في اليوم الثاني الى غماس وواجهت زوجها السابق فأيد انها كانت عنده ولكنه قال : انها لم تمكث في بيته غير اسبوع واحد وايد انه كان يكتب لها بين آونة واخرى وتكتب له ولكنهما لم يجدا الطريقة الشرعية التي تبيح لهما العودة الى ربقة الزوجية .

وعدت اناقش اختي عن المدة التي لم تكن فيها عند زوجها فقالت انها قضت الايام الاخرى فى بيت جيران زوجها فى غماس .

وعاد اللغط من جديد يملأ آذاننا على اثر عودتها من غماس ؟ وعاد الناس يتناقلون الصحيح والكذب من الاخبار ، فماذا تراني فاعلا ؟ .

ومع ذلك فقد رأيت ان الخلاص كله في ان نجد لها زوجاً ونستريح وكان ايجاد الزوج لها جد هين لما كانت عليه من جمال مفرط ، وجاء الزوج المناسب ، وجئنا نعرضه عليها فأبت !! وحين رأتني أشدد عليها صرخت وشقت جيبها وراحت تستغيث ، لقد فعلت ذلك بصورة تسترعي الانتباه وتوحي بأن الأمر لا يخلو من سر ...

وخلوت بخالتي سائلاً منها عن سر هذه الممانعة وليس في هذا الخاطب ما يستوجب مثل هذا التمرد والاستنكار فقالت خالتي : انها حامل من زوجها وانا ارى لو اننا فكرنا باجهاضها قبل اقدامنا على تزويجها من هذا الخاطب .

من هذا الذي يستطيع ان يسمع هذا ويصبر عليه ، انني والله لم احس إلا وقد قفّ شعر رأسي وشبت النار في احشائي وجحظت عيناي كأنهما تريدان ان تنطلقا من محجريهما ، ودخلت عليها وهي في بيت أمها ولم يدر بيننا اكثر من اني سألتها وانا على ما وصفت لك اكاد انفجر من الغيظ :

— اين تقضين كل يوم وقتك ؟

قالت انها حرة تقضيه انى تشاء .

وكنت قد اخرجت سكيناً اعتدت ان احملها لأعالج بها بعض اعمالي الكهربائية فهويت بها عليها بالطعن حتى قضيت عليها .

قلت — ولكنك محكوم بخمس عشرة سنة ولم نشهد قاتلاً حمله الناموس على القتل قد حكم بمثل هذا ؟

قال — لقد جاء التقرير الطبي ينفي الحمل وينفي وقوع ما يخدش العرض طوال هذه المدة التي كانت القتيلة مطلقة !! اما خالتي فقد انكرت انها كانت قد قالت لي شيئاً عن حملها !! وانكر الجميع ان يكونوا قد اوصلوا لي بعض الاخبار الشائنة عنها اضافة الى ما كنت قد سمعت به أنا من الآخرين ، ولقد بعت دار سكنى ، وبعت الدار الثانية ، وبعت السيارتين ، وبعت ما املك فانفقته على المحامين لكي اثبت ان القتل قد جرى بدافع الناموس والشرف ولكني اخفقت ولم استطع اثبات ذلك مقابل شهادة الارحام وشهادة الطب العدلي ، وقد قضيت خمس سنوات بالسجن وانا في عذاب لا يوصف تتأرجح بي الافكار المتناقضة فلا ادري أين محلي من الحياة .

سعدي فخري

— ٣ —

شاب نحيف البنية في الثانية والعشرين من عمره انهى الدراسة الابتدائية ولم يكمل السنة الأولى من المتوسطة حين التحق بأبيه يعمل متعهداً في بناء البيوت

والتزام بعض الاعمال العمرانية ببغداد ، دفع بدل الخدمة العسكرية وذاب في اعمال أبيه ، واكثر ما يسرك من سعدى نخري انك تحس بانه يتكلم من اعماق نفسه وانه يعبر عن شعوره الصادق بدون مواربة أو مداهنة .

قلت له — أأنت مستعد ان تقول كل شيء عن جريمتك واسبابها ؟



السجين سعدي نخري

قال — لم لا ... انني سأنقل لك على قدر الامكان جميع احاسيسي بدون ان اترك منها شيئاً ، ولك الخيار بعدذلك ان تأخذ ما تريد وتترك ما تريد .

قال — لقد التزم ابي ذات يوم بناء دار تقع مقابل دار احد كبار الضباط ببغداد ولعلة ما اقتضى ان يحرس بعض الشرطة السريين هذا الضابط ويرافقوه عن كثب ليحموه من اعتداء مظنون وصادف مروري في احدى الليالي بهذه العمارة التي التزمنا بناءها فألفيت ثلاثة اشخاص قد افترش بعضهم الطابوق والبعض الآخر قطعة من الحصيراني كنا نستخدمها لمصالح البناء في تلك العمارة ،

وحين سألت حارس البناء عنهم قال انه يظن انهم من رجال الشرطة وهم مسؤولون عن محافظة دار الضابط المواجهة لهذه العمارة واضاف الحارس قائلاً : ويظهر انهم مأمورون بالتزامه اينما يكون ، فهم يذهبون حين يذهب ويعودون حين يعود .

ودنوت منهم ملاطفاً ، وبسهولة كبيرة استطعت ان اتعرف بهم وقد تأيد لي كل

الذي قاله حارس عمارتنا عنهم ، وهنالك أبيت عليهم ان يشتروا من السوق طعاماً وعينت بعض عمال البناء ليأتي لهم بالطعام من بيتنا صبحاً وظهراً ومساء .

وبقي الحال على هذا المنوال إلى ان زال المحظور وارتفع السبب الذي من أجله كان هؤلاء يلازمون الضابط ليلاً ونهاراً ، ولكن هذه المعاملة منا قد زادتنا اتصالاً بمفوض الشرطة الذي كان المسؤول الأول في حماية الضابط وكانت سبباً من اسباب زيارته لبيتنا وشكرنا على ضيافتنا له ولأصحابه لما كنا نحمله اليهم من بيتنا من طعام ، ثم تكررت هذه الزيارة من المفوض وتحولت إلى صداقة وأخوة .

وكثر تردد المفوض بمرور الزمن على بيتنا ولم يسترع هذا التردد اهتمامنا أول الأمر إذ لم نر فيه شيئاً غير طبيعي ولكنه بدأ يستلفت نظري انا بصورة خاصة وبدأت أرى ان اختلاف هذا المفوض إلى بيتنا في أوقات غير مناسبة أمر يستدعي الريبة ويبعث الشك فما هو يا ترى سر هذه الظاهرة ؟

هل منا أحـــد يعتنق المذاهب المتطرفة ليحمل هذا المفوض على مراقبتنا وملازمته لنا مثل هذه الملازمة المثيرة للدهشة ؟

انه ليس من شيء هنالك ، اما ابي فرجل لا يعرف غير عمله ، وقد اقتديت انا به في طريق حياته ، واما أمي واختي الكبيرة والأطفال الأربعة الصغار من اخواني فضلا عن كونهم ابعد الناس عن فهم السياسة والمذاهب السياسية فانهم لم يسمعوا بها ، وعلى هذا فيجب ان ينحصر امر تردد هذا المفوض الذي تجاوز الحد واستدعى اثارة الريبة بالغرام . بالغرام وحده .

ولكن مع من يتطارح هذا المفوض الغرام ؟ هل مع أختي ؟ ان أختي زيادة على انها لم تعرف بعد الغرام لقرب عهدها بسن المراهقة فان وجهها غامض لا يلوح عليه أثر يدل على شيء من الحب والغرام والتدله ؟ ولم يبق إلا ان اراقب الأم ، ولم يكن في ذلك شيء من الصعوبة ، بل لم يمر بعض الزمن حتى رأيت ،

لقد رأيت البشر طافحاً على وجه أمي حين يكون المفوض عندنا ؟ رأيتها تعالج مختلف الأمور لتجعل المفوض سعيداً في بيتنا ؟ رأيتها تبش في وجهه وتهش له وتهمس في أذنه وهي تحسب انها بعيدة عن عيون الرقباء .

رأيته في بيتنا معها في الوقت الذي لم يترقب أحد مجيئي انا أو مجيء أبي الى البيت .

رأيتها تكثر من استعمال التلفون حتى تأكد لي ان اتصالها إنما كان يجري بالمفوض المذكور .

ورأيتها تتذرع بمختلف المعاذير الصحية للامتناع عن صعود سطح الدار ليلا في الصيف لتنام لا كما كانت تفعل سابقاً . وذلك لكي تخلو بالتلفون وسكان البيت كلهم نيام فتتحدث إلى المفوض بما تريد .

ورأيتها والوقت بعد منتصف الليل وهي تمسك بسماعة التلفون لتتحدث وحين رأتني اغلقت التلفون وقالت : ان متكلماً يسأل عن شخص مجهول .

ورأيت . . ورأيت . . ورأيت

ثم علمت انها تغيب طويلاً عن البيت حينما نكون نحن مشغولين بعملنا خارج المنزل ، وعلمت ان الهمس من اطراف معارفنا بدأ يسمع عالياً ، وعلمت ان المفوض كثيراً ما انتظرها في مكان معين ليأخذها معه الى حيث يريد ، وعلمت اشياء كثيرة .

وعلمت . . وعلمت . . وعلمت

ثم عدت ورأيت من جديد ، لقد رأيتها مع المفوض من بعيد ذات يوم في الشارع ، ثم لفهما الزحام فلم اعد اراهما ، وحرت ما الذي يجب ان أعمل ؟ هل من الواجب ان اخبر أبي بالأمر ؟ وهل ان ابي يجهل مثل هذه الامور أم انه يتجاهلها متعمداً ؟

وأخيراً صممت على مكاشفته والتداول معـــه لمعرفة رأيه ، وحانت الفرصة المناسبة التي اخلو بها اليه للمكاشفة ، وكم دهشت حين عرفت ان ابي يعرف عن امي اكثر مما رأيت انا وسمعت ، وعلمت ، وتحققت ، ولكنه ما كان يعرف ما الذي يجب

ان يعمل هنا ، ثم انه ما كان يريد ان يعرف احدمن أولاده ما عرف هو لئلا يخدش لهم عزة نفوسهم ، اما وقد انكشف له اني اعرف من امرها كل شيء فلم لا يتداول معي في امرها لا سيما وقد خطوت نحو الرجولة وأوشكت ان اتم السنة التاسعة عشرة .

وسألني أبي عما يجب ان نعمل فقلت له اني ارى ان تطلق كلمة الطلاق عليها ثلاثاً ثم تسرحها الى بيت أخيها فاذا ما رآها أخوها جائية اليه ، وهي مطلقة طلاقاً لا رجعة بعده ، تثيره المفاجئة غير المتوقعة فيأتي الينا سائلا عن السبب ، وحين ذاك نقص عليه القصة بكاملها فيتولى هو مسؤولية الشرف ، ويتصدى هو لغسل العار بقتلها ونكون نحن بمنجى من التبعات المترتبة على هذا الأمر الخطير .

واستحسن ابي رأيي وطلقها حالا وأرسل بها الى بيت اخيها .

ومر يوم وثان وثالث ، واسبوع واكثر ، وخالي لم يبدمنه شيء ، ولم يعترض على شيء ولم يسأل عن السبب على خلاف ما كنا نظن ، ويظهران الفرصة قد اصبحت اكثر سنوحاً لأمي في ان تطلق العنان لأهوائها وتغدو وتروح مع المفوض حيث تريد .

فلقد شاهدتها عصر يوم وهي تهم بالخروج من باب السينما ومعها المفوض المذكور فألقت بخمارها على وجهها لتحجبه عني ، اما المفوض فقد تظاهر بانه سائر على رسله و قد دخل محلا للمرطبات ودنوت منها سائلا :

— لم يا أمي انت على هذا الحال ؟ لم . ؟

قالت — أفحرم علي دخول السينما ؟

قلت — استغفر الله . . . فما هذا الذي قصدت وإنما أريد ان اقول ألم يكفك هذا الاستهتار ان تماشي (المفوض) وانت سافرة الوجه حتى إذا رأيتني القيت بالنقاب على وجهك كأنني انا الذي يجب الاحتجاب منه ؟

قالت — انت واهم جداً ... فما هنالك من أعرف من مفوض أو غير مفوض في هذه السينما وإذا كنت قد رأيت احداً فيجب ان تتأكد انني لم أره

وسكت وحملتها بسيارة (البيك آب) التي كنت قد مررت بها من هناك وأوصلتها إلى بيت خالي ، ثم نويت الشر منذ تلك الساعة .

لقد نويت ان اقصدها الى بيت خالي فأفرغ في صدرها رصاصة واستريح .

وهكذا تهيأت ، وحملني على التعجيل ما سمعته عن استهتارها الجديد بعد أيام ، ومشيت إلى البيت ولكنني لم اجدها فيه وكان يومذاك قد اقيم مهرجان رياضي بساحة الكشافه فشاهدت وانا أمر من شارع الزهاوي وقد ارفض الاجتماع وانفرط عقد المهرجان لقد شاهدت أمي ومعها المفوض يعود مع العائدين من المهرجان وحين لمحتني من بعيد انزلت البرقع على وجهها كما فعلت قبل ذلك عند باب السينما وقد خففت رجلي لالتقيها عند ملتقى الشارع الثاني ولكنني حين وصلت إلى المكان المعين كان المفوض قد اختفى اما هي فكانت تريد ان تنسل وتتظاهر بنفس ما تظاهرت به من قبل .

فقلت لها وانا ارتعد من الحنق والغضب .

— والآن ما قولك ؟ فهل بعد هذا من انكار ؟

قالت — وقد رأت اني قد عرفت كل شيء ، قالت ان الزوج الذي لم يتورع من اهانتي ، ولم يمتنع عن مس كرامتي فيما الصق بي من عار الطلاق لهو جدير بأن امس شرفه بكل قبيح فانا مختارة فيما اعمل ...!!

لم اعرف ما الذي قلته لها بعد ذلك وما الذي اجابت به وكلما اتذكره الآن هو اني سحبت المسدس من جنبي وبدل ان افرغ في صدرها رصاصة واحدة كما كنت اريد ان افعل فقد افرغت في صدرها ست رصاصات لم تخطئها منها ولا واحدة ...

ووقفت امام المحكمة وانا اعلم ان ليس لأبي فيما فعلت يد او اصبع ولكنني خشيت ان استشهد به فيعتبره الادعاء العام محرضاً وشريكا او واقفاً على الجريمة لذلك كان همي الاول ان ابعد ابي عن الشبهات ليبقى على رأس أولاده الصغار

والحق انه كان بعيداً عن كل ما جرى من تصميم القتل ، ورجح ابى رأيي هـذا فانـكر عامه بشيء من اخلاق امي وسلوكها الشائن وكان فقداني للشاهد على الباعث الذي بعث هذه الجريمة هو الذي اخرج هذه الجريمة من نطاق جرائم الشرف والناموس فاعتبرها القضاء جريمة من نوع آخر ، وصدر الحـكم علي بالحبس المؤبد وقد قضيت الآن نحو سنتين من هذه المـدة التي يفرض على الناموس والتقاليد ان اقضيها حيث ترى .

سلمان هاشم

— ٤ —

سلمان هاشم .. شاب في مقتبل العمر ، دخل السجن وهو ابن ثماني عشرة سنة ، وكان عاملاً مجداً ومن خيرة عمال شركة النسيج والغزل العراقية ببغداد ، وحين عمل في الشركة كان لايزال صبياً وقد مات ابواه . وتزوجت اخواته الاربع ، وبقيت اخته الصغيرة فساكن احدى اخواته المتزوجة من نائب عريف للشرطة بمحلة (الارضروملي) ببغداد وكان عمله فى الشركة يتطلب منه ان يقضى من كل شهر اسبوعين ليعمل ليلاً في المعمل واسبوعين يعمل بهما نهاراً على سبيل المناوبة. وكان سعيداً في حياته وقد اجتهد ان يجعل اخته الصغيرة سعيدة هي الأخرى بما كان يخصها من المشتريات ، ولـكن الأيام تأبى ان تمشي على وتيرة واحدة ، وان تصفو من كل كدر فنسجت له رداء الجريمة والقت به في السجن على النحو الذي يرويه هو بنفسه ، قال :

وكنت انا واختي الصغيرة نساكن أختنا المتزوجة من نائب العريف وقد بدأنا انا وزوجها ندرك بانها صارت تتغيب عن البيت اكثر مما تستدعيها الحاجـة أو

تقتضيه الاحوال الطبيعية ، وكان لابد ان نسألها وان تناقشها فكانت تتذرع في كل مرة بعذر من الاعذار التي قد تبدو معقولة ومطمنة للخاطر في كثير من الاحيان ، وكان مجال فسادها واسعاً جداً بالنظر لما كانت تفرضه علي واجبات العمل من الاشتغال اسبوعاً فى النهار واسبوعاً في الليل ، ولما كان يفرضه الواجب على زوجها ـ وهو نائب عريف ـ من تغيب تقتضيه وظيفته ، وكانت تعرف اوقات انشغالنا فتطلق لنفسها العنان في الأوقات المناسبة .



السجين سلمان هاشم

وجاءني زوجها أخيراً يقول انه قد ثبت لديه ان زوجته تخونه وان ردعها اصبح من قبيل المحال لذلك فهو مضطر لطلاقها ، وهكذا طلقت ولا تسل عما ركبني من القلق والشعور بالحقارة ، فقد كان لدي من الاستنتاج والاستقراء ما يؤيد قول زوجها ولكني كنت ابحث عن الدليل القاطع الذي لا تعروه الشبهات ، فرأيت ان اضع لها الخطة التي تقفني على حقيقتها وقوفاً تاماً فما جاء الاسبوع الذي يقع فيه عملي ليلاً حتى تظاهرت بالمرض ولازمت فراشي فى البيت واتقنت دور مراقبتي لجميع حركاتها وسكناتها ، وسألتني حين رأتني ممدداً ولم اتهيأ للخروج كالعادة من البيت .

ـــ لم لا تخرج للتفسح وقضاء الوقت ؟

قلت اني اشعر بوعكة وأرى الأنسب ان اظل في الفراش طول النهار .

فسكتت هي ورحت انا اتظاهر بالنوم فرأيتها تعمد الى المطبخ و بنشاط منقطع النظير

بدأت تطهو الطعام ، وبعقيدة المطمئن من عدم رؤية أحد لها جاءت (بالسفرطاس) وافرغت فيه ما شاءت مما طبخت ، ثم ذهبت به إلى قرب باب الدار ملفوفاً بعباءتها لتحمله متى شاءت ان تخرج دون ان يراها احد .

وكنت قد تهيأت لتعقيبها إذا ما خرجت وقد حملت معي خنجراً لأغمده في صدرها في أول ساعة يجابهني به الدليل العيني على استهتارها وخيانتها .

وجاءت الساعة التي رأت فيها الوقت المناسب لخروجها فخرجت وهي مطمئنه من ملازمتي الفراش ، اما موعد رجوعها إلى البيت فليست بسائلة عنه وحسبها إن عادت أن تقول لمن يسأل انها كانت عندصديقتها فلانة أوعند غيرها من الجيران ، والمهم هو ان تـكون بعيدة عن عيون الرقباء في الخارج ، وهي بعيدة بلا شك ما دامت محجّبة وما دام البرقع الذي تغطي به وجهها كثيفاً .

وخرجت ، وخرجت في إثرها متحفظاً واحسنت دور التعقيب بكامل مقتضياته حتى بلغت مكتب احد المحامين بشارع المأمون وكان الوقت ما بين العاشرة والحادية عشرة وإذا بها تخرج من جيبها مفتاحاً فتفتح به باب مكتب المحامي وتدخل .

وبقيت انتظر وانا في حال لا يوصف من الاضطراب والهياج وقد ثبت عندي بالدليل القاطع انها امرأة فاجرة لا تعبأ بالشرف ، ولا تقيم للناموس وزناً فلم اشعر إلا وأنا ارتجف كالسعفة أمام الرياح واحس بضربات قلبي تتوالى كالرصاص وهو يريد ان ينطلق من صدري .

وحان الظهر وجاء المحامي فمد يده هو الآخر فأخرج مفتاحاً وفتح به باب مكتبه ودخل .

وظللت انتظر ، وطال انتظاري حتى تجاوزت الساعة الرابعة بعـد الظهر فاذا بها تنزل من المـكتب .

ويظهر انها رأتني عند أول خروجها من المـكتب لذلك سعت ان تلوذ بالفرار بكلما اوتيت من قوة وحسن تدبير ، فانعطفت في الزقاق الفرعي من الشارع العام

واسرعت انا اعدو حتى لحقت بها وانا على الحال الذي وصفته لك من الهياج حتى ادركتها وهنالك اجهزت عليها بخنجري طعنة تلو أخرى ولم اسمع منها إلا صوتها وهي تستعطفني صائحة :

اختك ... اختك . .

وكان قد اجتمع حولي بعض الناس الذين عرفوا من هيأتي ومن طريق اجهازي عليها انني اثأر لناموسي فكانوا يشجعونني كلما وجهت لها طعنة وكلما غرزت رأس الخنجر في بدنها ولا أزال حتى الآن اتذكر كلمات الاستحسان التي وجهها لي جميع من حضر الواقعة تكريماً للشرف .

ورحت من تلقاء نفسي إلى الشرطة معترفاً بجريمتي ، وادليت هناك بالأسباب التي حملتني على قتل اختي ، وكانت هي لا تزال حية وكم كانت الدهشة كبيرة حين جرى التحقيق معها فظهر انها امرأة « علوية » ليست لهـــا بي وبأختي أية صلة أو معرفة اما اختي فكانت قد دخلت أحد البيوت المفتوحة في هذا الزقاق قبل انعطافي فيه في الحين الذي كانت شبيهتها (القتيلة) تمر من هذا الزقاق على سبيل الاتفاق فراحت المسكينة ضحية الاشتباه وماتت في المستشفى في اليوم الثاني وجاء التحقيق يعزو جريمتي إلى اسباب أخرى ولا أدري لربما لاكت الالسن سمعة « العلوية » القتيلة ، ولربما قيل عنها ما لم يكن ، وصدر الحكم علي بالسجن المؤبد ولم اقض منه غير ثلاث سنوات وثلاثه شهور .

قلت له — واختك ؟ ماذا جرى لأختك ؟

قال — لقد سافرت مع المحامي الخليل إلى ايران وقضت هناك سنة كاملة ، وعادت إلى بغداد . . .

ثم قال — أتريد ان تسمع بقية القصة . . . ؟ قلت بالطبع ، فقام سلمان إلى الباب ونادى سجيناً من السجناء وقدمه لي قائلاً :

— انه ابن خالتي مهدي صالح وزوج احدى اخواتي وهو يتم لك الحكاية .

مهدي صالح

ومهـدي صالح شاب فى الثلاثين من العمر كان يشتغل سائقاً فى سيارة تعمل في نقل الجص من الخارج الى المدينة قال ـ :



مهدي صالح

انا لا أقول شيئاً ولكني اترك الأمر لك لتقدر من الذي يستطيع ان ان يتحمل العار فى هذا المحيط ؟ ومع ذلك فالله يعلم انني ماتوقعت ان اكون أنا القاتل لأنى لم اقدر لنفسي امكان رؤيتي لابنة خالتي لكي اقتلها ذلك لأنها فرت منذ وقعت جريمة « العلوية » التي راحت ضحية الاشتباه والتي ظلت اسرتها فى شك وريبة من وقوع هذا القتل فلم تدر هل انها كانت ضحية غير مقصودة كما يقول قاتلها حقاً ؟ أم كانت لها بهذا القاتل علاقة غرامية ذات شعب وفروع أدت إلى هذا القتل كما كان يحلو للبعض ان يقوله .

واقسم انى لم اتوقع ان ارى ابنة خالتى فضلاً عن ان اتوقع قتلها وان كنت لا امتنع من القتل لو انى رأيتها ، حتى مررت ذات يوم بسيارتى من طريق محلة (بني سعيد) لنقل الجص ، وكان الوقت صباحاً ، فاذا بي المحها على مقربة مني وهي تحمل بعض لوازم الفطور .

وفتحت عيني جيداً لئلا اقع فى الغلطة التى وقع فيها اخوها وسألت نفسي ؟ أهي (هدية هاشم) بنفسها ؟

فقالت عيناي، وقالت بصيرتي انها هي ، هي بذاتها وليس غيرها ، فليست هي محجبة كما كانت أمس لتضيع علي ، وليست حركة مرور الناس قوية كما كانت في الزقاق الذي جرت فيه قصة « العلوية » فهاهي ذي سافرة ، وان عدد المارة قليل والفرصة سانحة ولم يكن بيني وبين الثأر للشرف إلا ان اوقف السيارة فأوقفتها ، ونزلت ، وكنت احمل سكيناً صغيرة استعين بها على قضاء حاجاتي اليومية فشهرتها وحملت عليها بطعنات متتالية تركتها بعدها جثة هامدة ، ولم ابيض وجهي ووجه أقربائي بهذا القربان فحسب وإنما كان في ذلك بياض وجه « العلوية » القتيلة التي قام البرهان بهذا القتل على بياض صفحتها عند من لم يعرف الحقيقة بعد ، وصدر الحكم بسجني سبع سنوات قضيت منها سنتين وقد خلفت زوجتي واطفالي الصغار بدون معيل .



وقد يحمل خوف الفضيحة ، وانكشاف الجريمة كثيراً من المجرمين على ارتكاب جرائم أخرى ربما كانت اشد وقعاً من الجريمة نفسها ، وان سجلات الجرائم لمشحونة بكثير من حوادث المجرمين الذين ارتكبوا القتل ليخففوا جريمة السرقة . أو احرقوا البيوت والمحلات ، واحرقوا حتى النفوس أو حطموا كثيراً من الاجهزة ، لكي يخففوا معالم جريمة ربما كانت صغيرة تافهة لا تستحق ارتكاب كل هذه الجرائم الفظيعة من اجل تغطيتها .

وهنالك نوع من الجرائم الكبيرة لو خلي وشأنها أو لو أن مرتكبها جابه الحقيقة ، واماط اللثام عن الواقع ، وسرد الحادثة كما هي بدون تعمية وتضليل ، لما زاد مفهوم جريمته عن مفهوم الحوادث الطبيعية البسيطة ، إذ كثيراً ما يكون الدافع الى ارتكاب الجريمة دفاعاً عن العرض ، أو النفس ، أو المال ، ولكن ارتكاب بعض الاغلاط بقصد التعمية أو التغطية كثيراً ما غيرت مفهوم تلك الجريمة واسبابها ، واخرجتها عن كونها دفاعاً عن العرض ، والنفس ، والمال ، وابعدت بواعثها الاساسية عن الذهن فيدعو ذلك إلى مضاعفة العقوبة أو اعتبارها عقوبة مزدوجة بسبب هذه المحاولة من تغطية الجريمة وبنسبة وقوعها وكيفية هذا الوقوع .

ومع ان كثيراً من هذه الجرائم قد فلتت من يد العدالة بسبب تلك التغطية . ولكن ذلك الكثير لم يقع إلا بنسبة جدضئيلة وفى ظروف خاصة ، ذلك لأن خطة التعمية وان احكمت واتقن تنفيذها ، ثم اتخذت الحيطة لها من جميع جهاتها ، فانها آيلة إلى الانكشاف حتماً ولو بعد مدة من وقوع الجريمة واخفاء معالمها ، وليس اصدق على ذلك من اعتراف قام بترجمته أحد الكتاب لمجرم قتل زميله ثم قام بكل مقتضيات التعمية والتغطية لاخفاء معالم الجريمة ، وسواء صح هذا الاعتراف الذي نقله الكاتب والذي نثبته هنا كمثل من أروع الامثلة لمثل هذه الجرائم ـ أو لم يصح فانه جدير بأن يكون درساً بليغاً ومن الدروس ذات التأثير العميق قال المجرم :

« قصتى حقيقة — لكنها اغرب من الخيال . . وقد لا يصدقها القراء . . سأحاول ان ارويها ببساطة ودون تنميق . . . ولست اخشى ان يزعجني أحد في خلال كتابتها ، أو يقطع علي حبال التفكير . . . فأنا الآن في وسط زنزانة السجن ... الخاصة بالمحكومين بالاعدام ... وبعد أيام سألاقي حتفي .

سأسمي نفسي (مورفي) ... والشخص الآخر الذي بسببه كنت فى السجن (كيللي) .

كنا نعمل نحن الاثنان فى التحنيط والتجويف ... وهذه المهنة فى حد ذاتها ثقيلة على السمع . . . يمجها الذوق السليم ... وهي تتطلب من مزاولها ان يكون ملماً بعدة علوم وفنون ... كالجراحة والكيمياء ، والطبيعيات ، والنحت والفن... وحتى التحطيب .

وهذا الفن ـ فن التحنيط ـ تطور فى خلال العصور ... كان يقوم في الماضي على تجويف الحيوان ووضع بعض الادوية فى احشائه لحفظه عبر السنين . . . واليوم صرنا نسلخ جلد الحيوان باعتناء ، ثم نغمس باقي الجسد فى الجفصين . . . (ونتقعه) بضعة أيام نحصل بعدها على صورة طبق الاصل للجسد حين ننزع الجفصين عنه ... وذلك طبعاً بعد عمليات جد دقيقة لا يتسع المجال لتفصيلها ...

ثم تأتي الخطوة الثانية في هذه العملية المهمة وهي الصاق الجلد على قالب الجسم ... وهي اخطرها في هذه العملية الدقيقة .

ولن استرسل في الوصف والايضاح فيكفيني في قصتي ان اكون قد اوصلت القراء إلى هذا الحد .

* * *

كان (كيللي) صاحب معمل للتحنيط من هذا النوع وكنت انا مساعده . اي انه كان رئيسي وكنت مرؤوسه ... كان فظاً شرس الخلق ، غليظ القلب ... وبكلمة واحدة كان وحشاً بشرياً بلا شفقة ... ولا رحمة .

كان يعرف انني مجدّ في عملي ... وانني أريد التقدم والنجاح في مضمار هذا الفن . . . لكنه وقف في سبيل نجاحي ... ولسبب لا اعرفه لم يصرفني من معمله ... ولا هو أراد لي الفلاح . . . فكان كلما جاءته عملية هينة كتحنيط كلب أو هر احالها علي وكلما جاءته عملية صعبة ومهمة كتحنيط تمساح أو زرافة مثلا ... استأثر بها لنفسه ... على رغم اقراره بمقدرتي ومهارتي .

* * *

وذات يوم دخل علي وانا احنط قطة ، ولما رآها بلا ذيل سألني عن ذيلها ... فأجبته انها من قطط جزيرة (ماين) المعروفة انها بلا ذنب . .

فقال لي ساخراً . . . ومن يضمن لي انها كذلك . . . وانها لم تفقد ذنبها في حادث سيارة مثلاً . . . ؟

وتمالكت روعي واخذت اشرح له خصائص قطط جزيرة (ماين) وتركيب اجسامها . لكنه لم يقنع . . . وانهال علي بالاهانات . . . والكلمات الجارحة اللاذعة ... كأنني ولد صغير معتوه .

ولم احتمل اكثر من هذا ... واسودت الدنيا في عيني ، فقد كنت (منرفزاً) في ذلك النهار ... وتقدمت صوبه أريد ان ارد له الكيل كيلين . . . والصاع صاعين ، لكنه أولاني ظهره ... وكأنني حشرة لا هي في العير ولا في النفير .

وصعد الدم الى رأسي ... وتناولت قطعة من حديد كانت موضوعة على الرف.. وضربته على مؤخرة رأسه ضربة افقدته الصواب فصرخ صرخة عالية . . ووقع على الارض فاقد الحركة . . لكنني لم اشف غليلي . . بل اخذت اكيل له الضربة تلو الضربة حتى صار جثة بلا روح ...

وتقدمت منه اتفرس في وجهه ... واتحسس نبضه وانظر في عينيه ... فاذا به قد انتقل إلى العالم الآخر ... وإذا بي اصبح في طرفة عين من القتلة المجرمين .

وخرجت من المعمل لا ألوي على شيء ... وأخذت اتجول في الشوارع والطرقات على غير هدى ... حتى استقر بي المقام في مقهى احتسيت فيه بضع كؤوس ازالت عني بعض روعي وقلقي .. وتوجهت الى غرفتي لأنام ...

واستيقظت في الصباح وانا محموم مريض ، فقد اثر في الشراب ، وآلمني كابوس الهواجس والتفكير في جريمتي النكراء ، وتمنيت حين تبلج نور الصباح ان تكون تلك الجريمة من نسج الخيال أو احلام السكرى .

لكن الحقيقة ما لبثت ان تجلت لي واضحة كالشمس ، فأخذت حيالها افكر في مخرج من هذا المأزق اللعين .

وخطر لي أول ما خطر ان احنط (كيللي) تماماً كما اعتدنا ان نحنط الحيوانات .

وذهبت الى المعمل في المساء ، وبقرت بطن الضحية وجوفتها ، وسلخت جلدها - كما كنا نفعل بالقرود - وهيأت الجفصين ... والقيت بما تبقى من الجسد في الفرن الكبير .

وكانت خطتي ان احنط (كيللي) واجلسه على الكرسي . . فيظنه رأوه نائماً ولا يوقظونه .

لـكنني وجدت ان هذه الخطة قد لا يكتب لها النجاح الذي ابتغيه ، وطرأت علي فـكرة جديدة . . جريئة . . جعلت القشعريرة تسري في جسدي ، هي ان اضع جلد الميت على جسمي ، فأتقمص شخصيته لبضعة أيام ، حتى اكون قد دبرت أمر فراري من البلاد . . فأصبح أنا (كيللي) ويصبح الميت (مورفي) أي أنا .

وقضيت اياماً اشتغل بدقة وصبر ، وأعمل الرتوش اللازمة ، ثم ارتديت ثيابه ـ فنحن متشابهان بحجم القامة ـ ونظرت في المرآة فاذا بي لا أ كاد اعرف نفسي.. واصبحت (كيللي) بالذات بصورته ، وصوته ، وملابسه . . لولا اختلاف بسيط في الأسنان والعيون ، لـكنه اختلاف لن يلحظه أي مخلوق ، وفي اليوم التالي خرجت إلى الشارع ، فاذا المعارف والاصدقاء جميعاً يحيونني على انني (كيللي) لا السيد (مورفي) .

وفى اليوم الثالث تجرأت وذهبت الى الغرفة التي يقطنها (كيللي) فلم تشك بي صاحبة البيت . . لـكنها سألتني عن سبب تغيبي فأجبت اني كنت في الريف .

وقضيت الليل نائماً على سريره دون ان ازيح جلده عني ، وفـكرت ان صاحبة البيت الذي اقيم انا أي(مورفي) فيه ، ستقلق كما قلقت هذه السيدة على (كيللي) ، فقررت ان احرق جلده واخفي آثاره .. واعلن ـ كما كان يعلن بين اصدقائه ـ انه سافر الى كندا ليعمل في إحدى الشركات ، وبذلك لا يضايقني مخلوق .

وسري عني ، وحمدت ربي إذ استطيع النجاة من القصاص . . لـكن الرياح جرت على غير ما تشتهي السفن .. فقد غلطت غلطة هي التي كلفتني الحياة .

اما كيف كان ذلك ... فقد اخطأت بان نمت في السرير دون ان انزع الجلد ... فألصقته حرارة الليل على جسدي ، وفي الصباح لم استطع ان انزعه عني ، ومضت أيام وهو يزداد بي التصاقاً حتى صار يعرق ويتنفس ... ويعيش كأنه جلدي الخاص ، وهكذا صرت (كيللي) بالذات بالرغم مني ....!!

* * *

ومرت الأيام ... فاذا بها تحمل لي متاعب لم استطع منها الافلات ، فقد جاءتني السيدة التي كان يقطن عندها (مورفي) ـ انا ـ وأخذت تسألني بصفتي (كيللي) عن مورفي وعن سر اختفائه : فأجبتها باني أنا نفسي كنت على وشك زيارتها وسؤالها السؤال نفسه لكنها كانت قلقة علي ، واعلمتني عن رغبتها بابلاغ البوليس ... فلم أر من المناسب ان اثنيها عن عزمها لئلا أثير الشكوك .

وأخذت اشرب واشرب ... لأنسى واقعي المؤلم ، وذهبت ذات مساء إلى النادي الذي كان يتردد عليه (كيللي) فلم يشك احد بشخصيتي وكان هذا النادي من أسباب حنق رئيسي السابق علي .. فقد انضممت اليه دون علمي انه عضو فيه ، لكنه غضب لظنه اني اشتركت في النادي لأحصي عليه حركاته ومغامراته مع النساء .

وأردت ان العب (السنوكر) لكنني تذكرت فجأة ان (كيللي) كان يجهل هذه اللعبة ، بينما أنا من أمهر لاعبيها .

وتصبب العرق غزيراً من جبيني ، وذهبت اهدىء روعي على البار ، ووقفت سيدة ثرثارة بجانبي ، وأخذت تسألني عن (مورفي) العزيز . . وعن سبب غيابه الطويل .. وكيف ان لعبة (السنوكر) تفتقده وهو من خيرة لاعبيها .

وتصبب مني العرق البـــارد مرة أخرى ، وخرجت من النادي وتوجهت إلى بيتي الى بيت (كيللي) بطبيعة الحال .

* * *

وذات يوم . . كنت في المعمل وإذا برجلين يدخلان علي فاستقبلتهما على الرحب والسعة ، لأنني عرفت انهما من رجال البوليس المدني ، واخذا يلقيان علي الاسئلة عن غياب رفيقي (مورفي) : متى غادر المحل ؟؟؟ ومتى رأيته لأول مرة ؟؟؟ فقلت

انه كان دائماً يهددني بمغادرة معملي إلى بلد آخر . . . ومنذ أيام انتبه لخطأ اتاه في اثناء العمل ، ويظهر انه غضب وتركني ، وسألاني ان كنت قد تغيبت عن المعمل في المدة الأخيرة فأجبت بالايجاب وانني ذهبت إلى مدينة (كورك) لأعمال خاصة ورجعت بعد أيام .

ومع انهما لم يظهرا أي شك في أمري ، فقد قلقت جداً لمجيئهما ، واحسست بشعور خفي ان الخطر بدأ يقترب مني بخطوات سريعة .

بعد أيام من هذا الحادث عاد رجلا الأمن مرة أخرى وبرفقتهما شرطيان نظاميان واطلعوني على مذكرة بتحري المعمل ، معتذرين لازعاجي .

فأجبتهم إلى طلبهم وأنا اتصنع الاهتمام مثلهم بكشف النقاب عن السر الخطير في اختفاء مساعدي ، واستأذنتهم بالانصراف إلى موعد مهم في الخارج وأبقيتهم في المعمل يفتشون كما يشاؤون .

وخرجت إلى اقرب مقهى ... ادفن همومي بين كؤوس الشراب ، فقد اسودت الدنيا فى عيني ، وكاد اليأس يقتلني .

ومضت بضعة أيام ... وإذا برجال الأمن يدخلون المعمل ويقبضون علي بتهمة قتل مساعدي (مورفى) أي بتهمة قتل نفسي أنا .

وتكاثرت الاثباتات والشهود ضدي : منها بقايا العظام البشرية التي وجدوها في مرجل الفرن ... وحكم علي بالموت شنقاً ...!!

ولم استطع الدفاع عن نفسي ، ولا رد التهمة عني .. إذ لو برهنت على اني انا (مورفى) ونزعت جلد كيللي عن جسدى ... فسأعاقب بتهمة قتل (كيللي) .

هذه هي حالتي الغريبة ، وقصتي المؤسفة . وأنا الآن لا أعلم والله ان كنت القاتل أم الضحيه ... الجاني أم المجني عليه ؟ فقد كان (كيللي) مجرماً بطبعه ، فظاً فى اخلاقه ... »

وبعد ... فالى القراء بعض ما أتيح لي تسجيله من اعترافات المساجين الذين قاموا بارتكاب هذه الجرائم على هذه الصور والانماط التي يرونها هنا :

يونس عبدالله

— ١ —

شاب في الثالثة والعشرين من العمر حلو الشمائل ، بشوش ، دمث ، انهى دراسته الابتدائية في الموصل واشتغل مضمداً بالمستشفى الملكي وتدرب على التضميد . ودخل الخدمة العسكرية ودفع البدل ، وتزوجت أخته وانتقلت إلى بغداد فكانت فرصة مناسبة لانتقاله معها واشتغل مضمداً في عيادة الدكتور ابراهيم عبدالجبار بساحة الوصي من شارع غازي ببغداد ، لقد أراني قصته مكتوبة بيده على الورق ولم أجد فيها غير استفظاعه لعمله وندمه على ما وقع له ، واستغفاره مما وقع ، فرغبت عن كتابته وطلبت منه ان يقص علي قصته بلسانه فقال :



يونس عبدالله

وذات يوم وانا أعمل في عيادة الدكتور ابراهيم عبدالجبار لمحت بين المرضى فتاة تنتظر دورها في قيامي لها بضرب (الأبرة) حسب وصية الطبيب ، وكانت الفتاة جذابة في عيني ذات ملاحة ووسامة ، وكانت المعالجة تتطلب ان تكمل دورة من تلك الأبر وكان ترددها المستمر على العيادة داعياً لأثارة احاسيسي نحوها ، وعلى مرور الأيام علمت بانها امرأة مطلقة منذ ستة شهور وان لها من زوجها طفلة صغيرة تحتضنها عمتها ، وانها أي المرأة تقضي حياتها في اتعس مايقضي البؤساء حياتهم فهي ليس لها اهل ولا اقرباء ولولا بعض المعارف الذين تعرفت بهم في بعض المناسبات لخلت دنياها من كل اسم ذكراً كان أم أنثى .

وحفزني ماعرفت عنها ـ وبعد ان ارتني ورقة طلاقها من زوجها ـ إلى ان اطلب يدها وأبني بها دون الاهتمام بزواجها السابق ، ورأت أختي رغبتي بل هيامي بها فأيدت هذا الزواج وجرى العقد ، وتم الزواج في بيت أختي ولم نلبث طويلاً حتى انتقلنا الى بيت آخر بناء على عدم التئام اختي وزوجتي .

وفي غروب يوم ونحن عائدان من السينما إذا برجل ليس فيه ما يريح البال من حيث الشكل والهندام إذا به يستوقف زوجتي ويجرها إلى جانب من الطريق ويشرع معها بالكلام ، وكان لا بد لي ان اعترض سبيله واعارض هذا التصرف منه ، ولكنه ردني قائلاً : بانه يكلم زوجته ، وانه لم يرها منذ مدة ، ولست أدري ما الذي دار بين زوجتي وبينه ولكني علمت من زوجتي ان هذا هو زوجها السابق وانه من الخير ان لا اهتم بأمره ، وان ليس له أي حق بها مادام قد طلقها في المحكمة الشرعية وسلمها كتاب طلاقها بيديها .

ومنذ ذلك اليوم بدأ هذا الرجل يلاحقنا ويضايقنا ويطالبنا ببعض النقود ، واحسست بالشر يدنو منا يوماً بعد يوم فقد علمت ان الرجل كان جندياً وان حياته في الجندية لم تكن مريحة ، وانه يقضي أيامه الآن كما يقضيها المشردون وقد احسست بأن زوجتي ربما كانت على اتصال به ولكني كنت احس بأن هذا الاتصال كان نوعاً من السعي لابعاده عني والتخلص منه بالتي هي أحسن ، ومع ذلك فلم نأمن من شر تهديده ولم نستطع التخلص منه ، فلا نكاد نغض الطرف عنه حتى يلتقينا بلون من ألوان التهديد يحملنا على تطييب خاطره ومساعدته بمقدار من المال ، واستمر هذا الحال طويلاً ولكي نضع حداً لهذا التنغيص صممت على ان ارده فى هذه المرة بالعنف والشدة وان لا اهتم بتهديداته السابقة ، وهكذا كان ، فلم يراجعنا آخر مرة لطلب النقود حتى زجرته وكلت له بالكيل الذي كان يكيل به من التهديد واكثر ، فراح .

ومر على الحادث بعض الأيام وكنت في العيادة ، والوقت في نحو الساعة التاسعة اتهيأ للخروج الى السينما مع صديق قدم بي في العيادة لهذا الغرض حين دخل علي الرجل وهو في حالة سكر ظاهرة والشرر يتطاير من عينيه ، وقد شهر سكيناً هجم بها علي فهب صديقي في وجهه محاولاً انتزاع السكين من يده ولكنه تلقى منه طعنة حادة في معصمه وعلى انه فتر بعض الفتور في دفاعه ولكن وقوفه في وجهه قد ساعدني على الظفر به وانتزاعي السكين من بين يديه ثم طعنته بها وأنا لا أدري والحق يجب ان يقال هل اني كنت أريد الانتقام بهذه الطعنة النجلاء أم اني كنت اريد الدفاع عن نفسي وكيفما كان فقد سقط الرجل ، وفي بضع دقائق كان قد قضى ! !

وخرج صديقي من العيادة بعد ان ضمدت له جرحه ورحت اعالج الجثة وقد علمت انني لن استطيع ان اخفي معالم الجريمة دون استغلال الفرصة المناسبة الكافية وانتظاراً لهذه الفرصة يجب ان اعد للامر عدته اللازمة فقمت إلى الجثة فنقلتها إلى الحمام وافرغت منها الاحشاء ، وغسلتها ثم عقمتها ونقلتها إلى سطح العيادة بعد ان قطعتها ارباً ارباً واعدت التعقيم من جديد ، ثم نزلت ازيل كل أثر في محل النزاع وامسح آثار الدم من على الجدران واحك البعض منها ، وحين جاء النهار كان كل شيء هنالك على ما يرام ولم يكن ما يستلفت النظر غير الحك البادي على الجدران هنا وهناك .

ولقد سألني الطبيب في اليوم الثاني عن هذه الآثار فقلت انها اوساخ كانت عالقة بالجدران وكنت انتظر لي فراغاً استطيع ان ازيلها فيه وقد حصل هذا الفراغ ليلة امس فعملت جهدي بأن احكها وان اجعل غرفتك نظيفة ولكني لم احسن اداء هذه المهمة جيداً

فقال الطبيب — ولكن هذا من عمل الخادم فلا ينبغي ان تعود اليه بعد هذا .

واجهدني العمل فى اخراج قطع الجثة كل يوم من البرميل فى اعلى السطح وتعريض القطع للشمس بقصد التجفيف ورشها بين آونة واخرى ببعض المحلولات منتظراً ايجاد المحل المناسب والوقت المناسب لنقلها ،

ووجدت اخيراً المحل المناسب لالقاء الجثة ، وهوة حفرة واقعة وراء السدة من نهاية الجسر فى (الوزيرية) ووقفت عندها وتأملتها جيداً وتأكدت من بعدها عن مرور المارين حتى ولو بقيت سنين طويلة ، واستأجرت عربة حملت بها تلك القطع فى كيس الى المحل الذي اريد ثم حملت الكيس إلى الحفرة والقيت به هناك .

ومر على الحادث نحو ثلاثة شهور حين طلع بعض الصبيان يلعبون الكرة فى تلك الجهات وتشاء الاقدار ان تنتهى الكرة بين تقاذف الارجل بها إلى الحفرة فيتعقبها الصبيان وينتهى بهم الأمر إلى ان يروا هـذا الكيس ويعرفوا محتوياته ويخبروا دائرة الشرطة وتنشر الجرائد الخبر ولكن ليس هناك من يعرف شيئاً عن هوية القتيل ولا عن اسباب القتل ، ومع اني واثق كل الثقة بانه ما من شخص يستطيع ان يتوصل إلى معرفة القتيل للتغيير الكبير الحاصل فى الوجه والتفسخ البادي على اجزاء الجثة فقد رأيت ان احضر انا أيضاً محل عرض الجثة للتأكد من ذلك فكان كما ظننت وعدت لأنام ملء عيني .

ويحيل التحقيق الأمر إلى التحقيقات الجنائية لبذل العناية فى معرفة هوية القتيل وتأتي تحقيقات طبعات الاصابع لتثبت هوية القتيل وتعرفه بعدد من السوابق ، ومن هذه الكوة يلج التحقيق إلى معرفة اهل القتيل ، ومن هؤلاء عرف ان للقتيل علاقة ازدواج سابق ، وان اختلافات ما كانت قد نشبت بين القتيل وبين زوجته السابقة وزوجها الاخير – وهو أنا – ويقبض علي فلم اجد الا ان اعترف بالحقيقة من أولها الى آخرها كما ذكرتها لك ، ولكن المصيبة هي ان صديقي الذي جرح فى الحادثة والذي لا يزال أثر الجرح القديم بارزاً فى معصمه انكر القضية انكاراً مطلقاً و . . ذني

تكذيباً قاطعاً وكانت النتيجة انني حكمت بالسجن المؤبد ، أما صديقي فقد حكم عليه بخمس عشرة سنة بالسجن ، ولو كنا قد دعونا الشرطة عند وقوع الواقعة وقصصنا عليها القصة لأخذت الجريمة شكلاً آخر ، ولا تجهت في القضاء جهة ثانية إذا كانت تديقني فلم تكن تدين صديقي هذا الذي راح ضحية محاولته تغطية الجريمة بالانكار كما فعلت انا أولاً .

عبدالوهاب عبدالرزاق

— ٢ —



السجين عبدالوهاب عبدالرزاق

هاهوذا عبدالوهاب عبدالرزاق بلغ من العمر ٣٦ سنة وقضى شطراً ليس قليلاً من هذا العمر في السجن فقد حكم عليه بالحبس عشرين سنة وقد انهى المدة كلها باستثناء القليل الذي سينهيه ويخرج من السجن قريباً ، كان يعمل في أول شبابه موظفاً في البريد ثم فصل وكانت حياته اشبه بحياة المشردين وعلى انه من سكان (باب الشيخ) ببغداد فانه لم يكن يعرف ان كان له بباب الشيخ من أقارب وأرحام لا بل انه لم يكن يعرف أي شيء عن هذه المحلة ، وحين ماتت جدته تركت ميراثاً لا بأس به كان يخصه ويخص عماته ، ولأول مرة تألف قدماه السير في طرق هذه المحلة بل لأول مرة يعرف بعض ارحامه الذين لم يعرفهم وفي ضمن أولئك ابنة عمة له عرفته وعرفها من تردده لحسم حسابه من ميراثه ، وقد دعته إلى بيتها ثم

عنيت، به ووجد من زوجها عناية اكثر، فقد كان زوجها كريم النفس طيب الخلق، وقد اوني خيراً كبيراً ، لقد رأيته في السجن غارقاً في بحر من التأملات ومع انه لم تبق من مدة حكمه إلا سنتان أو اكثر قليلاً فقد كان برماً سئماً من الحياة وليس من السجن ، لقد أجاب بناء على طلبي قائلاً .

لقد بددت كلما ملكت من الميراث على امور لم تترك لي غير النـــدم وانتهى بي المطاف إلى ان اعمل دلالاً في بيع الاملاك وايجارها مشتركاً مع السيد (رشيد ابو التمن) بخان البرزنلي الـكبير،وكنت عرفت في ضمن من عرفت من ارحامي ابنة عمة لي ساندتني في استحصال ميراثي كثيراً فصرت اتردد على بيتها بين آونة وأخرى وقد وجدت من زوجها لطفاً وكرماً جعلاني ممتناً له ، وقد عرض علي مساكنته في بيته لا سيما وهو في بحبوحة من هناءة العيش وليس في بيته غير زوجته واطفاله الصغار فآويت اليهم واكرموني كثـيراً ، وقضيت أياماً طويلة متمتعاً بهذا اللطف وقد أنس بي الجميع وأنست بهم ، وكانت ابنة عمتي تشكو من وجع في رجليها يقتضيها السفر في صيف كل سنة إلى الموصل للافادة من مياه (حمام علي) المعدنية ، وفي هذا الصيف سافرت بحسب العادة وتركت زوجها وأحد ابنائها البالغ من العمر تسع سنوات في البيت فـكنا نأوى معاً إلى الدار ظهراً وبعد تناول الغـــداء نقضي قيلولتنا انا والزوج على تختين متقابلين في الصالون اما الولد فـكان ينام في وسط الصالون بين التختين وتحت المروحة السقفية .

وفي هذا اليوم وبعد تناول غداءنا في الصالون أكلنا شيئاً من الرقي وحمل الولد (صينية الرقي) فألقاها في الممر بين غرفة الطعام والباب الخارجي ونمنا .

وفي نحو الساعة الثالثة والنصف استيقظ الصبي وكان ابوه لم يزل نائماً فسألني فيما إذا كنت اسمح له بالذهاب إلى السينما فوافقت وأشرت إلى سترتي المعلقة ليأخذ منها ما يحتاج من النقود ويذهب ، وبعد ما يقارب نصف الساعة استيقظ الرجل

من النوم وسأل عن ابنه فأخبرته بخروجه ، وقد قال انه يريد ان يستحم ويخرج اليوم إلى موعد لا يستطيع التخلي عنه ، وفي تلك الاثناء سمع صوت سيارة لشخص اعتاد ان يمر بأحد البيوت المقابلة لبيتنا وهو بيت (مشبوه) سبق للبعض ان شكوا سكانه إلى الشرطة فطاردتهم الشرطة غير مرة ، وقد اقسم زوج ابنة عمتي هذا بانه إذا شاهد صاحب هذه السيارة مارة من هذا الشارع ليقيم الدنيا ويقعدها على رأسه فهمّ بأن يخرج اليه ولكني عارضت وقلت لن ادعك تخرج

قال — بل سأخرج على رغم انفك .

قلت — ولكنك لن تخرج .

وما يدريني فلعله كان يظن ان لي اتصالاً خاصاً بالبيت المذكور .

فقال — إذا كنت عديم الشرف والغيرة فليس كل الناس على شاكلتك .

ولا احسب ان احداً فى مثل موقفي هذا لا يرد عليه بما يجري على لسانه جزافاً وبدون حساب لذلك سمع مني مايهيجه اكثر ويدفعه الى ان يستل سكيناً فيهجم بها علي فاندفعت إلى الوراء اطلب لى ملاذاً وانا أعزل ، وما زال يلاحقني حتى صار عبوري على (الصينية) التي كانت لاتزال بقية الرقي والسكين فيها فتناولت السكين وقبل ان اتناولها كان قد هوى علي بطعنة قاتلة تلقيتها بذراعى (وهنا كشف الرجل عن ذراعه ليريني أثر الطعنة العميقة فى الذراع) ، ورددت الطعنة عليه بطعنة واحدة مزقت له احشاءه فسقط قتيلاً .

وكلما عملت هو اني سحبته الى المطبخ وتركته هناك وغسلت السكين ، كما غسلت جميع الآثار ، ورحت إلى عيادة الدكتور لتضميد جرحي الذي كان لايزال الدم ينزف منه ، وضمد هنالك الجرح وشد يدي إلى عنق وسألني عن مصدر هذه الاصابة فقلت له انني اصبت فى حادث سيارة .

وعدت فى الغروب الى البيت ، وعاد الصبي من السينما ونام ولم يحس بشيء

عما وقع ، وفي الصباح دفعت له بمبلغ وسمحت له بأن يستأجر دراجة ويلعب فأسرع بالخروج وهو على أشد ما يكون من الفرح .

ورحت افتش عن عمال يحفرون لي فى ارض الدار الحفرة التي أضع فيها الجثة حتى وجدت ، وحفرت حفرة عميقة والقيت فيها الجثة بما فيها الثياب وما يمكن ان يدل على الواقعة ، ثم ساويت الأرض حتى كان كل شيء طبيعياً .

وأول ما عملت هو اني اتصلت بشركاء القتيل فى محل عمله سائلاً عنه ومخبراً اياهم بأن القتيل لم يعد إلى البيت منذ ان خرج منه عصر امس .

ثم اتصلت بجميع مراكز الشرطة اسألهم عما إذا كان لديهم خبر عن غيبة القتيل ؟ وفى اليوم الثاني عدت فسألت مراكز الشرطة مرات أخرى ، ووجدت من شركاء محل القتيل اهتماماً بالغاً بالتحرى ، وقد دعوني إلى مقابلتهم فى محلهم فاعتذرت لأنني خشيت ان يروا ذراعى المشدودة الى صدري فيثير ذلك شكوكهم بي وتتجه التهمة إلي ، ولكن الشركاء طلبوا مني البقاء فى البيت ريثما يجيئون هم ليذاكروني بأمر الفقيد .

ووجدتني أمام الأمر الواقع فرحت اتصنع اللامبالاة وأريهم عدم الاهتمام إلا ما يتعلق بغيبة الفقيد ، ولكن الشك كان قد عمل عمله فما كادوا يخرجون من البيت حتى اتصلوا بالشرطة واخبروها باتجاه اتهامهم نحوي ، وبعد قليل كانت الشرطة قد قبضت علي وبدأت التحقيق وكانت الشرطة قد استفسرت من زوجة القتيل بواسطة البرق والتلفون عن الفقيد فجاء الجواب ينفي وجوده هناك ، وقامت الشرطة كذلك بالحفر فى جميع المظان من البيت وحتى في مكان نفس الحفيرة ولكنها لم تعثر على أثر .

وانكرت واصررت على الانكار ، وهنا بدأت بعض الأفواه تلوك سمعتي وتحاول ان تعزو القتل إلى غير اسبابه الحقيقية فاضطررت الى الاعتراف واعترفت بكل شيء ، ولكني كنت قد اخطأت خطأ فظيعاً بمحاولتي تغطية الجريمة ، فلو

انى ابقيت الجثة على حالها لرأى التحقيق كم كان من الصعب استخلاص السكين من قبضته التي كانت قد شدت عليها كالبنيان حتى لم استطع ان استخرجها من بين تلك الاصابع الضاغطة عليها بقوة عجيبة إلا بشق النفس ، وحتى لو كنت قد ابقيت الحال على هذا المنوال لكان هنالك بعض المجال فى درس طبعة الأصابع وراحة الكف عليها ، بيد انى غسلت حتى هذه السكين بعد انتزاعها من بين قبضته...!

والمهم هو انى اقترفت ذنباً آخر حين لم ادع الشرطة وأقفهم من أول وهلة على القضية دون ان احاول تغطيتها بهذه الصورة من اعداد الحفرة واخفاء معالم الجريمة .

وكان ان صدر الحكم علي بالسجن المؤبد وهو قضاء عشرين سنة ولم يبق منها إلا اليسير لا يعلم قضيتها من حيث تبكيت الضمير وعذاب النفس إلا الله وحده .

حنا صليوه

— ٣ —

شاب وسيم الطلعة رشيق القد يجيد الوصف والتحدث فيحملك على الاصغاء اليه لحسن سبكه للحديث ومعرفته بمكان الوصل والقطع من الكلام يبلغ من العمر ١٣ سنة ، متخرج من مدرسة الموظفين الصحيين ، وهو موصلي ومن اسرة روحانية دينية محافظة ، وهو شقيق القس هرمز ، قس الكلدان الكاثوليك فى (القوش) .

وعلى ان عمره يوم حكم عليه بالسجن المؤبد كان ٢١ سنة فقد زج بسجن الاحداث .

قال قدمت بغداد لأول مرة بعد تخرجى من المدرسة المتوسطة لكي أدخل مدرسة الموظفين الصحيين وكان لابد لي ان اسلك سلوكاً يتناسب وما أنا عليه من ضيق ذات اليد والمبالغ المحدودة ، فكنت موفقاً فى ترتيب حاجاتى وتنظيم اعاشتي

بالقدر المتناسب ، وكنت اسير فى درسي سيراً مرضياً ، واقتضانى هـذا التنظيم والاقتصاد فى المعيشة ان اساكن امرأة تملك بقعة تسميها هي بيتاً ، ولأول مرة التقيت فى هذا البيت بفتاة كانت تدعى (ليلى) ثم عرفت بعـد ذلك ان اسمها الحقيقي كان (كلادس) ولأمر ما انتحلت لنفسها اسم ليلى ، وليلى هذه كفلقة القمر لو أن القمر ينشق ، جميلة اجمل من الزهرة ، رائعة أروع من الخميلة الضاحكة ، انني لا أزال اتخيلها بكل ما فيها من معان ، وكلما فيها من سحر وفتنة .



حنا صليواه

ومع اني شعرت بقيمة هذا الحسن ساعة رأيتها ولكني لم احدث نفسي يوماما بأن اضمها إلي عن طريق الزواج أو غـير طريق الزواج ، لأمور كثيرة أولهـا انى كنت محافظاً ، وطبيعة المحافظين لا تلين بسهولة ولأني ارتبت في سلوكها وشككت في امرها لا لشيء إلا لأن بيتاً كهذا الذى نسميه بالبيت تجوزاً لا يمكن ان يضم فتاة في مثل هذه الروعة والجمال لو لم يكن هنالك شيء ، هذا مضاف إلى انني لم يعجبني من صاحبة البيت سيرتها فقد كانت تبدو لي انها (سمسيرة) اكثرمن انها امرأة ذات عمل تعيش من ايجار بيتها وغيره من الاعمال ، ولكن هذه المرأة شرعت بعد أيام في تعبيد الطريق إلى قلبي لتحبب لي الزواج بالفتـاة وتطريها إلى غاية الاطراء وتزيل الشك من نفسي بسرد قصة مفصلة للفتاة خلاصتها انها تزوجت من مسلم ثم ما لبث ان هجرها ،وطلقها ، والقى بها كما يلقي القروي نواة التمر بعيداً وهي وسط الطريق فلا صديق ، ولا حبيب ، ولا من يحن عليها غير أخ يمر بها هنا ويتعطف عليها ببعض الشيء .

وكثر حديث المرأة معي كلما أبت إلى مسكني ، وأرتني الفتاة من نفسها - وهي مقبلة مدبرة - الشيء الكثير من الغنج والدلال المحبوب غير المتكلف ، ثم ارتني وهي منطلقة معي في الحديث ومعرضة عني ... الكثير من المعاني التي تسحر ، والانسان انسان يا سيدي ، يتغير بتغير الظروف والاحوال والعوامل ، والشخص الذي لا يتغير ، ليس إلا الجماد فقط .

وتغيرت ... وملت اليها ، ثم فتنت بها ، ثم صممت على التزوج منها ، وكان علي ان ان اكتب الى أخي القس واعرض عليه الكيفية ، ولكن أخي القس لم يوافق على ذلك ، وكتب لي ينصحني ويذكرني بما ينبغي ان يذكر به الشبان ، ولكني اصررت ومضيت في اصراري واتفقت مع البنت على ان نجري عقدنا في الكنيسة بدون رضا أهلي ، وكان الخبر قد بلغ اهل الفتاة ففرحوا وعلقوا على ذلك آمالاً جساماً ورجوا لا بنتهم حياة مستقرة بعد ذلك الاضطراب .

وعرفت الكنيسة هويتي فلم توافق على اجراء العقد دون ان تسمع من أخي القس كلمة رضا تطمئن اليها ، وعدت فكتبت الى أخي ... وعاد أخي فكتب لي يطلب مني الاقلاع عن هذا الزواج الذي يوجس منه خيفة لاسباب كثيرة اهمها الشك الذي تسرب الى نفسه بخصوص ماضي البنت والذي من اجله تغير اسمها من (كلاديس) الى (ليلى) .

وعزمنا على السفر الى البصرة موطن ليلاي ومقر اهلها لنعقد زواجنا هناك في كنيسة البصرة ، وهناك وقعنا في نفس المشكلة فقد عرفني القس وأبى ان يعقد لي على الفتاة ، وعاونني على القس نفر من أهل الفتاة ولكن القس بدأ يسوف ويماطل وذهبنا ذات يوم على العادة الى الكنيسة لاستنجاز العقد فاذا بي وجهاً الى وجه امام أخي القس ، وظهر ان قس البصرة كان قد ابرق له بالقضية طالباً حضوره ، وانتحى بي أخي هناك ناحية واخذني من طريق العاطفة

فرضخت ونزلت على رغبته اكراماً له وليس اقتناعاً بما يقول ، واخبرته بأن الفتـاة قد اخذت مني سنداً بمبلغ اربعمائة دينار اذا عدلت عن أمر الزواج بها ولـكن أخي قال انه سيدفع لها الثمن ولو كلفه ذلك بيع نفسه ، وعاد هو الى الموصل آمنا وعدلت انا عن الزواج ، وانذرتني الفتاة بسوء العاقبة اذا ما تخليت عنها ، ولـكيلا تظن بي انت الظنون أؤكد لك انني لم امس الفتاة بسوء ، ولم أخرج على الشرائع السماوية ولا قيد شعرة طوال مدة افتتاني بها .

وأعدت التفكير من جديد ... وآلمني ما سأسببه لأخي من خسارة إذا ما نزلت على رغبته ونفذت له رأيه ، فرجعت مع الفتاة إلى كنيسة البصرة وارغمت القس على قبول العقد مادام الطرفان ـ انا وهي ـ بالغين ، وتم العقد كما أردنا .

وفي مدة قليلة بدأت اعراض الحمل تظهر على زوجتي !! انها اعراض لحمل مرت عليه خمسة شهور واكثر ... وسألتها عن ذلك ؟ فقالت انها حامل من زوجها المسلم الذي طلقها ، واعتذرت بغفلتها عن الواجب الذي يستدعيها ان تخبرني بهذا الحمل منذ ان شعرت به .

ولـكن الطلاق من زوجها المسلم كان قد جرى قبل مدة طويلة وقبل ان تحمل بشهور .. !! وهنا بدأت اخشى ان تـكون هذه الفتاة قد اتخذت من التزوج بي جسراً لتنفيذ مآربها ، فهي قد تـكون ذات صلة بأشخاص ربما استمروا في صلاتهم بها ولو بعد الزواج ،

وكنت قد استأجرت لها بيتاً متواضعاً سكنت معها فيه ، وفي هذه الأثناء تخرجت من المدرسة ، واصبحت موظفاً صحياً لدى وزارة الصحة وتم تعييني في (اربيل) فجئت اعرض عليها السفر معي فامتنعت محتجة ببعض الحجج الواهية ، وحين الححت عليها رجحت لي ان اذهب أنا وحدي إلى اربيل لأقضي فيها زمناً كافياً اطمئن فيه إلى امكان سكنانا هناك ، وكانت قد وضعت بنتاً فأصررت على ان تدفع بها إلى

حماية الأطفال أو تعهد بها إلى الآخرين ، إذ قد تقل علي ان أرى في بيتي من يذكرني بصلة زوجتي غير الشرعية و بثمرة تلك الصلة المخزية، ولكنها بكت ، وتوسلت، وقالت يجب ان تقبلها من أجل المسيح ، وترعاها إكراماً للانسانية ،فرق لأمها قلبي ووافقت على بقائها في حين كنت أزداد شكاً كل يوم بسلوك زوجتي ، فقد كانت تتغيب عن الدار كثيراً ، وكانت في كل مرة تعتذر بعذر كثيراً ما اثبت لها كذبه ، ولقد فاجأتها ذات يوم في البيت ومعها شخص غريب كاد يحملني هناك على التعجيل بارتكاب الجريمة .



كلاديس

وكثرت الأدلة على خيانتها عندي ورجعت بذا كرتي إلى تلك المحاذير التي وضعها أخي أمامي من زواجي بهذه المرأة ، وتذكرت السند الذي اخذته مني وتهديدي به كلما نويت العدول عن التزوج بها ، ثم استعرضت عشرات القضايا الدالة على انها لم تتزوجني إلا لتتستر بي ولتملك حرية أوسع لارتكاب الدنايا، وعرفت بالذات عشيقاً خاصاً لها يشغل اليوم احدى الوظائف المحترمة في الحكومة ، ثم علمت ان البنت التي ولدتها ليلى كانت ابنته ولكن هكذا صار علي أنا ان اتبناها وان انفق عليها .!

ومرت الليالي تلو الليالي وأنا في قلق لا يوصف مما وقعت فيه ، وأنا شاب مولود في العراق ، اسمع كل يوم قصة من هذه القصص التي تشير إلى ارتكاب الجرائم بداعي غسل العار ، واقرأ كل يوم قسماً من تلك القصص في الصحف اليومية ، وكان من حقي ان افكر في غسل العار ثم اصمم على ذلك .

ورجعت من اربيل فألفيتها قد تركت بيتنا ، واستأجرت لها بيتاً رتيباً جميلاً مؤثثاً ، ويبدو لي انها بدأت تستهتر اكثر واكثر بسبب ليني وسلوكي الملائم الهادىء معها ، ولولا الاستهتار وعدم الاهتمام بي لما اقدمت على تأثيث هذا البيت وتنسيقه على هذه الصورة من الأبهة وهي تعلم ان ليس بمقدورها هي ولا بمقدوري أنا ان ننفق مثل هذا الانفاق ، ولكنها كانت قد بلغت مرحلة لم تعد تهتم معها بي لو سألتها عن مصدر هذه النفقات ، وهنا عرفت اني رجل آخر له اسم معين في قواميس الوسطاء والسماسرة فنويت ان اقتل بدون توان وبلا تأن .

وانا وان كنت موظفاً صحياً استعمل السكين والابرة وبعض الآلات الجارحة في معالجة المرضى ، ولكني ما عرفت ولا احسب اني سأعرف ان استعمل الابرة والسكين والآلات الجارحة في غير نطاق العلاج ، لذلك ما فكرت ولا طرأ على بالي حين فكرت بالقتل ان الوث سكين الطبيب الآسية بدم الجريمة ، واجهزت عليها بيدي ورحت اضغط على رقبتها حتى لفظت آخر انفاسها ثم عمدت إلى الطفلة وكان عمرها بضعة شهور حينذاك فخنقتها هي الأخرى ، وسلطت عليهما التيار الكهربائي حتى جفت آخر قطرة من دمائهما ، وحينذاك قطعت الجثتين قطعاً صغيرة تساعد على نقلها حيث اريد ، وبدأت انقل كل قطعة إلى جهة فأخفيها تحت الصخور أو تحت الحيطان القديمة من اسوار البساتين ودور السكك ،

وعثرت الشرطة ذات يوم على بعض تلك القطع التي لم اتقن اخفاءها ودفنها ، ولكنها لم تهتد إلى معرفة القتيل ولا القاتل ، وكان عشيق زوجتي الموظف يعرف من أمري عن طريق عشيقته كل شيء ، أو بعض شيء إذا شئت ... فأوصل الخبر بطريقة خاصة إلى الشرطة وعرفت الشرطة هوية القتيلة ، ثم توصلت إلي ، وكنت استطيع هنالك ان انكر أي شيء من امرها ... لأني لم اترك علامة أو شبه علامة يستطيع المدعي العام الركون اليها لاثبات الجريمة ولكني - ولست أدري - بل لعل للنشأة الدينية

التي حدثتك عنها وللبيئة المحافظة التي نددت فيها كل الشأن في اعترافي بقتلها وتجفيف دمها بالكهرباء وتقطيع جثتها وجثة ابنتها .

ومضى الآن كل شيء ، وليس في نفسي من الماضي غير الندم وغير الأسف على ذلك الشباب الغض ، وتلك الوردة الزاهية الشذية التي هصرتها ، ونثرت أوراقها هباء . ولا أسأل بعد ذلك أكان من حقي وأنا الشاب الاطرش عن كل شيء غير سماع حديث قلبه ، والاعمى عن كل شيء غير رؤية نفسه ، أكان من حقي ان أثور تلك الثورة الحمقاء وارتكب تلك الجناية الفظيعة ؟ فأنا الآن اشدما اكون ألماً ، وأشد ما اكون ندماً، حيث لا ينفع الألم والندم .



لا أعلم بالضبط مدى نجاح العلم والتوجيه فى معـــالجة الفطرة التي تبعث على الاجرام . ولـكني على يقين بأن حسن التوجيه المبني على الأسس العلمية والتجاريب التي اجريت بمقتضى تلك الأسس كانت ذات أثر كبير فى معالجة ما يسمى (الاجرام بالفطرة) ، كما يتضح ذلك من مئات التجارب ، والبحوث التربوية التي تصورها بعض الـكتب النفسية ، والقصص الواقعية ، والحوادث التي تشير اليها بعض الجرائد والمجلات .

ومثل هذه الجرائم المنسوبة للفطرة وإن كانت أقل عدداً من الجرائم الأخرى . ولـكن ذلك لا يعني ان حوادثها قليلة ، وانها غير جديرة بالعناية والمعالجة والاصلاح ، فلقد ظهر ان هذا النوع من الجرائم إذا ما أغفل شأنه عاد على المجتمع بضروب لا تحصى من الوبال والاضرار وفساد الخلق واختلال الامن والنظام .

* * *

ويحوي تأريخ العراق في الفترات التي تفلت منها النظام قصصاً غريبة عن الجرائم بداعي الفطرة ، وبعض تلك الجرائم مما يقزز النفس ذكرها ويقف لهولها شعر السامعين ، ومع ذلك فلم تترك في نفس مرتـكبها أي أثر ولا أي وقع ، ولقد روي عن لص انه رأى طفلاً يبكي نخشى ان يوقظ بكاؤه أمه فتتحسس بوجود اللص فلم

يمهل الطفل اكثر من ثوان حملها فيها من مهده ، ثم دس رأس الطفل في حب المـاء ، وتركه يختنق على هذه الـكيفية حتى تم له انجاز مهمته كأنه لم يأت بشيء منكر ، ولم يرتـكب جرماً ..!!

ولقد روي عن البعض وهو حي يرزق ومن أرباب الوجاهة المعروفين ، لقد روي عنه انه أمر بشد وثاق شخص والقائه في النهر لمجرد الرغبة برؤيته كيف يغرق متلذذاً بهذا المنظر .

وروى لي مأمور السجن عن شخص بحثت عنه أياماً في قلاع السجن فلم اجده وذلك لنسيان مأمور السجن اسمه وهويته ، لقد نقل لي عنه انه حدثه ذات مرة عن تلك الايام التي مرت ولم يكن فيها النظام سائداً ، ولا الحـكم شاملاً ، قال اني خرجت مع صديق لي إلى الصيد ، وقد ظفرت بصيد كثير في ذلك النهار فمـدت مزهواً بقوتي منتشياً بانتصاري مباهياً أمام صديقي بما كان من اصابتي الاهداف حتى كادت تـكون كل رصاصة بظبي من الظباء ، أو طير من الطيور ، وجرى الحديث ونحن عائدان من الصيد فى الطريق عن مدى اصابتى الهدف فقلت لصاحبي وقد مر فارس على مسافة بعيدة منا .

قلت له : اني قادر على ان اطلق الرصاصة من بندقيتي على ذلك الفارس فأرديه قتيلاً على رغم بعده منا .

فضحك صاحبي وهو يعلم اني منجز ما اقول ، وتنـاولت البندقية من وراء كتفي وصوبتها إلى الرجل فأخطأته في الرصاصة الأولى ولـكني أصبته فى الرصاصة الثانية .. ! ومررت عليه وهو يلفظ انفاسه ...!!

وقال لي مأمور السجن ان هذا السجين نفسه قد حدثه فى مقام آخر انه قد اطلق الرصاص على راعي غنم لمحض التفـكه ...!! ورآه بعينه كيف يفحص الأرض برجليه وهو ينازع ..!

ولم تكن هذه الجرائم التي حدث منها بالجرائم التي عوقب عليها هذا المجرم لأنها كانت قد وقعت له في زمن متقدم ، وليس هنالك من مشتك ، ولا مدع خاص أو عام ، وإنما حكم عليه اليوم - كما قال مأمور السجن - لقتل طارىء .

* * *

وعلى اني سأفرد لغرائب الجرائم - وللشذاذ من المجرمين بالفطرة خاصة - كتاباً مستقلاً أرجو ان أخرجه بعد هذا الكتاب مباشرة فاني أرى ان هذا الفصل أهم بكثير من تلك الفصول التي ازمع النية على اخراجها فيما بعد ، والسبب هو ان الشاذ الخارج على القاعدة بعيد على الغالب عن متناول أيدي المصلحين لشذوذه ، ولمصادفة وقوعه ، اما هذا القسم الذي اعرضه عن الاجرام بداعي الفطرة فعلى الرغم من عدم خلوه من الندرة والشذوذ فانه كثير الوقوع نسبياً ، والعلاج في مثل هذه الاحوال معيّن ومضمون .

ومع ذلك فليست معالجة (المجرمين بالفطرة) من الامور الهينة اليسيرة ليستطيع كل أحد ان يتولاها ، أو يضع لها الخطط التي تكفل تذليلها ، وتلطيفها ، أو محوها من جذورها ، لذلك كان على الحكومة ان تبادر قبل هذا اليوم إلى الاستعانة بالخبراء الاجانب لدرس جميع الاحوال ووضع المناهج اللازمة للاصلاح ، والقيام بتطبيقها بحذافيرها ، لكيلا يتسع ميدان البيئة الاجرامية فيتأثر بها الكثير من الذين لم يفهموا الجريمة بعد .

ونسبة الجريمة اليوم في زيادة مطردة ، ولكل ذلك عوامل وعلل ، لايمكن التوصل اليها بدون عدد من الخبراء الاجانب ، ولا يبدأ الاصلاح لكل أمر مالم مايتم الوقوف على علة الفساد ، واننا لنعرض هنا لوناً من الجريمة التي تبعثها الفطرة وقد سجلها اصحابها بمحض اختيارهم كنموذج لما نريد ان نجلب اليه اهتمام المسؤولين .

محمود ابراهيم ابو الدكات

— ١ —

شاب في الخامسة والعشرين من العمر ، مفتوح القلب ، لا يمنعه مانع من ان يبوح بكل شيء يعلق في ذهنه ، ولا يرى في ذلك ضيراً ، اما تسميته (بأبي الدكات) فهو لأن نقط الوشم كثيرة في وجهه وفي يديه ، وقد كانت له صورة طير من الوشم على ذراعه الأيمن ، وصورة تاج على ذراعه الايسر ، فمحاهما (بجوهر الليمون والجويت) كما قال ، ليقضي بذلك على بعض ما يحمل من علامات فارقة .

قلت له — هل من بأس لديك ان تحدثني ببعض ما تذكر من الحوادث ؟

قال — ابداً ... ولكن مثل أي شيء تريد ؟

قلت — اى شيء يخطر على بالك .

قال — لا اذكر في بالي شيئاً معيناً ولكني اقص عليك ما أعرف عن نفسي ، فأنا شاب كثير الاعتداد بنفسي لم اتذكر انني خفت مرة من شيء أو اهتممت بشيء

السجين محمود ابراهم ابو الدكات

ولقد أديت الخدمة العسكرية معفواً من حمل السلاح بالنظر لفقدان احدى عيني

نورها وقد وقع بيني وبين الانضباط والشرطة ، وكثير من الناس الذين يلاحقونني عدد كبير من المصادفات التي جرى فيها اطلاق الرصاص ، أو استعمال السكين وغير ذلك تخلصاً منهم ، وتملصاً من ملاحقتهم اياى ، وان لي من تلك المصادمات علامات فى كل بقعة من جسدى ، منها رصاصتان فى احدى رجلي ، ورصاصة في الرجل الثانية ، واصابات من سكاكين وخناجر في كثير من جهات جسمى !! وقلما تجدنى حين امشي اعزل من السلاح ، فأنا أعتمد المسدس تارة ، والسكين أخرى ، وأحمل (قامة) ـ وهي ضرب من السيوف ـ احياناً و(بوكساً) من البرنز احياناً أخرى ، وقد دفعت بي كل حالة لاستعمال نوع خاص من السلاح ، فكانت لي بتسبب ذلك حوادث كثيرة مما تسمى (بالسوابق) في عرف الناس ، واطلقت لنفسي العنان لتعبث مختارة ، وغير مختـــارة ، اقول غير مختارة لأنني قد اسرف في شرب الخمرة لحد بعيد ، وحينذاك تجدنى افرض ارادتى فرضاً على من تسوقه المصادفة امامي بدون ان اعدل عن تنفيذ رأيي .

ولقـــد صادف لي مرة وانا تحت تأثير السكر ان طلبت من صاحب مقهى (چايخانه) ان يبادر الى اغلاق محله حالاً وبدون توان والا احرقت له محله ، وقد بدا لي انه لم يصدق انني اعني ما أقول ، وان كان يعرفني حق المعرفة ، فأسرعت الى مقـــدار من النفط فسكبته على دكانه واحرقته ، ومن سجن التوقيف كنت اوصل تهديدى الى المشتكي ليسحب شكواه واذا كان لم يعرفني فسيخبره الذين يعرفونني بأنني رجل عند كل قول اذا قلته .

وهنا سألت محموداً : ـ وفي كم حادثة احرقت المحلات ؟!

قال — في حادثتين فقط على ما اذكر ؟

قلت — ثم ماذا ؟

قال — وحين افلس واجدنى بحاجة وقتية ماسة الى النقود كنت اقطع الطريق

ما بين محلة (الجعيفر) والخارج ، فاصرخ في وجه المار واشهر عليه المسدس صائحاً بأن يرمي بما يحمل من النقود فيرمي بها ، وقد اطلب منه ان يتخلى عن البسته اذا وجدتها ذات قيمة .

وفي ليلة من الليالي المظلمة وأنا ملثم لم يبن من وجهي غير عيني ، ومشتمل بعباءتي ، رأيت أبي يسرع في طريقه إلى بيته فعضضت بلشامي لئلا يعرف صوتي ، وصحت به عن بعد بأن يرمي ما يحمل من نقود ، وينزع ثيابه ويبقى (بالفانيلة) والسروال وإلا اطلقت عليه الرصاص ، وكان ابي كثيراً ما قص علينا القصص عن شجاعته ، وفتوته وعدم تهيبه لأحد في أيام شبابه ، فكنت اتهيبه ، واحسب لشجاعته كل حساب ولم اعرف ابي بحقيقته إلا تلك الليلة فقد رمى لي بما كان يحمل من النقود وخلع ثيابه والقى بها حيث طلبت وراح يعدو الى البيت ، ولم يكن بيني وبينه من المسافة إلا مائة متر أو اقل من ذلك .

وحين أريد الخروج من الحانات بعد سكرة كافية وليس معي ما اعطيه ثمناً لما شربت من كؤوس العرق ، وما تناولت من النقل فليس هنالك اسهل عندي من الشغب والعربدة تخلصاً من دفع ثمن (المشروب) ومع ذلك فلا اخرج مكتفياً بالشرب مجاناً وحده بل كثيراً ما عمدت الى اواني النقل فحملتها معي !!

والمضحك في الأمر ان حانة من الحانات قد قدمت لي ذات يوم الباقلاء (وكانت النقل المرغوب فيه للعرق) لقد قدمته فوق قطعة من الورق ولم تقدمه في صحن كما هي العادة !! واعتذرت لعدم وجود صحن او طبق لديها فارغاً ، فضحكت كثيراً وعرفت مغزى تقديمها النقل فوق الورق .

وحين كنت املك النقود الكافية كنت ادفع ثمن العرق بدون حاجة للشغب والعربدة .

وقد تصدر عني امور تسبب حوادث ذات شأن في عالم الجريمة بدون ان يكون لي يد فيها فأنا اذكر قضية ربما سمع بها الجميع في وقتها ، فقد نشرتها الصحف

وتناقلتها الجماعات، وسجنت بسببها سنة وبضعة شهور لأنني سببت موت شخصين واصابة شخص ثالث بكسور ورضوض عانى منها الامرين، وموجز القصة: هي انني كنت اعمل اجيراً عند سائق احدى سيارات (البوكس) التي اعتاد السواق ان يشحنوها شحناً فلا يستثنون اطرافها ولا سطحها ولا اي موضع يمكن ان تثبت فيه قدم واحدة دون ان يشغلوه بالركاب والامتعة .

وكنا قد حملنا احدى الجنائز من (المحمودية) لدفنها في (النجف) وعدنا ببعض المشيعين وبالتابوت بعد دفن الجنازة، ولما لم يكن لي مكان داخل السيارة ولم استطع الوقوف لمدة طويلة على حافة السيارة كما اعتدت ان افعل من قبل رأيت ان اصعد سطح السيارة واتخذ لي مقراً منه هناك .

وهكذا رقيت السطح من خلف السيارة، ولم يكن فوق السطح حينذاك غير التابوت الخشبي الذي عدنا به معنا خالياً، ولم يستقر بي المكان بعد حتى احسست برذاذ المطر ينغص علي راحتي ففتحت التابوت ودخلت فيه ملتمساً النوم .

ومضت ربع ساعة أو اقل وإذا بثلاثة اشخاص من القرويين يستوقفون السيارة ويبدؤون مع السائق بالمساومة لنقلهم فوق ظهر السيارة، ويتم الاتفاق، ويصعد هؤلاء الثلاثة الى سطح السيارة حيث التابوت وأنا المسجى فيه دون ان يعلموا بوجودي في التابوت، وتنطلق السيارة ... وكانوا قد اتخذوا من عباءة احدهم خيمة ضربوها فوق رؤوسهم اتقاء من رذاذ المطر الذي كانت تنث به اجزاء السيارة المكشوفة، ثم اخرجوا من صرة كانت معهم شيئاً من الخبز والتمر والبصل وبدأوا يأكلون .

فكانت فرصة، والفرصة ليس لأني كنت جائعاً وقد حان الوقت الذي أسد فيه غائلة الجوع فحسب، وإنما جاءت الفرصة التي أرضي فيها مزاجي بالضحك على ذقون هؤلاء وتخويفهم، والحق اني كنت اعرف بأني سأجعلهم مجانين أو اشبه ما يكونون بالمجانين إذا ما باغتهم وقمت ببعض الحركة في التابوت، ولكنني لم اكن اعلم باني سأسبب قتل اثنين منهم وأجعل الثالث على شفا جرف من الهاوية، فأنا لم

أرد من ذلك غير اشباع اللذة وان كانت النهاية لم تخل من اللذة على رغم اني لم اقصدها بهذه الصورة .

وهكذا كان : فقد رفعت غطاء التابوت الخشبي قليلاً وبصورة مفاجئة واخرجت يدي مصحوبة بزعقة صائحاً بهم : اذكروا موتاكم بالخير ...ولا تأكلوا الطعـــام وحدكم . . .

ولم ادر كيف تطافر هؤلاء ؟ ثم كيف قذفوا بأنفسهم من فوق سطح السيارة الى الأرض ؟ فقد جرى هذا كله في اقل من بضع ثوان ، وكان ما كان مما قلته لك من قبل .

* * *

واستطرد محمود ابراهيم يقول : واني أملك ما يقرب من مائة مفتاح استعملها لفتح الأبواب ، وكيفية الاستعمال هي ان اعين أولاً الدار التي اعتقد انها تحقق ما انشد من المال ، ثم اجيء بمقدار من الشمع فاضعه على ثقب المفتاح واضغط عليه حتى يتم ضبط القالب تماماً فأحمله الى البيت وابدأ تجربة المفاتيح ، فاذا وجدت المفتاح الذي ينطبق على القالب عينت الوقت المناسب لولوج الدار وحمل ما فيها من أسباب .

واني لاذكر اني راقبت داراً مدة شهور ليتعين الوقت الذي اطمئن فيه من خلوها فلم احصل على نتيجة ... وكنت قد فرغت من أخذ القالب لثقب الباب وتجربة المفتاح ، ولم أزل اروح واغدو حتى جاءت فرصة خروج الناس للاشتراك في مهرجان تتويج صاحب الجلالة لأول يوم من تسلم جلالته سلطته الدستورية ، وفي هذا اليوم فرغت معظم البيوت من سكانها بداعي المساهمة في الاستعراض والمهرجانات ، وكان هذا البيت الذي راقبته منذ شهور من ضمن البيوت التي خرج أهلها الى الخارج ، وقد شاهدت آخر من ترك البيت يخرج منه ويدير المفتاح فيه فيغلقه .

وكنت قد خططت الخطة قبل هذا اليوم فيما إذا اتيحت الفرصة اللازمة بكل مقتضياتها فرحت انفذها بحذافيرها ، وكانت عندي بدلة عسكرية لبستها وقد وضعت النجمة التي تشير الى رتبة ملازم ثان ثم وضعت على عيني نظارة سوداء واسرعت باستيجار سيارة حمل كبيرة وعدد من الحمالين ، وبسرعة البرق الخاطف كنت اقف بالسيارة بالقرب من الدار المذكورة ثم اسير بالحمالين اليها واضع المفتاح فافتحها ثم انقل كلما فيها حتى المكنسة .

وهنا قاطعته سائلاً : ــ وما تعمل بالمكنسة وقد فزت بالحاجات الثمينة ؟

قال — هذا مثل لا احسب انه يفوتك ، فليس معنى ذلك انني حملت المكنسة حقيقة ، بل اني أردت أن اقول لك انني لم ابق ولم اذر على سبيل المبالغة ، وإذا وجدتني أأخذ صحون النقل فأدسها فى عبى فليس معنى ذلك انني أأخذ حتى المكنسة ...

والخلاصة اني ذهبت بالأثاث النفيس والأمتعة وبالمبالغ الكبيرة من النقود والحلي الى مدينة الرمادي ، ومن هناك بدأت اخرج بعض الأثاث فاسافر به الى احدى المدن لبيعه ، فأذا ما بعت شيئاً هنا فلن افعل ذلك مرة أخرى ولن أعود الى المكان الاول .

وتوصل تحقيق الشرطة إلي من دفتر الخدمة العسكرية الذي سقط من جيبي في تلك الدار في اثناء املاء جيوبى بما كنت اعثر عليه في الخزانات ، وشرع التحقيق يجد فى البحث عني فلم يحصل على طائل ، حتى مضى على ذلك نحو من أربعة شهور وقدتمين للشرطة مقري، فأحاطوا بي ، وجرت بيني وبينهم مناوشات لم تلبث ان انتهت بالقبض علي وسوقي الى المحكمة ... ولم يكن هنالك مايثبت وقوع السرقة، أما دفتر الخدمة العسكرية فقد دافعت بانه لا يبعد أن يكون قد سرقه عدو لي وألقاه فى هذا البيت المسروق ليوقع بي !! ولكن المحكمة استندت الي قناعتها

الناشئة من السوابق الكثيرة الماضية فحكمت علي بالسجن ثلاث سنوات قضيت منها أكثر من سنتين .

قلت ـ فاذا انهيت البقية الباقية فماذا أنت فاعل إن شاء الله .

قال وهو يضحك ... لا احسبني استطيع التخلي عما أنا فيه اللهم إلا إذا تسنى لي ان اضرب ضربة واحدة تغنيني غناءً يصرفني عن العودة الى هذه الاعمال .

فسألته ـ هل أنت متزوج ؟

قال ـ لا ... وقد اقترح البعض على أبوي بأن يزوجاني لعل في ذلك بعض الرادع ، أما أنا فلا ادري ما الذي اقوله . ؟

قلت ـ أفيزورك أبواك في السجن ؟

قال ـ انهم يزورونني غباً وقد انقطعوا عن زيارتي أكثر من شهرين مرة ولم يبعثوا بما طلبت من شفرات للحلاقة وبعض الاسباب ، فكتبت لهم بأنني لو كنت ميتاً لحق ان يزور أهلي قبري في كل اسبوع مرة فكيف بي وأنا حي ارزق ، ولكن الله كريم وسأخرج من السجن ، وستتواجه الوجوه إن شاء الله .

قلت ـ وماذا كان جواب أهلك ؟

قال ـ ألك شك في الجواب ؟ لقد جاؤوني ساعة وصول كتابي مستغفرين معتذرين ومعهم كلما طلبت من الحاجات وزيادة . لانهم يعرفونني جداً . انهم يعرفونني منذ الصغر ...

محمد علي العاصي

ـ ٢ ـ

رجل طويل القامة ، أسمر اللون ، خافت الصوت يتكلم بهدوء واتزان وهو مطرق الى الارض وقد كاد يتجاوز الأربعين من العمر ، والأربعين هو الحد الذي يتكامل فيه العقل على رأي الفلاسفة القدماء ولكن التهمة الموجهة الى محمد علي

العاصي بانه رجل بدأ يتقهقر الى الوراء كلما خطا خطوة نحو الامام ، وتقول التهمة ايضاً بأنه رجل غير عابىء بشيء في الحياة فهو يعتبر الدم السائل من نحر الانسان كالماء المنسكب من فوهة الجرة ، وانه لم يعرف طوال عمره شيئاً اسمه الرقة والعطف ، ويزيد الذين يدعون الوقوف على أحواله بانه يأنس بمظاهر القسوة، ويلتذ بالعبث ويعترف هو بكل هذا بل ويفتخر به ، وهو من سكان تكريت عرف الكثير فيه هذه الصفات كما يدعون وفي طليعتهم أهله وذووه ، ولقد ثار ذات يوم كما تقول هذه التهمة او قل لذّ له أن يعمل شيئاً مشهوداً فسل خنجره وهجم به على زوجته واخته وولديه وذبح الجميع من الوريد الى الوريد وخرج الى السوق والدم يقطر من خنجره وهو يهزج على طريقة الهوسة :

« الشر خالي وآنه ابن اخته »

أي انني انا ابن اخت الشر وان الشر خالي إذا شئت ان تعرف من أنا ؟ فقبض عليه وزج في سجن التوقيف ثم ادخل مستشفى دار الشفاء لاجراء الفحوص العقلية بالنظر لما ظهر عليه من عوارض غير طبيعية وقد بقي تحت الفحص أياماً جاء بعدها التقرير الطبي ينفي وجود خلل عصبي كما علمت .

لقد رأيته فى الموقف العام من سجن بغداد ينتظر محاكمته فقال :

يسرني والله ان اعرف جرمي فأنا الآن ومنذ ستة اشهر قيد التوقيف ولو كنت اعلم لنفسي ذنباً لهان الامر ولكني لا اعرف أي شيء يستوجب هذا العذاب ، فلقد وعيت وأنا في المستشفى يتنقل بي الأطباء من مكان الى مكان ويزرقون في وريدي مختلف الابر ، ولا ازال حتى الآن اشعر بالمرض يجثم على صدري وقد كدت اختنق وانفجر لما اعانى من ضيق ، فلا ادري لم لا يتركونني ان اذهب الى أهلي ؟

قلت ـ هل ان اهلك أحياء ؟

قال ـ من دون شك . . انهم هناك فقل لهم ان يطلقونى لأذهب اليهم . .

قلت ـ ولـكن التهمة تقول بانك قتلتهم فهل هذا صحيح ؟

قال ـ انهم يقولون ذلك اما انا فلا ادري شيئاً مما يقولون . لا ادري شيئاً ابداً ... لقد استيقظت فالفيت نفسي في المستشفى ، وبقيت مدة طويلة فى المستشفى تحت المعالجة ، وأنا لا اعرف لماذا جيء بى الى هنا ومن هذا الذي جاء بى ؟؟ انني لا ازال مريضاً وانا محتاج الى المعالجة ، ولا افهم شيئاً مما يقولون لانى لا اذكر شيئاً قبل وجودي في المستشفى .

قلت ـ ولـكن التقرير الطبي يقول بأنك سالم من جميع الاختلاطات ـ كما سمعت ـ فهل هذا صحيح ؟

قال ـ (وهو لم يزل مطرقاً الى الارض وعلى تلك الوتيرة وبتلك النبرة من الصوت الهادىء) قال : اؤكد لك انى لم اعرف ما كان من أمري قبل شعوري بوجودي فى المستشفى ، وأنا اريد الآن منهم ان يتركونى لشأنى لأذهب الى اهلي وأتمتع بزيارتهم . . . . ! !

اما التقرير الطبي فيؤكد سلامته من كل عارض عصبي ويعتبر هذا الحال ضرباً من التخابل والتمارض المفتعل .

جبار غالي

— ٣ —

شاب نحيف ، اسمر اللون ، في الخامسة والعشرين من عمره ، من عشيرة آل شبل التابعة لقضاء (ابى صخير) حكم عليه بالسجن خمس سنوات وأربعة أشهر عن بعض القضايا ولا يزال ينتظر نتيجة محاكمته عن قضايا أخرى ، وقد حاول الهروب من السجن غير مرة ، فقد اختفى مرة فى مشغل نسيج السجن بين الغزول ريثما تتاح له الفرصة في ايجاد الطريق للخروج من السجن ولـكنهم عثروا عليه بعد افتقادهم إياه وقيامهم بتفتيش السجن تفتيشاً دقيقاً .

وعالج مرة حجل الحديد وهو في طريقه من السجن إلى المحكمة لينزعه من رجليه وقد استطاع ان يجعل الدائرة من القيد بشكل بيضوي من ضربة قوية من الآجرحين كان بدائرة الشرطة وهو ينتظر انتهاء استجوابه عن قضية جديدة لاحالته الى المحكمة ، وهنالك سهل اخراج قدمه من الحجل لاستطالة محيط الدائرة وظهورها بالشكل البيضوي ثم فر ، فانطلقت الشرطة في ملاحقته واطلقت عليه الرصاص ، فألقى بنفسه من وراء أحد الجدران ولم يدر ان عدداً من الشرطة كان هنالك يقوم بالتدريب فهبوا في وجهه وقبضوا عليه ، واعيد القيد إلى رجليه واضطرت دائرة السجن إلى وضع ما يسمى (بالخطام) في رجليه وليس فى فمه كما ينبغي ان يكون الخطام ، وذلك انتظاراً لنتيجة القضايا التي لم تزل تنظر فيها المحاكم خشية محاولته الهروب .

ولقد زرته في السجن المنفرد فلم يكن مستعداً للاجابة على اسئلتي ولكنه أفاض بعد اسبوع من ذلك في اجاباته بكل صراحة وبدون تلجلج ، لقد قال :

قال — أنا أعلم ان روحي في راحة يدي ، وان غدي لايكون احسن من أمسي ، وان الخطر كان محدقاً بي من جميع اطرافى منذ ان التفت الى نفسي واحسست بوجودي حتى الآن ، ومع ذلك فلم يحل الخطر يوماً ما بين تحقيق رغبتي واشباع ميولي ، ولم أعرف للآن ما هو معنى الخوف وما هو لونه ؟

فلقد ولدت في القرى التابعة لناحية الفيصلية ، وقمت بعدد من السرقات معتمداً في ذلك على خنجري فوفقت فيها ولكني رأيت من الخطل ان ارضى ببذل نفسي ثمناً لسرقة تافهة ربما لا تتجاوز خروفاً واحداً ، فصممت على مغادرة القرية إلى بغداد .

وفى بغداد كنت اعين الدار التي ارجح السطو عليها ليلاً ، لقد كنت اعينها منذ النهار ، فأمر عليها متأملاً طريق الصعود والتسلق ، وكيفية القيام بتنفيذ الخطة

خطوة خطوة ثم افرض لذلك كل الاحتمالات المثبطة فأتهيأ لها ، فاذا ما جن الليل ألفيتني اقتعد أقرب مقهى للبيت الذي أريد ، وحين يحين نصف الليل اشرع هناك باتخاذ الاهبة متجنباً تلك الفروض والاحتمالات التي تحول بيني وبين تنفيذ الخطة ، فاذا ما صدمتني صدمة في الطريق أو احس بي الحراس فطوردت من مكان إلى مكان فلن يصرفني ذلك عن ان اتناول كلما تصل اليه يدي او ان اعبر الى بيت آخر أو أمر بمحل ثان من نفس الليلة فأحمل ما خف وزنه عملاً بقانون : « وليس على المعرضات الترك » . وان لي من نحافتي وخفة الحركة التي اتصف بها ، ثم ان لي من جرأتي في اقتحام المخاطر ما يشدد عزمي ، ويدفع بي إلى السطو على اعلا البيوت غير هياب ولا وجل . وأذكر انى جلست مرة فى مقهى من مقاهي الأعظمية التي تتصل بالسوق منتظراً ان يحين الوقت المناسب للصعود فوق سطح الدكاكين بواسطة درج كانت هناك ، والاختباء فوق السطح حتى يمضي شطر آخر من الليل يضمن لي تسلق جدار أحد البيوت التي أعينها من طريق سطح الحوانيت وأنا في تمام الاطمئنان .

وعندما اطمأنت نفسي تناولت الدرج صاعداً إلى سطح الدكاكين ، وانتظرت ، ولست أدرى كيف احس بى سكان البيت الذى سقطت عليه كسقوط الندى ، فهبوا من النوم ، واشعلوا الأضواء ، وايقظت الضوضاء البيوت المجاورة فهب سكانها هم الآخرون يبحثون عني في جميع المظان من زوايا الدار وملاجئها .

اما أنا فكنت قد لذت بجنب شجيرة صغيرة من اشجار الحديقة ولكنها كانت في موضع من الحديقة بحيث تبعد كل ظن وشبهة ، وحين آمن سكان تلك البيوت والحراس بهروبي آووا من جديد إلى مضاجعهم وناموا ، ولكن الاضوية من البيت الذى اختفيت فيه لم تنطفىء فاضطررت إلى العبور منه الى الدار الأخرى ، وكانت تغط في نوم عميق مكنني من فتح الخزانة وحمل ما وجدت فيها من النقود ، بمقتضى

قانون : « القسمة والنصيب » ، إذ كنت انوي ان اسرق داراً غير هـذه الدار ولكن الاقدار جعلت قسمتي ونصيبي هنا دون غيره .

* * *

واذكر انى عينت ذات نهار داراً في الكاظمية بالقرب من المستشفى الملكي وخططت لنفسي الخطة التي ينبغي بموجبها الاستفادة من غفلة الحراس لدخول البستان الكبيرة الواقعة بين تلك الدار والنباتات المتصلة بالمستشفى للولوج من هناك إلى الدار المعينة ، ولكني ما كدت اصير في البستان ، حتى احس بي الحارس ولعله رآني فراح يضع اذنه على الحائط ليتسمع صوت انتقال قدمي وحين تأكد من وجودي صفر بضع صفرات متوالية اجتمع على أثرها بعض الحراس ثم جاء بعض أفراد الشرطة فأحاطوا بالبستان من جميع جهاته ثم دخلوه ليفتشوه قطعة قطعة وجانباً جانباً ، وكنت أنا قد تسلقت احدى الاشجار العالية والتصقت بأعلى غصن من غصونها فلم يرني أحد ، وسمعت مفوض الشرطة يكيل للحارس الذي صفر الواناً من الشتائم ويقول له :

« وحين يسطو اللصوص على البيوت حقيقة تسكت صافراتكم وتجمدون فلا حس ولا صوت ، ولكنكم حين ترون كلباً يمر أو قطاً يثب أو ورقة يحركها الهواء اطلقتم الصافرات ورحتم تعرضون نشاطكم واهتمامكم بهذه الصور الفاضحة »

وذهبت الشرطة وانتشر الحراس وفي تلك الأثناء علا صوت المؤذن بحلول الفجر وادركت اني غير قادر على ان انفذ خطتي بخصوص تلك الدار التي عينتها وذلك لأسباب ذات علاقة بالوقت ثم ادركت ان كل شيء (بالقسمة والنصيب) كما قلت تماماً فلأستفد على الأقل من بقية الوقت في سرقة بيت آخر ، وتلفت فوجدت نخلة فارعة طويلة من البستان قد قامت إلى جوار بيت لا يصعب علي تسلقه من طريق

تلك النخلة فبادرت حالا إلى تنفيذ الفكرة ، وتسلقت النخلة ومنها عبرت شرفة البيت ونزلت إلى السطح ، ثم صرت بأسرع ما يكون داخل احدى الغرف اعالج خزانة الثياب تحت ضوء المصباح اليدوي الذي احمله على الدوام .

ولم يكن فى البيت من السكان كما يستبان من المنام فوق سطح الدار غير امرأة وابنها الشاب ، ويبدو ان المرأة قد انتبهت فأيقظت ابنها واخبرته بأن سارقاً في الغرفة يعالج الخزانة ليسرق . فلم انتبه إلا وضوء الغرفة يشتعل ويدخل علي الشاب وبيده المسدس !! ولكن المسدس كان لايزال فيقرابه ، ولم اكن احمل من السلاح في تلك الليلة غير الخنجر ورأيتني مقتولاً إذا لم اعتمد الخفة بأقصى حدودها ، ويظهر ان الذي دار في ذهني في تلك الثواني قد دار فى ذهن الشاب ، وأيقن انه فاشل إذا لم يستمد من الخفة كل مزاياها في الهجوم ، ولكني كنت اسبق منه في شهر خنجري فى وجهه فما كاد يتقهقر قليلاً للوراء اتقاء من الخنجر حتى صرت أنا في عتبة باب الغرفة وكان هنـــاك قد استطاع من سحب مسدسه فرماني بطلقة ليس بينها وبين ان تدخل الجمجمة غير شعر رأسي الذي احترق على أثر مرور الرصاصة فوقه وكنت قد عضضت على ورق النقد الذي استخرجته من الخزانة - ولم يكن غير مبلغ يسير لم يتجاوز بضعة دنانير - بأسناني وتناولت السلم ابغي الخروج من حيث دخلت وعن طريق السطح نفسه ، ولكنني وجدت ام الشاب قدفتحت باعها لتسد مخرج السلم في وجهي ، فهجمت عليها بالخنجر ولكنها تركتني من جهة لتمسك بي من جهة أخرى .

وكانت قوية ، وذات بأس ، فقبضت علي من كتفي ، فرجعت عليها بالخنجر وأنا أريد الاستفادة من هذه الفرصة لأفلت منها قبل صعود ابنها إلي ، وأخيراً القيت بنفسى من جدار السطح إلى الشارع فالتاً من بين يديها اللتين ما كانتا تتركاني بسبب هجومي عليها بالخنجر من جهة إلا لتمسكا بي من جهة اخرى ، وسقطت الى الشارع وقد اصبت بفسخ في رجلي وخدوش وبعض جروح من جراء سقوطي على تلك الشاكلة ولكنني قد نجوت ولذت بالفرار على رغم كل ذلك .

* * *

قلت — هل تستطيع ان تحصر عدد حوادثك الناجحة التي سطوت فيها على البيوت .

قال — لا اظن ان عدد الحوادث ذات الأهمية تقل عن أربعين حادثة سطو !! ولا اعتقد ان عدد المرات التي اخفقت فيها تزيد على اربع أو خمس مرات ومعنى ذلك انني نجحت في ٣٥ — ٣٦ قضية !!

قلت — لقد قلت منذ دقائق انه لم يكن بينك وبين الموت غير جلدة رأسك حين باغتك صاحب الدار برصاصة مسدسه ، فهل من الجدير ان تغامر برأسك وتبيعه ببضعة دنانير ؟.

فأطرق ولم ينبس ببنت شفة ، فرحت اعقب على سؤالي قائلاً :

— وإذا انهيت مدة حكمك وخرجت من السجن فهل أنت عائد إلى ما كنت فيه ؟

فأومأ برأسه علامة الايجاب ! !

فعدت أقول مستوضحاً : — أتعني انك ستظل سارقاً كما كنت قبل دخولك السجن ؟

قال — هذا إذا أردت الحقيقة ، ذلك لأنني لا أطيق غير هذا !! وما حيلتي إذا كنت لا اطيق غير هذا . ثم ما حيلتي إذا كان لا يحلو لي شيء غير ان اكون كما ذكرت ؟

ثامر محسن الجنابي

— ٤ —

ما رأيت وجهاً ، غامضاً ، كالحاً ، غريب الملامح ، كوجه ثامر محسن الجنابي من عشيرة الجنابات ، فالمفروض في الشاب ، وفي الشاب الذي على ابواب الخامسة والعشرين ان يكون في مثل هذه السن مرحاً طلق المحيا تشع عيناه بنور الأمل ، اما ثامر فقد كان أبعد الناس عن الهدوء والاستقرار ، تنطق ملامحه بطائفة من الاسرار والعقد الدفينة وتطغى عليه

موجة الكآبة حين التقيته بسجن الموقف ، وكان متهماً بقضية جديدة ، اما السوابق التي سجن بسببها عدة مرات فيقول ثامر عنها انها قد اصبحت تأريخاً ، وليس من الخير في شيء ان يتحدث الانسان عن التأريخ .

قلت له — أأستطيع ان اسمع مثلاً واحداً من تلك الأمثلة التأريخية التي مرت مع الماضي وصارت تأريخاً ؟

قال — ليس عندي منها شيء ، فأنا الماثل أمامك لست إلا شبحاً من الاشباح ، وحسبك مني هذا النفس الذي لم اعد اقوى على تصعيده وتنزيله .

ثم قال — وانت تريد ان تستفيد مني ، فما فائدتي أنا بالذات منك لو اردت ان احدثك ببعض ما وقع لي ؟

قلت — لا استطيع ان اكذب عليك، وإنما اعدك اني اذا استطعت ان افيدك بعض الفائدة التي لا تخرج عن حدود التزاماتي كمواطن مقيد بواجباته الوطنية والانسانية فلا ابخل عليك بشيء منها :

قال — دعهم يقولون عن سوابقي وعني ما يشاؤون ، فهم يعتقدون اني ذلك الشخص الذي عرفوه قبل سنة ، وقبل سنتين ، وقبل ثلاث سنوات ، إلى ماشاؤا وليس الى ما شاء الله واني لم اتغير، ولن اتغير مهما حدث ومهما وقع ، وأنا اعتقد انهم مخطؤون فقد ولى الماضي وليس عندي من جريمة الفطرة شيء أو بعض شيء ومع ذلك فهم يلاحقونني على أساس الفطرة وعلى اساس السوابق أين اتجهت وأنى كنت ، معتقدين باني لن اصلح لأنني خلقت مجرماً بالفطرة شئت أم أبيت ! ثم أردف قائلا :

وما لنا والفطرة والملاحقة الآن ؟ فأنت تريد مني ان أروي لك مثلاً من الامثلة لما كنت اقوم به من قبل ...

لقد كان ذلك فى أيام الحرب ، وفي أيام الحرب تكثر الفرص كما تتنوع المسارح التي يستطيع كل واحد ان يمثل عليها دوره الذي اعدته له الطبيعة ، وكانت

الجيوش الانكليزية ترابط في كثير من الجهات العراقية ، وكانت مقاطعة (اليوسفية) من قضاء (المحمودية) قد اتخذت مقراً لجانب كبير من القوات العسكرية ومعداتها . وكان العمال يعملون ليل نهار في هذا المقر لبناء الثكنات وحفر الخنادق لاتخاذ خط دفاعي آخر إذا ما كتب لروممل ان يجتاز السويس متجهاً الى آسيا العربية .

وكانت خطتي هي ان اسجل نفسي عاملاً في تلك الثكنات ومن هناك اضع الخطط التي بواسطتها انفذ إلى المعسكر للاستيلاء على ما أريد ، ولم أجد شيئاً من الصعوبة فى انضمامي إلى العمال فقد كانوا يومذاك بأمس الحاجة إلى العملة ولم البث قليلاً حتى صرت رئيساً للعمال ومراقباً عليهم ، وفى مدة وجيزة استطعت ان اعرف كل مخزن من تلك المخازن العسكرية وما تحتوي عليه .

واتسعت دائرة التدبير والتخطيط فاتفقت مع سائق احدى السيارات بأن يمر علي فى الطريق العام النافذ من المحمودية الى الحلة أو كربلا ويقف هناك في ساعة معينة من الليل وعلى الغالب كانت الساعة الثانية بعد نصف الليل ، وهناك يجدني قد اخرجت الذي أريد فنحمله بالسيارة الى مكان ببغداد كنت قد اتفقت مع صاحبه باخفاء المسروقات فيه ثم اخراجها الى المدن للبيع .

ولقد سرقت الشيء الكثير من تلك المخازن دون ان يحس بي أحد فقد كانت السرقة تجري على أصول وقواعد رصينة فمن ذلك انني عينت مرة مخزن مقر العتاد والمسدسات ، وكان المعسكر من هذه الجهة مسيجاً بالأسلاك الشائكة والألغام المتفجرة وقد عولوا عليها اخيراً لكثرة ما وقع من السرقات على هذه الجهة .

ورحت اتخذ لنفسي الاحتياط الكافي فقمت بربط بعض الاسلاك بحبل طويل قبيل منتصف الليل وبعدت عن الاسلاك ماسكاً بطرف الحبل حتى صرت في مأمن من الالغام إذا ما تفجرت ، وهنالك سحبت الحبل بعنف وقوة فاذا

بأصوات الالغام المتفجرة تملأ الاجواء ، وكان طبيعياً ان يخف الحراس من الجيش الى محل الالغام ويقوموا باطلاق الاضوية الجوية ولكنهم لم يروا شيئاً وفسرت تلك الظاهرة بمحاولة كلب أو قط العبور من تحت السياج ، ومن قبل ذلك قد فسر هذا التفسير ، ولم يهتد أحد الى السر ، ذلك لأن السرقة يجب ان تكون منظمة ، وانتشال الحاجات ينبغي ان يكون مرتباً بحيث لا يثير شبهات مأموري المخزن الا بعد أيام .

وحين مر الوقت الكافي مشيت حذراً ، والاصح زحفت وأنا معتمد مسدسي وخنجري ومقصاً خاصاً لقص الاسلاك .

وفى عيني مزية قلما وجدت في عيون الآخرين وهى الرؤية في الظلام بقوة قليلة النظير ، وفي اذني من القابلية ما استطيع ان اسمع بهما النأمة من بعيد .

ودخلت الى مخزن المسدسات !! وحملت عشر مسدسات وخرجت بها ، ثم عدت لأحمل لها العتاد اللازم ذلك لأن عرض المسدس بدون العتاد للبيع لا يأتي الا بنصف قيمته وأقل ذلك .

وكان سائق السيارة ينتظرنى في المكان المامين فحملت اليه ما سرقت جرياً على العادة ، واصبحت فى اليوم التالي اعمل كما اعمل كل يوم فى المعسكر .

فقلت له — وهل كنت تشعر بخوف عندما كنت تقوم بمثل هذه المغامرات .

قال — لقد قلت لك انني كنت اعتمد عيني واذنى ومسدسي وخنجري ، ولا أحسب ان من يحمل كل هذا السلاح يخاف من أحد حتى وان كان ذلك الأحد جيشاً ومن أقوى الجيوش . وان الذي يخاف لا يستطيع ان يقدم على مثل هذه الأمور واذا اقدم فلا يكر ، واذا كر ، فلا يستهتر بلعبه كما حدثتك .

سوء التصرف في معرض الجريمة

ونوع من الجرائم ما كان يكون له أثر ولا بعض أثر لو كان هنالك شيء قليل من حسن التصرف ، فعلى حسن التصرف هذا تتوقف أمور كثيرة تتعلق بجميع مرافق الحياة وليس بالجريمة وحدها وان علاج سوء التصرف أو الجهل لا يتم من غير ثقافة خلقية رفيعة ، وعرض شامل للوقائع والحوادث التي جاءت نتيجة لسوء التصرف ، والعرض هذا يجب ان يجيء في كتب الأطفال ... وقراءات المدارس ... وروايات السينما . . وغير ذلك من الامثال الصارخة بما ينبغي للانسان ان يعمل حين يفاجأ بشيء غير مألوف ، أو اعتداء منتظر أو غير منتظر ، ولقد رأيت في أثناء بحثي في السجن ، وفيما قصه علي المساجين ، عدداً من الوقائع التي كان من السهل التخلص منها لو كان هنالك شيء من حسن التصرف كما ذكرت ، ومن ذلك قضية للسيد محمد علي الجلبي الموظف بمديرية النفوس العامة الذي رأيته في السجن ، فقد حكم عليه بالسجن تسعة شهور لوقوع نزاع جرى بينه وبين اخيه لاقدام هذا الأخ على الزواج من فتاة لم ير السيد محمد علي من مصلحة أخيه الزواج منها ، وكان من أمر هذا الأخ ان خرج من البيت إلى بيت زوجته المقابل لبيت أخيه ، ولربما كان الأمر ينتهي هنا لو كان ثمة شيء من التأني والتبصر ، وكان يكفي ان يبتعد احد الطرفين بروحه وتفكيره فلا يذكر عن أخيه شيئاً أو بعض شيء ، ولكن

ذلك لم يقع وأدى تقارب البيتين إلى شبوب النار من جديد ، ثم الى شكاية هذه الزوجة - التي لم يرض بها السيد محمد علي زوجة لأخيه - من حميها بدعوى اعتدائه عليها بالضرب أو تحريض الآخرين على ضربها ، وغير ذلك من الأمور التي كان يستطيع المرء ان يتفاداها لو أحسن التصرف قليلاً .

* * *

صحنه علي

— ١ —

هي فتاة في السادسة عشرة من العمر ومن سكان بغداد خطبها شخص من ابيها فزوجه بها . تدلك سحنتها على شيء كثير من الوداعة والحياء وتحدثك فتشعر بأنها قريبة من الواقع كثيراً لقد قالت :

— لم اكد اقضي الاسبوع الأول من زواجي حتى شعرت بانني في نهاية الخط من سوء الحظ ، فهذا زوجي رجل شرس شكس لا يستطيع انسان ان يعيش معه فضلاً عن ان يقضي العمر كله إلى جواره ، لذلك كثرت المشاكسات والمعاكسات من أول أسبوع مر من زواجنا ، وأدى الأمر أخيراً إلى ان اخرج منه الى اهلي ، وجاء هو يطلب عودتي اليه متهماً ابي وأخي بالسعي لطلاقي منه وتزويجي بزوج آخر . وطال الجدال وأدى إلى تشابك وضرب ، وشكا زوجي من أخي ، وجاءت الشرطة فأخذت أخي . وفي عرض الطريق والشرطة آخذة بخناق أخي هجم زوجي عليه وهو بين يدي الشرطة وقتله بالسكين !! فحكم عليه باثنتي عشرة سنة . اثنتي عشرة سنة فقط ...

ومرت على هذه الحادثة أيام ، وكنت أعود ذات يوم من السوق فاذا بحمي (اخي زوجي) يلتقيني فيقفني ويسأل وهو مزور عما افعل هنا ؟ ثم يكيل لي

اقذع الشتائم والبذاءآت ويخرج سكيناً ليهجم بها علي ليقتلني ويخف المارة من جميع الجهات الى مكاننا ويهجمون ليحولوا بينه وبين قتلي فلم يزدد إلا تمرداً واندفاعاً وسط ذلك الجمهور الغفير ، ولكن الناس كانوا اقوى منه فلم يزالوا به حتى سقطت السكين من يده ، وهناك انحنيت عليها ورفعتها من الأرض وهويت عليه بطعنة لم تصبه إلا بجرح طفيف وحاولت ان اثني ولكن الذين حالوا بينه وبين الهجوم علي قد حالوا بيني وبين الهجوم عليه ، وبدلا من ان يساق هو الى المحكمة بتهمة محاولته قتلي ساقني التحقيق الى المحكمة بدعوى هجومي عليه فصدر الحكم بسجني ستة اشهر .

* * *

وما كأن هذا الحدث قد وقع وإنما كأن السماء قد تزلزلت فقد بدأنا نتلقى الانذار تلو الانذار من زوجي في السجن بانه ان خرج من السجن فسيلحقني انا ويلحق ابي بأخي الذي راح ضحية باردة من جراء سوء تصرفنا نحن الطرفان . . .

علي حسن

— ٢ —

رأيته فى سجن الاحداث وعمره تسع عشرة سنة فقد حكم عليه بالسجن عشر سنوات وهو لم يتم من عمره السنة السادسة عشرة بعد وبقي فى هذا السجن بين الاحداث كما بقي كثير من امثاله وان تجاوزت أعمارهم سنى الأحداث .

قال اني كنت أقل ادراكاً للأمر ... فلم افهم حلاً لما وقعت فيه غير القتل ، فاقدمت على القتل منجرفاً بالتيارات التي ينجرف بها الشبان معتقداً بأن

الشاب يجب ان يكون شجاعاً وجريئاً وغير هياب للحوادث ، ثم عليه أن يكون (مردانة) ـ أي اهل للشرف ـ ، وآية تلك الشجاعة والجرأة والفتوة هي أن يحمل سلاحاً يرد به العدوان ، ويذود به عن الشرف .



السجين علي حسن

وكنت من أولئك الشبان ،وكان سلاحي خنجراً احمله معي وراء ظهري ، وحين أعود الى البيت اضعه تحت وسادتي استعداداً للطوارىء ، فقد نشأنا ونحن نستمع بأن الشجعان والرجال يحملون سلاحهم فى النهار وراء أظهرهم والى جوانبهم وحين يأوون الى فراشهم يضعون سلاحهم تحت رؤوسهم ، وللان والناس يسيرون على هذه الوتيرة معتمدين أنفسهم أكثر من اعتمادهم القانون والنظام ، لعدم ضمان القانون والنظام أمنهم ، ولتشبع نفوسهم بتلك الفكرة من الغرور الذي اشرت اليه .

واختلف يوماً ابواي ، واشتدالخلاف بينهما ، فخرجت أمي من البيت زعلى الى قريب لنا من الارحام ، وحماية لامي اعلنت أنا الآخر غضبي، وخرجت من بيت أبي احتجاجاً على سلوكه مع امي ، وكان خروجى الى فندق الحمراء بجانب الكرخ من بغداد .

ومرت علي احدى عشرة ليلة وأنا في هذا الفندق قضيت ست ليال وحدي في غرفة من غرفه لقلة نزلائه ، وفي الليلة السابعة نزل معي الغرفة شخص آخر فى

العقد الثالث من العمر ، وكنت ابكر في القيام صباحاً الى عملي ، وقد انام قبل مجيء هذا النزيل ، لذلك لم يجر بيني وبينه شيء من التعارف أو الحديث أو حتى المجاملة المألوفة من السلام إذا ما التقينا مصادفة ، ذلك لانني فضلاً عن عدم تعرفي به فانني كنت صبياً لم اتم بعد السنة الخامسة عشرة إلا منذ عهد قريب ولأن النزيل هذا كان رجلاً كاملاً وفى اكثر من منتصف العقد الثالث كما اشرت .

وفى الليلة الحادية عشرة من نزولي بهذا الفندق او الليلة الخامسة من نزول الرجل ، احسست والساعة تقارب الخامسة صباحاً بان يداً تمتد الى لحافى فتكشفه عني ، وكنت سريع الانتباه ، ففتحت عيني والفيته هو ، وهو يشير إلي بيده ويتكلم بهدوء يقارب الهمس متغزلا بي وداعياً اياي الى امتهان الشرف وسحق (الناموس) ...

وما كان يمكنني ان أعمل هنا غير ان اصيح فى وجهه وانهره واشتمه ، وما كان منه إلا ان تراجع الى الوراء حتى احتواه سريره .

وحدثتني نفسي ان الرجل ربما يعود من جديد ، فلم لا استعد له فى هذه المرة واريه شيئاً من هذه الفتوة والشجاعة والاعتزاز بالشرف وإلا فما معنى حملي الخنجر ووضعه تحت الوسادة ، وهكذا اخرجت الخنجر وسللته من قرابه وانا على تلك الهيئة من امتدادي فوق السرير ، ثم وضعت الخنجر على صدري مستعداً لكل طارىء ومرهفا اذني لكل حركة ، ولم تمض نصف ساعة أو اكثر حتى أحسست بأن الرجل يكشف عني الغطاء ويومىء لي بسبابة اليد اليسرى وقد وضعها على شفتيه بالسكوت بينما راح يلوح لي بسكين بيده اليمنى غير عارف باني احمل خنجراً ، وغير دار بأني متشبع بتلك الأفكار التي توحيها قصص أولاد المحلة ، وتحكيها الحوادث اليومية الوجدانية ، فطفرت وبيدي الخنجر هاجماً عليه فكانت جولة منه وجولة مني ، وكنت اخف يداً واطول باعاً ، فغمدت الخنجر فى أهم مقاتله من جسمه فتنحى عني ثم سقط على الارض ...

وهكذا قتلت الرجل ، ولو كنت فى عقلي الحاضر ، ولو احسنت التصرف لما كلفني الامر اكثر من تلك الصيحة الاولى فى وجهه وايقاظ اصحاب الفندق ورفع الشكوى الى المحكمة ، ولكن سوء التصرف هو الذي أراد أن تحكمني المحكمة بعشر سنوات وان اقضي زهرة عمري من الشباب فى هذا السجن الذي رأيت .

* * *



مرت الاشارة في بعض مواقعها من هذا الكتاب الى ما ينبغى أن تأخذ به المحاكم من دقة ، ودرس ، وحسن استنباط للأمور ، ثم الاحاطة بظروف الجريمة وأحوالها مع مراعاة السرعة فى اصدار الحكم واجتناب تأجيل القضايا يوماً بعد يوم على قدر الامكان والاتساع ، ونشير الآن الى ان كثيراً من القضايا التي تعج بها السجون قد دلت على ان هنالك غير قليل من الأحكام قد صدرت بصورة مرتجلة ... ولم يجر فيها ما ينبغي ان يجري من استنتاج ، واستنباط ، وحسن تصرف من لدن المحاكم ... وإنما تم النظر فيها باستعجال ، وبصورة سطحية وبدون مناقشة اساسية فى صلب الموضوع وجوهر القضية ... فأخذت المحكمة برأى المدعى العام ، او برأى الدفاع بمقتضى ما تراءى امامها دون ان تكلف نفسها الالتفات الى النقاط الجوهرية من القضية المعروضة أمامها ، فلحق العدل من جراء ذلك كثير من الحيف ... وضاعت حقوق ما كانت تضيع لو ان المحكمة أخذت بمبدأ التغلغل فى صلب القضية والاحاطة بها من جميع اطرافها ..

ولرب ظاهرة تافهة كمن وراءها سر رهيب هو كل شيء فى جوهر القضية ، بل هو السدى من نسجها فان خفى هذا السدى وراء اللحمة تغير اصل الموضوع ، وصدر الحكم على خلاف سنن العدل ومبادىء القضاء ، وهذا مثل أورده (روبرت ترايفار) فى مذكراته عما لهذه الظواهر التافهة من اثر فى الحكم ،

وكيف ان التفاتة واحدة إذا جاءت في موقعها تعمل عملها في شق العدل طريقه الى الظهور ، ندرجه هنا - لأحد المترجمين - كدليل لما قلنا ، وكقدوة لما تتطلبه سرعة الخاطر وامعان النظر ، قال تريفار :

« حين عينت نائباً عاماً في مدينة مشيغن كان (كروكر) كبير محامي الجنايات قد تقدم في السن وفقد سمعه ، واعتكف في داره ، وكانت شهرته كمحام قدير ، وخطيب مفوه قد ذاعت في طول البلاد وعرضها ... ولم يعد (كروكر) يظهر في المحاكم إلا في القضايا الاجرامية المعقدة ...

ويوم تسلمت زمام عملي هناك وقف (كروكر) في المحكمة يجلجل بصوته ... ويدافع عن المتهم . . . ولقد كانت هذه الجولة حاسمة ففيها يجب ان اثبت وجودي وقوتي . . . أو تخاذلي . . .

وكانت الدموع سبباً كبيراً في نجاح (كروكر) فقد كان يؤثر على هيئة المحكمة والمحلفين والنظارة بدموعه وصوته فيبكي وهو يعرض حالة المتهم ، ويبكي معه الجماهير ويستدر الرأفة من قلوب المحلفين . . . وكانت القضية اخلاقية تتعلق بمتهم شرير ... فوقف المحامي الكبير ، واستدعى المتهم أمام هيئة المحكمة وسأله :

— هل أنت متزوج ؟

— نعم

— هل زوجتك موجودة هنا ؟

— نعم

— اترغب في ان تشير اليها ؟

— طبعاً . . هناك . . .

— سلها أن تقف

— قفي يا اماندا . . .

ووقفت سيدة محترمة في الثلاثين من عمرها وعلى ساعدها طفل رضيع راح

يصرخ ويبكي وتأوهت السيدات الموجودات فى هيئة المحلفين . . . وتابع المحامي قوله :

— إذن فهذه هي زوجتك ؟

— نعم

— دعها تجلس

— اجلسي يا اماندا

وجلست آماندا في مكانها ... وكانت هذه محاولة للهجوم علي ... انها احدى الطرق التي كان يلجأ اليها المحامي الكبير ... فان انا عارضت استجوابه السخيف عارضني المحلفون ... وان سكت ضرب (كروكر) ضربتـــه ، وعلى كلا الامرين كنت خاسراً ، وحين جاء دوري لاستجواب المتهم لم يعرني المحامي الاصم كبير اهتمامه اذ وضع يده على رأسه في حركة تمثيلية وجلس في مقعده وانظار المحلفين متجهة اليه في تقدير واحترام ...

واستجوبت المتهم فسألته عن جريمته فأنـكر كل شيء ، وأصر على تجاهله وبراءته ، وأحسست بطنين فى اذني يصرخ بي ، ألم تنس شيئاً يا ترايفـــار . . . أشحذ ذهنك فلقد نسيت أمراً مهما . . وسرعان ما تذكرت الطفل الصغير . . على ساعد زوجة المتهم . . هل هو ابنه ؟

ولماذا المحامي الـكبير لم يستدر رأفة المحلفين في هذا الموضوع ؟

ونظرت الى المحامي وكان يحمل في يده منديلا حريرياً ، وحسب عادته لم يعرني انتباهه فتـكلمت في صوت خفيض متعمداً لـكيلا يسمعني وسألت المتهم :

— هذا الطفل الذي تحمله زوجتك ... هل هو ابنك ؟

ونظر المتهم الى المحامي الذي كان منهمكاً في ابتلاع قرص الدواء .. واجاب :

— لا ..

قلت — هل هو ربيب تبنيته ؟

قال — لا ..

قلت — هل هو صبي أم بنت ؟

قال — لا أعلم

قلت — هل هو قريب لزوجتك ؟

قال — لست أدري ...

قلت — هل انجبتما ـ انت وزوجتك ـ أولاداً ؟

قال — لا ...

قلت — هل تعمل زوجتك ؟

قال — نعم ...

قلت — وتعيل نفسها ؟

قال — نعم ...

قلت — وهل تسكنان معاً ؟

قال — كلا اننا منفصلان منذ خمس سنوات ..

قلت — ولماذا كان هذا الولد هنا ؟

قال — لقد طلب محامي من زوجتي ان تحضر الطفل الي المحكمة ... واتفقنا معاً . أما أنا فلا احادثها ولا اعلم سبباً لاحضار الطفل ..

إذن فان هذه التمثيلية كانت احدى خدع المحامي الكبير ... ياللداهية ..!

ونظرت الى المحلفين فوجدتهم يحدقون إلى بعضهم في دهشة ...

وطلب القاضي من النيابة العامة ان تبدي وجهة نظرها ، فوقفت القى مطالعتي بصوت عال ، وتنبه المحامي الكبير إلي وأصاخ بسمعه ، فتعمدت ان لا اذكر شيئاً عن الزوجة والطفل . . . وبعد مراجعة الوقائع وسردها جلست . .

ونهض المحامي الكبير ، وبانحناءة كبيرة للقاضي قال :

أتسمح المحكمة بالاستماع إلى وجهة نظر الدفاع ..؟

واختال أمام المحلفين فى خطوات تمثيلية رائعة والقى دفاعــه بصوت خطابي عظيم ذكر كل شيء إلا حوادث القضية ، والقى مقطوعات شعرية من شكسبير ، واستشهد بأقوال كبار الأدباء ، وذكر جدران السجون الباردة ، والقضبان الحديدية ، والليالي المظلمة الطويلة التي ستقضيها زوجة المتهم وحيدة بانتظار عودة الغائب السجين . . .

وحركت هذه الكلمات قلوب النظارة وانطلقت العبرات من عيون بعضهم والشهقات من صدور الآخرين ... واحسست بغصة في حلقي .

انه السحر يطلقه المحامي الكبير ... ومرّر منديله حول عينيه يلتقط دموعه ، وارتجف صوته ، واستبدت به نبرات باكية مؤثرة وهو يقول :

— ومن سيعتني بهذه الزوجة وطفلهــا الرضيع ؟.. وصرخ الرضيع ... واستبدت البلبلة بالقاعة ... وجلجل صوت المحامي يقول :

أنا لا اعتقد ان بين المحلفين رجلا أو إمرأة مات ضميره ، وتقلصت الرأفة من قلبه يمنع الحنان الأبوى عن هذا الطفل البرىء ؟

سيداتي ، وسادتي اشكركم . . وليبارككم الله ..

وجلس المحامي الكبير ، وخبأ المحلفون والنظارة ابتساماتهم في مناديلهم واكمامهم ، وكانت هذه القضية آخر قضية ترافع فيها المحامي الكبير بعد ان انكشفت خطط دفاعه . .

* * *

وكما يحول التسرع ، والارتجال والاكتفاء بالنظرات السطحية من القضايا ، دون نزول العقاب بمستحقيه من المجرمين ، فيطلق الكثير بسبب ذلك من مرتكبي اشنع الجرائم من السجون ومتمتعين بكامل حريتهم ، فان هذا الارتجال ،

وهذه السطحية ، في محاكمة الماثلين أمام المحكمة كثيراً ما تجعل السجن يحتوي طائفة كبيرة من الابرياء ، أو انه كثيراً ما ضاعفت العقاب ، وشددت المؤاخذة لجريمة لم تكن تعد جريمة بالمعنى الصحيح لو ان بعض المحاكم قد اخذت بمبدأ التروي ، والتدقيق ، وبعد النظر . .

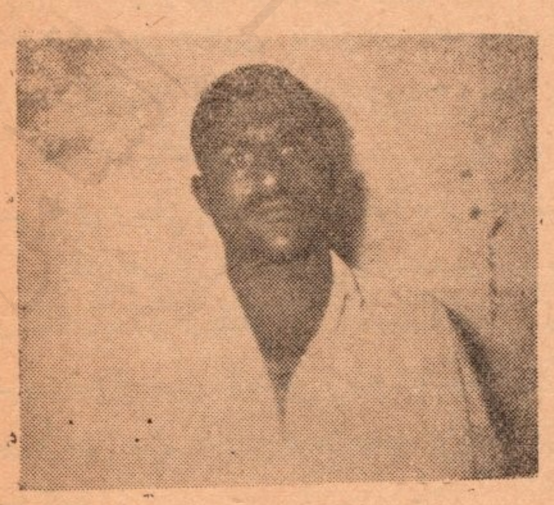
ولقد اتيح لي ان استجوب بعض هؤلاء المساجين ، فأسجل مجمل حوادثهم هنا بدون أية زيادة ونقصان كشاهد على الحكم المرتجل الذي كثيراً ما تصدره بعض المحاكم قبل التفكير في أمر المجرم ، وفيما إذا كان مريضاً ، أم صحيحاً ، وهادىء الاعصاب ، ام متوتراً ؟ وعما إذا كان الجو الذي بعث على الجريمة جواً اعتيادياً طبيعياً ام غير ذلك ؟

* * *

المحكوم فاضل معش

— ١ —

ورأيت هذا المسجون لأول مرة وهو أمام مأمور سجن بغداد يرد على شكوى وجهت اليه ، فاستلفت شذوذه نظري على رغم اني لم اكلمه بعد ولم تجر بيني وبينه مناقشة ما . . وتابعته ثم وقفت اسأله



السجين فاضل معش

— ما اسمك ؟

قال ــ اسمي فاضل محمد معش ... (ثم تلكأ وقال) : لا بل ان اسمي فاضل معش محمد ؟

قلت — وعمرك ؟

قال — عمري ٣٥ سنة . .

ثم استدرك وقال بل اظنه ٢٥ سنة . . . ثم اطرق وقال بل هو . . اما ٢٥ سنة واما ٣٥ سنة .

قلت — وبكم حكم عليك ؟

قال — حكم علي بسنة واحدة ...

قلت — وكم قضيت منها ؟

قال — الله العالم ، من الجائز ان تكون ثمانية اشهر ومن الجائز ان تكون سبعة أو ستة اشهر . .

قلت — وما هو الجرم الذي ارتكبته حتى نلت بسببه هذا العقاب ...؟

قال — لقد كنت جندياً ، ولقد جيء بي إلى (الزعيم) لينظر في أمري . . بشأن شكوى من الشكاوى.. فقال لي ان ثيابك وسخة وغير نظيفة ، فقلت له انها مثل ثيابك وأنا اغسلها كل يوم بالصابون ، فصاح بي قائلاً ومع ذلك فأنت جريء ؟

قلت — انها لحجج منك وعداوة ...!! وإلا فأنا اغسل ثيابي دائماً بالصابون ، فصرخ في وجهي وقال خذوه وألقوا به ارضاً واضربوه .

والحق يجب ان يقال — انني لم استطع ان اصبر هنا ... وقلت في نفسي يجب ان اتغدى به قبل ان يتعشى بي ... فهجمت عليه ... وضربته بقبضة يدي اربع ضربات قبل ان يحول الجند بيني وبينه . . . ولكنهم انتقموا مني فضربوني ضرباً مبرحاً حتى سال الدم من جميع اعضاي وكدت اموت . . ثم حكم علي بالسجن سنة كاملة ! !

قلت — وماذا كنت تعمل قبل ان تلتحق بخدمة العلم ؟

قال — ليس عندي عمل .

قلت — وماذا أنت تعمل اليوم فى السجن ؟

قال — كذلك ليس عندي عمل . . .

قلت — هل يضيرك في السجن ضائر ؟

قال — ان بعض المساجين مجانين . . . والحياة بين المجانين مريكة ومرّة !!

قلت — هل تشكو مرضاً أو علة ؟

قال — لا . . ولكن حين احس بوجع في بطني أنام عليها . . . ثم انهض . . وغالباً يكون الوجع قد زال ، أما إذا كان الوجع لم يزل فانهم يبعثونني إلى الطبيب ولكني كثيراً ما أشفى فأرمي بالدواء بعيداً قبل ان اتناوله ...

قلت له — لقدرأيتك أمام مأمورالسجن قبل حين فهل كنت شاكياً أم مشكواً منه ؟ فضحك فاضل هنا وقال :

— انه سجين مثلي ... وهو مسكين . . وقد شكاني عند مأمور السجن وأنا احبه ، فأمرنا مأمور السجن بأن يقبّل بعضنا بعضاً تقبيلة الرضا فقبلت أنا رأسه ، اما هو فقد كان خبيثاً . . .

وعاد هنا الى ضحكته — ثم أردف قائلاً : اما هو فقد وضع كفه على رأسي وقبلها ولم يقبل رأسي ...

قلت — وأخيراً ؟

قال — لقدصحت به أنا ... وطلبت منه ان يقبل رأسي كما قبلت أنا رأسه .. ثم نهره المأمور وما زال به حتى قبل رأسي . . .

قلت — ولو لم يقبل رأسك ... ؟

قال — بل يقبل . . . لا بد ان يقبل وإلا ...؟

قلت — وإلا . . ماذا ؟

فانفرجت شفتاه عن ابتسامة وهم ليخفيها بالعض على شفتيه قبل ان تتحول الى ضحكة عريضة ... وادركت ما يعانى من مضض هذا التجالد ، فقلت له :

— لك ملء الحرية ان تضحك إذا كنت تحب ان تضحك .

وما كدت اتم الجملة حتى انفجر ضاحكاً وكان بالقرب مني (سعود الباوي) وهو الذي كان قد شكا (فاضل معش) إلى مأمور السجن ، وكان قد امتنع ان يقبل رأسه ، فسألني سعود :

— وأنا الآخر هل يجب علي ان اضحك ؟

فقلت مازحاً :

— ولم لا ..؟ انك يجب ان تضحك بمجرد ان يطلب منك ان تضحك .

قال — أمهلني حتى ابلع ريقي . . .

قلت — لك ما تشاء واكثر ...

وبلع سعود ريقه ثم انطلق يضحك في وجه غريمه ويرسلها قهقهات قسرية لم تصدر إلا عن الحلقوم مكبرة مضخمة ، ثم قال :

— ايكفي هذا ؟

قلت — يكفي وزيادة ...

قال — وهل يجوز لي ان اذهب ؟

قلت — لم لا ؟ انه يجوز واكثر ...

اما فاضل معش فقال :

— وأنا الآخر قد اكتفيت من الضحك على صاحبي .. فهل يجوز لي ان اذهب .

قلت — يجوز لك ذلك . . ولكن اين تحب ان تذهب ؟

قال — مع الذاهبين ... الى المكتبة ... أو الى العمل ..

قلت — أأنت تقرأ ؟

قال — لا ... ولكني اتفرج على الصور حين يسمح لي مأمور المكتبة بأن اتفرج . . .

* * *

وسمعت من المساجين انهم طالما اتخذوا من هذا السجين موضوع تفكهة فآلموه بالضرب بحجة المزاح ، وكثيراً ما أدى مزاحهم هذا الى اقلاق راحة المساجين الآخرين ، وهو الآخر كثيراً ما تحرش بمن هو دونه فكراً ، وبنية ، فأدى ذلك إلى ضروب من المشاكل التي يحدثها ما يعاني امثاله من امراض نفسية وعصبية .

وسألت عنه فقيل ان دائرة السجن قد احست بمرضه فبعثت به الى دار الشفاء ولكن دار الشفاء ما لبثت ان اعادته ثم كتبت دائرة السجن مرة أخرى طالبة من دار الشفاء معالجته فضاقت دار الشفاء به ذرعاً واعيد الى السجن ثالثة !

ترى كيف سيق هذا المسكين الى خدمة العلم بدون انتباه ؟ وكيف حوكم وحكم عليه بالسجن سنة دون ان يولوا اهتمامهم بدرس حالته ؟ وكيف اعادته دار الشفاء إلى السجن وعلى أي أساس ؟ ان كل هذا يحتاج إلى تحقيق واهتمام ، ذلك لأن اهمال امثال هؤلاء لا يلحق بالسجين وحده الضرر وإنما يكون الضرر شاملاً عاماً لا يخفى على أحد مداه . .

* * *

سعود جواد الباري

— ٢ —

وسعود جواد الباوي من سكنة (ابو صيدة) التابعة للمقدادية من لواء ديالى .. شاب وديع ساكن ، كان يلعب باحدى البنادق فانطلقت منها رصاصة اصابت

أحد الفلاحين فقتلته ، وثبت من استنطاق القتيل قبل موته ، ومن شهود القضية ان الأمر كان صورة من صور القضاء والقدر ، وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات قضى منها نصف المدة ودفع ابوه جواد الباوي دية القتيل وهي مائة دينار ...؟



سعود جواد الباوي

جلست أنا وإياه من بعد تلك الضحكات القسرية الجبرية بعد أيام نتحدث . . فسألته فيما إذا كان يعرف القراءة والكتابة فقال :

ـ انني خريج ثانوية بعقوبة

ـ قلت بارك الله فيك . . فهل حزت على شهادة الامتحان العام للدراسة الثانوية ...؟

قال ـ خرجت من المدرسة قبل ان انهي الدراسة الثانوية .

قلت ـ اذن فأنت قد انهيت الدراسة المتوسطة وحدها ؟

قال ـ ولم اتم دراسة الصف الثالث بعد ..؟!

قلت ـ كيف تقضي حياتك بين المساجين ؟

قال ـ اننا بشر كلنا اخوة فليس من مائز بين احدنا والآخر .

قلت ـ وهل يؤذيك احد من المساجين ؟

قال ـ أبداً ... اننا عباد الله يؤتي الله الملك من يشاء ... وان ابي لموسر ثري لا يقل دخله السنوي عن خمسة آلاف دينار ، وقد توفيت أمي وليس في البيت غير زوجة أبي .

قلت ـ لا ... فما هذا الذي أردت ولربما التبس عليك الأمر انني أريد ان افهم هل يمازحك احد من المساجين ...؟

قال ـ من دون شك ، ان المزاح محبوب ، والدنيا بدون مزاح ليست دنيا ، ولكن البعض قد يتجاوز حده فيضرب ... وقد يحمل الآخرين على اكتافه ويدور بهم هنا وهناك ويقفز بهم بمحض الطاعة ... أو رغماً على انفه كما ضحكت انا على غير اختيار مني .

قلت ـ وما دعواك مع السجين الذي شكوته قبل أيام ؟

قال ـ لقد حبذ لي احد المساجين ان انتقل من مكاني إلى جواره ، وقد أعطى السجين الثالث مائة فلس لكي يعتدي علي ... وجاء السجين فقال لي : لماذا أنت هنا ؟ وكان هذا كل شيء في القضية ... !! ولم تبدر مني والله العالم أية بادرة ، فلا أنا الذي اقترحت الانتقال ولا أنا المعتدي ... !!

قلت ـ اشكرك ـ وهممت بأن اخطو فاستوقفني وقال :

ـ لقد سألتني كلما أردت ان تسأل فهل تسمح لي بأن اسألك كلما أريد ان اسأل ؟

قلت ـ تفضل ...

قال ـ واني وان كنت اعرف غرضك كاملا ... واعرف الاسباب التي تفرض عليك ان تلقي هذه الاسئلة على المساجين .. ولكني احب ان تقول لي بنفسك من انت ؟ وما هي مهمتك ؟ ولماذا تلقي هذه الاسئلة على المساجين ؟ وهل بوسعك ان تساعدهم ؟ وإذا كان ذلك فاعلم انني مظلوم .

* * *

وسألت عنه المساجين فلم يبق من لم يؤيد انه رجل غير طبيعي منذ دخل السجن . وكلما اعرف هو انه ليس من شروط المعتوه ، والمخبول ، والمجنون ، ان يمزق ثيابه

ليفهم الناس انه مريض يستوجب المعالجة ، وليس من شروطه ان يكون شريراً معتدياً ليعلم انه يشكو أزمات عصبية ٠٠٠ ويكفي من المريض أو غير الهادي، عصبياً ان يختلف في حياته عن حياة امثاله اختلافاً يجعلك ويجعل غيرك ان يتحسس بهذا الاختلاف ذي الطابع المعين المعلوم ، وللمريض كما يعرف الجميع حساب معين ، وحكم معين كذلك ٠

وقد علمت قبل ان تنتهي جولتي في سجن بغداد ان ادارة السجن قد عادت فطلبت من دار الشفاء قبول بعض هؤلاء في مؤسساتها ، ولكن دار الشفاء قد اعادتهم إلى السجن مرة أخرى ٠

ولعل عذر دار الشفاء في رفض الطلب هو انها تخاف على نزلاء دارها المجانين والمعتوهين من انصاف المجانين وانصاف المعتوهين ، ولعل من حقها ان تتذرع بمثل هذا الاعتذار ، ولكن دار السجن نفسها احق برفضها قبول هؤلاء خوفاً على نزلائها العقلاء ، أوخوفاً من ان يزيد وجود هؤلاء من مشاكل السجن فيتعذر تطبيق النظام بالسهولة المطلوبة ،

اما الذي لا يقبل منه العذر في مثل هذه الأمور فهم الذين يصدرون الاحكام على هؤلاء بصورة مرتجلة ، وقبل ان يتم استنتاج ما هو عليه هؤلاء من شذوذ كلي أو جزئي لكي يتعين مصيرهم يتم صدور الحكم عليهم عاجلاً ٠

١ – عزاوي عبدالحسين
٢ – كاظم حنتوش ...
٣ – شرهان مطر ...

— ٣ —

وهناك نوع آخر من الاحكام تفرضها المحاكم العرفية بمقتضى ظروف معينة ٠٠ تحتم عليها ان تشدد احكامها مراعاة لتلك الظروف ٠٠٠ ونشدانا للمصلحة ، وقد تجيء

تلك الاحكام متفقة كل الاتفاق مع الوضع والقانون ٠٠٠ وملائمه كل الملائمة للظروف والاحوال ٠٠٠ وقد لاتجيء متفقة ولا ملاءمة وفى كلتا الحالتين يجب اعادة النظر في مثل هذه الاحكام العرفية عند زوال الأسباب وتغير الظروف ٠٠٠ وليس من شك عندي لو عهد باعادة النظر في مثل هذه الأمور إلى هيئة من الحكام لما اختلفوا في طلب اصدار العفور لعدد غير قليل ممن حكمت عليهم المجالس العرفية بأحكام اقتضاها الوقت والظرف ... واني مورد هنا مثلاً لثلاثة انفار من الشرطة . . حكم عليهم المجلس العرفى بالسجن المؤبد . وقد قضوا من مدة الحكم ما يقارب السبع من السنين ...!!

عزاوي عبدالحسين

— ١ —

قال عزاوي — انا قروي ومن مدينة الخالص ... بعيد عن التصنع والمداهنة قريب من الطبيعة .. لذلك استميحك العفو إذا رأيتني مرسلاً نفسي على سجيتها .!

لقد اوشكت الآن ان اتم الخامسة والخمسين من عمري ، وانني لفخور إذ اقول لك بأني خدمت مسلك الشرطة عشرين سنة بالضبط كان القسم الكبير منها حافلاً بالفخر بالنسبة لشرطي لا يبخل بدمه في سبيل اداء الواجب . . فقداشتركت فى سنة ١٩٣٥ بمعارك (العارضيات) في الديوانية ، وان لي عدداً غير قليل ممن شهد بلائي فى هذه المعركة ... ثم اشتركت فى معارك البرزانيين من سنة ١٩٤٤-١٩٤٧ ، وتعرضت للخطر غير مرة ، وحين قامت الحرب الفلسطينية كنت ضمن قطعات الشرطة المشتركة فى هذه الحرب في الوقت الذي كان الكثير من المواطنين ينامون رغداً ...!

وهنا اضاف زميله كاظم حنتوش الواقف الى جنبه لقداضاف الى قول صاحبه قائلاً :

— ولا تنس انني أنا الآخر قضيت زهرة شبابي في خدمة الشرطة ... فان عمري الآن هو ٣٥ سنة ولقد قضيت منها ١٤ سنة كاملة وأنا أغامر بروحي، فاشتركت في جميع الحوادث والمواقع التي اشار اليها عزاوي عبدالحسين .. وابليت في تلك الحوادث بلاء حسناً ... وقد كنت (عريفاً) مرموقاً كما كان صاحبي نائب عريف معروف .. ولم يقل عنا (شرهان مطر) - وهو الشرطي الثالث - اخلاصاً في الخدمة في تلك المواقع الخطرة ، وقد كان لي أنا بالذات في موقعة (سوق الشيوخ) خدمة وجرأة ما حسبت ان احداً ينساها لسبب بسيط ولحادث ملفق وهو اختلاف وقع بيننا نحن الشرطة وبين معاون الشرطة الذي اتهمناه بقبض حصتنا من اعاشتنا ، وتصرفه بها ، فيحكم علي بالسجن المؤبد ، وتعجز زوجتي من ادارة نفسها ، وإدارة اطفالها لخلو ذات يدها ... فأضطر الى طلاق زوجتي من السجن ، وتضطر أمي العجوز الهرمة الى ان تضم اطفالي الأربعه اليها ، وأنا لا أدري من أين تأتي هذه العجوز اليوم بالخبز لتغذي به هؤلاء

من كان يتصور ان مسألة شخصية تتحول الى مثل هـــذه الكارثة فينسى الجميع اننا كنا نحمل رؤوسنا وسط راحاتنا فلم ندر متى نطوح بها في سبيل الأمن ، وفي أي مكان سيكون هذا ؟ من أجل تلك القضية التافهة ...

وهنا قاطع (عزاوي) كلام زميله (كاظم حنتوش) وعاد ليتم ما بدأه من الكلام أولاً وقال :

وحين رجعنا من الحرب الفلسطينية ، الحقت بشرطة (ك ٣) بعيداً عن اهلي ..



السجين شرهان مطر

ولكنه الواجب .. وفي اداء الواجب لذة كبيرة يشعر بها من يفهم معنى الخدمة ... والى هذه اللذة يعود افناء شبابي في خدمة الشرطة بدون ان ينغص حياتي فيها شيء

وكان في مقرنا هذا مأمور مركز ، ومعاون شرطة ، لم ننسجم معهما منذ أول يوم ، لأمور كثيرة يتعلق بعضها بالاعاشة ، والبعض الآخر بأشياء أخرى ... فشكوناهما إلى مديرية شرطة الرمادي ولكن مديرية الشرطة التزمت جانبهما واعتبرتنا مشاغبين ، فذهبت شكوانا سدى ... ورفعنا شكوانا الى مديرية الشرطة العامة ولكن بلا جدوى ، فتأزم وضع الشرطة مما جرى بيننا وبين مأمور المركز والمعاون ، واعتبرونا متمردين وساقونا إلى المحكمة العرفية كعصاة ، وكان عددنا ثمانية عشر شرطياً ، ولما كن احسن التكلم ... ولم يكن هناك من ينبه اعضاء المحكمة إلى انني افنيت



السجين عزاوي عبد الحسين

زهرة عمري في خدمة الشرطة خائضاً أهم معاركها التي لم اسلم في كثير منها إلا بأعجوبة ، ولم يوجد من يلفت انظار الحكام إلى انى قضيت عشرين سنة في خدمة الشرطة دون ان يكون لي في سجل هذه الخدمة ما يخدش السمعة أو يشين الكرامة ، أو ما يؤيد اتهامي بالتمرد ، أو المخالفة لأوامر الرؤساء أو الخروج على الانظمة والواجبات فكيف يمكن ان ينسب هذا الاتهام بالتمرد إلى شيخ مثلي وأنا لم اتمرد في أيام شبابي ، ولكن هكذا صدر الحكم على خمسة عشر شرطياً منا بالحبس ثلاثة اشهر... وعلينا نحن الثلاثة ، ـ أنا ـ عزاوي عبد الحسين ، وكاظم حنتوش ، وشرهان مطر ، باعتبارنا رأس حركة التمرد ... بالسجن المؤبد ... كل ذلك لأننا كنا قد اتهمنا

معاون الشرطة ومأمور المركز بتسلم مخصصاتنا من قبل شركة النفط وعدم تسليمها الينا ...

ولقد قيل لنا ان العضو المدني في المحكمة العسكرية قد اختلف مع الحكام العسكريين فلم يؤيد هذا الحكم ، وسواء صح ماقيل أم لم يصح ... فقد نفذ الحكم بنا وهؤلاء نحن نقضي اليوم من هذا الحكم سبع سنوات بكاملها ونحن لم نقتل أحداً ... ولم نسرق احداً ... ولم نجن على أحد ... وفي أثناء هذه السنوات السبع ... لم يمر بنا أحد ليسأل: هل نحن أموات أم احياء .. ؟ أو حين يمر ذكر المبلين في المعارك بايمان واخلاص في سبيل الأمن ... لا يذكر احد ان هناك في السجن سجيناً خاطر في سبيل اداء الواجب عشرات المرات بنفسه حين كان يؤمر بأن يلقي بنفسه في النار ...؟



السجين كاظم حنتوش

وهنا بكى عزاوي ، وقد تساقطت الدموع على لحيته وقال :

لقد « تساوت الگرعة وأم الشعر »

ورأيت بعيني هاتين ، تلك الدموع تسيل على شيبته منبعثة من عينين قد اماتت الأيام حيويتها ، وسلبتها ذلك اللمعان والبريق الدال على الحياة ، والنشاط والعزم ، ذلك لأن سبع سنوات من السجن تكفي لأن تمحو كل الآثار فكم بالأحرى سنوات ان تذهب برونق العيون حين تحيلها الى دموع سائلة ...

بعض المساجين الذين استعنا باعترافاتهم في تصنيف الجريمة

هنالك عدد غير قليل من القراء والباحثين يؤمنون بالفراسة كعلم له قواعده ، واصوله التي يستطاع بها استكناه حقيقة الشخص من صورته ، وملامحه ، وما يبدو عليه من انفعالات عند الضحك ، والبكاء ، والشدة ، والارتخاء ، والرضا ، والغضب وغير ذلك ، ولقد ألفت في علم الفراسة تآليف كثيرة تناولت كل اجزاء الجسم من الاناف والعيون ، والجباه ، والثغور بالتصنيف ، وتحدثت عن كل صنف حتى ألوان البشرة ، حديث المتثبت الواثق من النتائج كقاعدة علمية ، لا تقبل الخرم والشذوذ ، ونحن لا نريد ان نؤيد ، أو تنفي أمراً لم يزل تأييده ونفيه مورد المناقشة عند العلماء المختصين وكلما نرمي اليه هنا من جمع هذه الصور لبعض المساجين الذين استعنا باعترافاتهم على تصنيف الجريمة ، هو ان نسهل لأولئك المؤمنين بعلم الفراسة ، دراسة بعض ما ورد في قواعد هذا العلم وتطبيقها على ما يستعرضونه من هذه الصور ليروا إلى أي حد يمكن الركون إلى تلك القواعد أو نقضها نسبياً ، وعلى ان استعراض هذه الصور القليلة ، لا يصلح بوجه من الوجوه ان يكون دليلاً قاطعاً لتأييد أية فكرة ، أو نفيها ، حتى عند المؤيدين أو غير المؤيدين ، ولكنه يصلح ان يكون محاولة لممارسة هواية وتجربة مختصرة طالما التجأ اليها المعتقدون بعلم الفراسة ، وغير المعتقدين، ولاسيما رجالات البحث ، ومؤسسات الشرطة ، وهواة قراءة الصور والملامح في جميع الاقطار المتمدينة لاثبات وجهة انظارهم تأييداً أو نفياً ، وقد أشرنا تحت كل صورة إلى صفحة قصة السجين في هذا الكتاب ليرجع اليها القاري مستنبطاً منها ما يريد ، ويؤسفنا ان لا تكون الصور من الوضوح بحيث تساعد على اداء الغرض تماماً وكما يجب ، وعذرنا هو اننا قد قمنا بجهد المقل .



الصفحة (١٩٧)



الصفحة (٣٠)



الصفحة (١٤٢)



الصفحة (٦٩)



الصفحة (٢٠٧)



الصفحة (١٦٠)



الصفحة (٨٤)



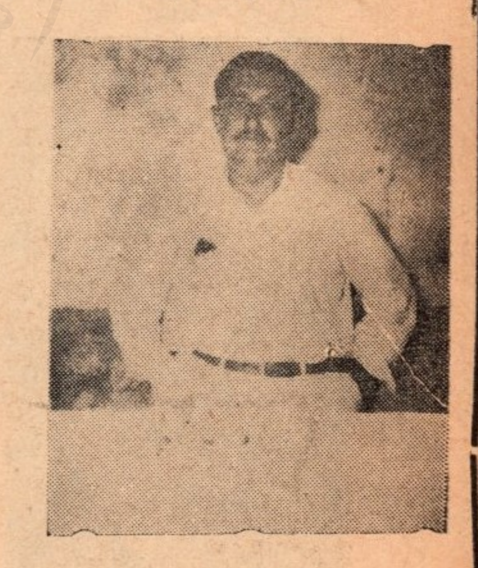
الصفحة (٥٠)



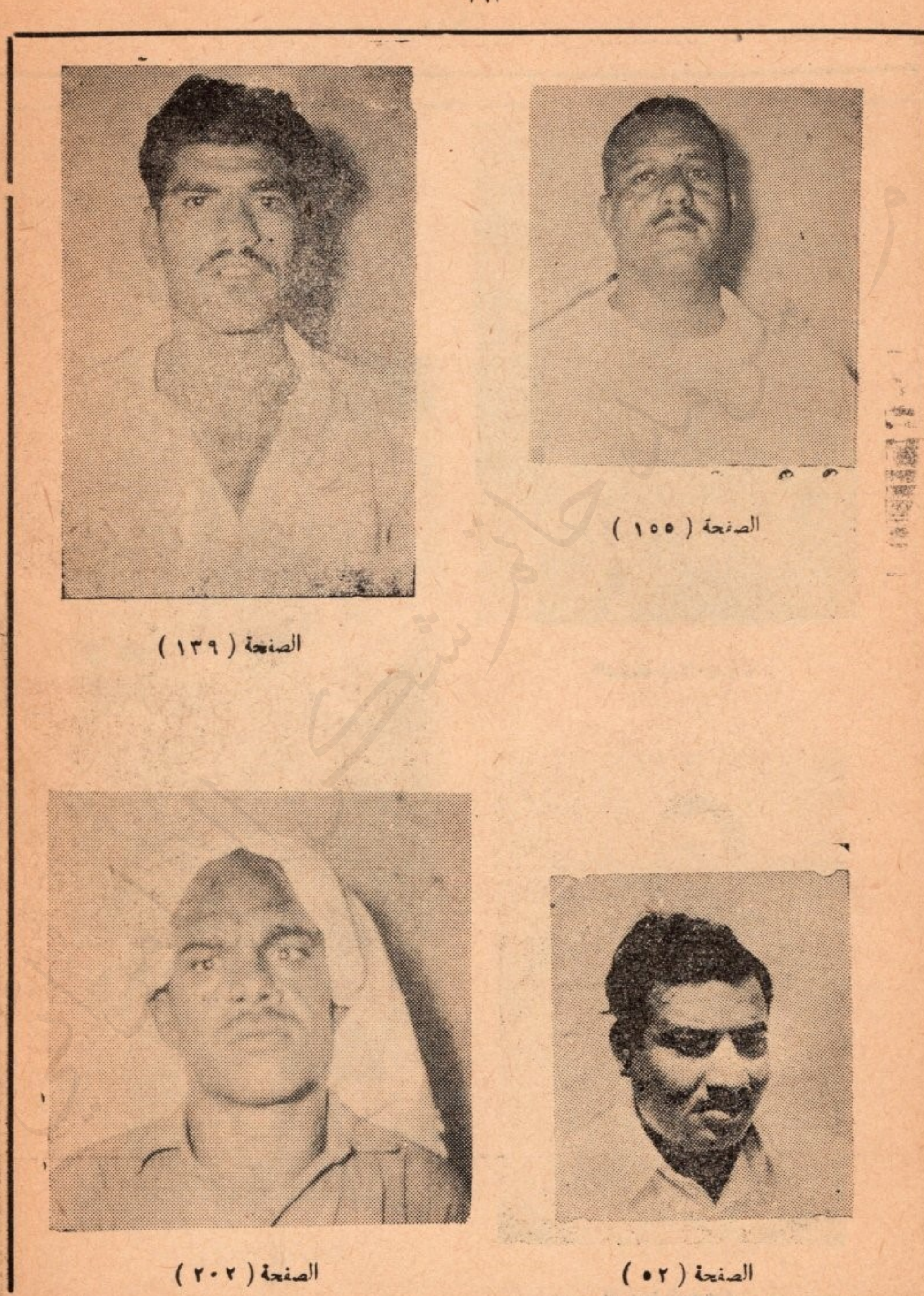
الصفحة (١٨٩)



الصفحة (١٦٩)



الصفحة (٣٥)



الصفحة (١٥٥)

الصفحة (١٣٩)

الصفحة (٥٢)

الصفحة (٢٠٢)



الصفحة (١٠٢)



الصفحة (١٣٣)



الصفحة (٣٩)



الصفحة (٢٠٨)



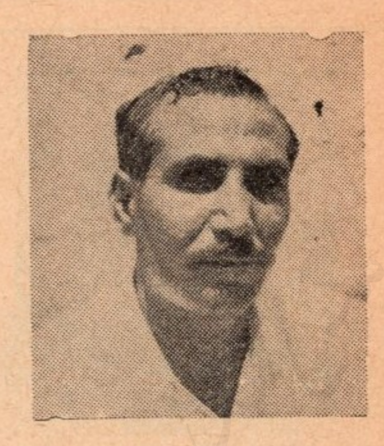
الصفحة (٤٧)



الصفحة (٨٥)



الصفحة (٩٤)



الصفحة (٨٠)



الصفحة (٤١)



الصفحة (٢٠٦)



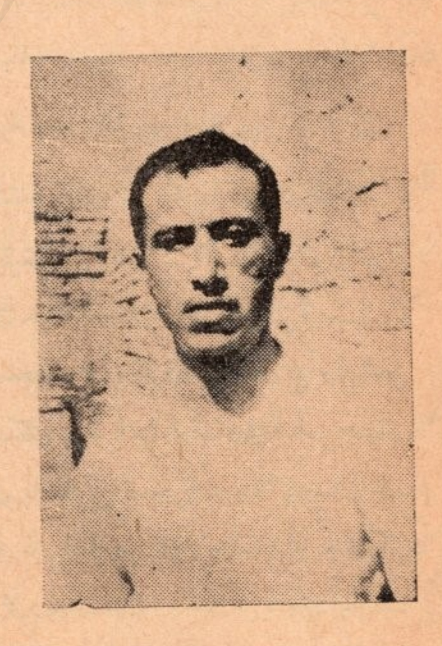
الصفحة (١٥١)



الصفحة (١١١)



الصفحة (١٢٧)



الصفحة (١٠)



الصفحة (١٢٩)



ملاحظات عامة عن السجن والمساجين

هذه ملاحظات عامة استخلصت منها تقريراً بعثت به إلى وزارة الداخليه ، وهي لا تزيد على وضع النقاط على الحروف كما يقولون ، مستلفتاً بها الانظار إلى اهم الأمور التي يقتضى الأخذ بهـا لمعالجة الكثير من مشاكل مجتمعنا من طريق السجن ، فهي على هذا صفحة لأهم ما وقع تحت نظري فى السجن ا ثبتها هنا بصورة فقرات .

***

— ١ —

ـ قصة الأكل والشرب والنوم في السجن لعلها من أهم ما تستلفت الانظار ، ذلك لأن مستوى المعيشة في السجن ـ كما ينبغي ان يكون ـ يجب ان يكون دون مستوى المعيشة فى الخارج ، أما إذا تماثلت حياة السجين داخل السجن وحيـاته خارج السجن فقد ينتفى الغرض من الحكم بالسجن ويصير الفرق بين الخارج والداخل بحيث لا يتجاوز حرية التنقل من مكان بعيد لمكان بعيد ، فكيف وفى السجن جماعات يعيشون فى مستوى أعلى مما كانوا يعيشون به خارج السجن ، ولا يبعد ان يجد القائمون بالاحصاء ـ إذا ما قاموا ـ ان نسبة غير قليلة من هؤلاء السجناء لم تكن تزيد مقتضياتها اليومية العامة خارج السجن على رغيف خبز وحفنة تمر ، وإذا تساهلنا في الفرض فرغيف خبز وقدح من الشاي ، اما اللباس فلا يزيد على قميص (دشداشة)

لا تتغير شتاء ولا صيفاً ، وإذا تساهلنا في فرضنا فقميص وسترة ويشماغ لا يتجدد بعضها إلا فى كل سنتين وثلاث واكثر ، وعلى سبيل الصدفة ،

فاذا اتيح لهذا البعض من المساجين ، ان يتناولوا من الطعام واللباس اكثر مما كانت تجهزهم به حياتهم الخاصة خارج السجن ويتناولوا من الطعام : الحليب والشاي ولحم الضان والمرق كل يوم ، ومن الرز أربعة أيام فى الاسبوع ، ثم من اللباس الصيفي بدلة مؤلفة من السترة والبنطلون ، وأخرى شتوية من السترة والبنطلون كذلك ، ثم اتيح لهم مكان يقيهم برد الشتاء وحر الصيف ، ويؤمن لهم الراحة اكثر بكثير من بيوتهم الخاصة ، وفوق فراش من البطانيات التي لم يكن يحلم بها هذا البعض من السجناء الذين لم يتح لهم حتى الحصير البالي ليفترشوه وحتى العباءة الممزقة ليلتحفوا بها .

اقول : فاذا اتيح لهذا البعض ان يعيش في مستوى أعلى من مستوى معيشته خارج السجن فما الذي نتوقعه للسجن من أثر على هذا السجين ؟ وما الذي يبعد فكرة السجن عن ذهنه وقد رأى حياة السجن أفضل من حياته بألف مرة واكثر .

ان عدداً غير قليل من المساجين اليوم يعيشون عيشة مترفة بالنسبة لمعيشتهم العامة خارج السجن ، وان التساوي بين هؤلاء وبين الذين لا تستلزم جريمتهم التنكيد والتضييق لما يجعل أيام السجن عند هذا البعض من الأيام السعيدة التي يحن اليها ويذكرها كما نذكر نحن أسعد أيامنا ونتوق لأن نراها ولو بالحلم .

انني رأيت هنا عدداً كبيراً ، وتحدثت إلى عدد كبير من هـــذه الطبقة التي كان يعيش الكثير منها في اكواخ لا تستطيع ان تصد الرذاذ من المطر فكيف بالسيول ؟ ولا تصمد فى وجه رياح الصيف ، فكيف برياح الشتاء ؟ وبعض هؤلاء كان منامه الوثير خارج السجن على أحد تخوت المقاهي أو عند أبواب المساجد ، وبدون ان يفترش شيئاً أو يلتحف بشيء ، ولقد سألت أنا نفسي البعض عن مأكله ومشربه العام فقال انه لم يتجاوز خبز الشعير وتمر الزهدي في (الخارج) ! فكيف ترى

ستكون نظرة هؤلاء إلى مكان تتوفر فيه كل أسباب الراحة ويتنـاول فيه حتى الحليب والشاي ، اما اللحم فلا يجوز ان يدخل السجن منه غير لحم الضأن ؟

نعم ان على السجن ان يعني بالصحة عناية فائقة ، وان يسعى جهده في مراعاة الاكل والشرب والنوم لمساجينه ، وكل هذا حاصل فى سجن بغداد اليوم ولـكن مثل هذه العناية لا تستلزم ان ترتفع موازين اللذة والمتعة عند السجين الذي يستحق السجن إلى هذا القدر فينقلب غرض السجن الى الضد وتـكون حياة السجن عنـد هذا البعض أفضل بكثير من حياته خارج السجن : وقد شوهد الـكثير من هؤلاء السجناء يبيعون احذيتهم الجديدة التي كانت تمنحها السجون لهم سابقاً لا كتفائهم بما لديهم من الأحذية ولشعور السجناء انفسهم بتجاوز هذا الترف حدوده .

ويسمح السجن للذين يريدون الأكل والشرب على حسابهم الخاص بأن يأكلوا ويشربوا ما يريدون ويشتهون وهو عمل لا بأس به للمساجين الذين لم يقترفوا من الآثام ما يحول بينهم وبين هذا الامتيـاز ، اما المجرمون الـكبار والعائثون بالمجتمع ، والعابثون بالأمن ، والمعتادون على الاجرام وأرباب السوابق ، اما هؤلاء ، فليس من الانصاف في شيء ولا من العدل ، ولا من التهذيب ان يمنحوا مثل تلك الامتيازات فيسمح لهم بأكل البقلاوة ، والزلابية في شهر رمضان وغير رمضان وطهي ألوان الطعام ولذائذ المأكولات ، وشرب جميع المرطبات ، واستعمال الـكماليات والترفيه وغير ذلك ، وهذا ما يجب ان يراعى فيه نظام التصنيف .

— ٢ —

وان اهم ما يستلفت النظر في سجن بغداد وفي جميع سجون العراق هو فقدان التصنيف بين الوان الجريمة ثم الجمع بين جميع المساجين على اختلاف جرائمهم واسبابها ، ونزعاتهم ومغازيها ، فى صعيد واحد ، وتحت سقف واحد ، ولا حاجة للتـدليل على ما يعقب مثل هذا الخلط من سيئات ونتائج تزيد الاجرام تعقداً ونمواً وتقتل

في كثير من النفوس قابليات الخير ، والعزة والكرامة بدلاً من أن يكون السجن وسيلة تهذيب ، وصقل ، وتلطيف .

وان شخصاً يسبب بعض الاضرار الجزئية كالخسارة المادية أو الاضرار الكلية كتعطيل عضو أو قتل شخص وهو غير عامد وغير مريد لذلك ، لا ينبغي بأي وجه من الوجوه ان يضمه السجن مع شخص قضى كل حياته سابحاً في الاجرام ولعاً بها مستهتراً بالنظم البشرية والانسانية .

اننا ان جمعنا بين الرجل الذي لم يذنب طوال عمره إلا مرة واحدة وبدون قصد ، مع رجل لا يعرف من دنياه غير الجريمة ، كان اقل نتائج ذلك من رد الفعل هو : قتل هذه الروح البريئة الصالحة الطيبة أو افسادها ، وتغيير اتجاهها تغييراً سيئاً .

ولقد وجدت فى السجن ، وفى سجن الأحداث ببغداد محاولة أو شبه محاولة للتصنيف ولكنها لم تكن ناجحة بالمعنى المطلوب ، ذلك لأن ضيق المكان من جهة ، وتحديد القانون لسلطة مدير سجن الأحداث على الأخص من جهة أخرى ، لم تخولا مدير السجن أن يبدل ، ويغير ، فى تصنيف سجن هؤلاء ورعاية طبقاتهم .

والفروق في السجن زيادة على الفروق في نوع الجريمة التي تتطلب الفصل والتفريق بين طبقة وأخرى موجودة في سجن الرجال ببغداد كما هى فى سجن الأحداث ، وفي سجن النساء ، وكثيراً ما تبعث المحاكم الى سجن الرجال ببعض من يجب أن يقضوا في سجن الأحداث سنة أو سنتين وبعكس ذلك كثيراً ما يضم سجن الاحداث عدداً ممن يجب زجهم في سجن الرجال من أول يوم صدور الحكم عليهم كل ذلك قد جرى إما بطريقة الاجتهاد من لدن المحاكم أوحسب سجلات النفوس ولا حاجة بعد هذا الزج لمعرفة ما يترتب على فقدان التصنيف لنوع الجريمة ، وفقدانه فى السن ، ومراحل العمر ، من سوء العاقبة وسوء المصير ، فذلك ما تغنيني عنه نباهة القارىء .

ولست أدري كيف يجري هذا التصنيف والافراز في نوع الجريمة ، ولـكني لا استطيع أن أصدق بأن مثل هذا الموضوع لم يدرس دراسة كافية وافية من قبل المسؤولين في جميع الممالك ، ولم توضع له قواعد ، وانظمة ، وخطوط ، تلتزم بتطبيقها ادارات السجون ؟ ولقد رأيت في السجن غير واحد من المنكمشين على أنفسهم ، والمنتحين زاوية من زوايا السجن لا يكلمون أحداً ولا يسمحون لأنفسهم بالاختلاط بأحد على قدر الامكان ، كذلك رأيت شيخاً مسناً من سكان قصبة طويريج وقد ضم الى مساجين القلعة الخامسة لا ينفك ممسكاً بكتاب من الأدعية وهو دائب على ترتيلها بصوت خافت ، وقــد قيل لي انه منذ أربع عشرة سنة وهو على هذا الحال لا يكلم أحداً إلا فيما تقتضيه الضرورة ، ولا يدنو من أحد لامر مهما كان ....

وعلى ان مثل هذه الظواهر قد تـكون من ضروب رد الفعل عند البعض ولـكن فقدان التصنيف ذو أثر كبير فى هذا الانطواء على النفس ، كما هو ذو أثر كبير فى إفساد طبيعة السجين والفت في عضد الذين يريدون أن يجعلوا السجن وسيلة تهذيب .

ان للظروف أحكامها في الانسان والذي قرأ قصة (فاوست) لـگوته وقرأ قصة (تاييس) لاناتول فرانس ، لا يستغرب من تقلبات العواطف ، والاخلاق ، والتحول من لون الى لون لمجرد تغيير الظروف والأحوال .

فاذا ما أردنا أن نغير أرواح المجرمين فلن نستطيع أن نفعل الـكثير منه بغير تغيير ظروف السجن وجوه ، وفي طليعة ذلك مراعاة نظام التصنيف الذي يجب أن نجعله نصب أعيننا .

— ٣ —

وأمر آخر فى غاية الخطورة والأهمية وهو خلو دوائر السجن من مشاور حقوقي يقوم بدرس الاحوال من الوجهة الحقوقية ورفع تقرير مسهب في كل

شهر أو أقل من ذلك الى مديرية السجون العامة والى وزارة العدلية لاتخاذ بعض التدابير القانونية بخصوص عدد من المساجين الذين قد يحدث ما يدل على الاشتباه أو التسرع فى الأحكام التي حكموا بها أو بعض تلك الاحكام على الأقل ، وفي مثل هــذه الاحوال لا يستطيع توجيه الامر توجيهاً صحيحاً غير المشاورين الحقوقيين ، أما المحكومون أنفسهم فان فيهم من القاصرين عقلا والبعيدين عما لهم وما عليهم من لا يفهم هذه الامور ، ومن هؤلاء رأيت عدداً من المعتوهين أو المجانين الذين يسبب وجودهم للسجن مشكلة أخرى زيادة على مشاكله الادارية ، ذلك لأن المساجين طالما اتخذوا من هؤلاء وسيلة للسخرية لقتل الوقت والدعابة فتنشأ بسبب ذلك اختلافات وتحصل اشتباكات بين السجناء ، ولقد أحصيت بنفسي لاحد هؤلاء المعتوهين إحـــدى عشرة شكوى خلال مدة لا تزيد على أسبوعين كان يرفعها بسبب ملاحقة السجناء له ، وضربهم إياه ، وضربه لهم ، ولقد علمت حين سألت ان ادارة السجن قد كتبت بخصوص هؤلاء الى (دار الشفاء) تشكو هذه العوارض من هؤلاء المساجين ولـكن دار الشفاء تأبى أن تعتبر أمثال هؤلاء مجانين أو معتوهين أو شاذين أو انها قد تعتبرهم كذلك ولـكن لمدة معينة تحجرهم ثم تعيدهم الى السجن بعد ذلك وهم كما كانوا فيزيدون مشاكل السجن ويحملون عددا من المساجين على المخالفات القانونية ، لوجودهم معهم ، ولشذوذ هؤلاء وسلوكهم الخاص ، وهم مجانين ما في ذلك شك أبداً ، ومن غير هؤلاء رأيت أفراد الشرطة الثلاثة الذين تطرقت لهم في كتابي هذا وهم الذين حكم عليهم المجلس العرفي بالسجن المؤبد يوم كان هنالك من الدواعي ما يستلزم هذا الحكم ، اما وقد مر على ذلك زمن تغير فيه الحال فما أحوج هؤلاء وغيرهم لهذا المشاور الحقوقي ، فلو كان هنالك مشاور لعرض قضيتهم بالطرق القانونية ولطلب إعادة النظر فيها من جديد .

والى جانب ذلك فقد يحدث أن يقوم الدليل على براءة المحكوم بعد صدور

الحكم عليه بزمن طويل وليس هنالك من ينبه الى قيام هذا الدليل لبلادة السجين ، ولعدم معرفته بكيفية المراجعة ، ولقد وجدت فى السجن عدداً يشكون بعض المضايقات الصحية ، والاجتماعية ، وكان بامكانهم ان يزيلوا تلك المضايقات بمجرد مراجعتهم ادارة السجن ولكنهم لا يفعلون ذلك لعدم معرفتهم بالمقتضيات ولليأس المستحوذ عليهم ، ولقناعة البعض منهم بأنهم ان راجعوا فى أمر لم يلبّ أحد لهم طلبا ، لذلك كان وجود المشاور الحقوقي من الوجهة القانونية الذي يعني بدرس هذه الامور أمراً ضرورياً لازماً للسجن وللمساجين .

— ٤ —

وماعدا المشاور الحقوقي فان اللازم ان يكون فى السجن خبير نفساني مقيم يستخدم من خارج العراق خصيصاً لدرس أحوال كل سجين من سجناء العراق ويضع الخطط والمناهج العلمية والنفسية التي بموجبها تتم معالجة المساجين معالجة صحيحة تخفف عن كاهل ادارة السجن ما تعاني من مشاكل في ادارة المساجين ، وتضمن لهؤلاء السجناء نهاية صالحة ربما تتوقف على خططها قلة نسبة الجريمة ان عمل بموجبها أو تضمن انعدام الجريمة بالكلية في عدد محدود من السنين على الاقل .

لقد أدرك اليوم الناس قيمة الخبير النفساني فى معالجة النفس ولاسيما في معالجة المعوجين أو الخارجين عن دائرة الصواب فى سلوكهم واوضاعهم كما ادركوا الكثير مما اعطت هذه المعالجات النفسية من نتائج باهرة فى المجتمع كله ... فمن طريق هذا الخبير يجري الاحصاء الكامل لانواع الجرائم وأسبابها ، ومن هذا الطريق يجري تلافي وقوع هذه الجرائم وتداركها ، وإلا فكل مسعى عن غير طريق الخبير النفسانى فى هذا الموضوع يعتبر غير مجد تماماً اذا لم يكن غير مجد بالمرة .

* * *

— ٥ —

ومن الأمور الخطيرة المهمة : وجوب التفكير في أمر الموقوفين والحيلولة دون توقيف الأشخاص مدداً طويلة فقد ظهر لي ان عدداً غير قليل قد حبسوا بسجن الموقف بضعة شهور واكثر ثم ثبتت براءتهم وخرجوا من السجن دون ان يزودهم أحد حتى بكلمة اعتذار من وزارة العدلية أو زارة الداخلية أو ادارة السجن لما لحق بهم طوال هذه المدة من أذى واضرار . بل كثيراً ما يجيء اخلاء سبيل هؤلاء الموقوفين من قبيل المنة والفضل عليهم لأنهم اطلقوا سراحهم .

ولست اقصد بالتفكير في أمر الموقوفين التساهل في احقاق الحق ، وأخذ هذه الأمور باللين والرأفة وإنما المقصود هو السعي لاتخاذ تدابير قانونية من شأنها البت السريع في الأمر على قدر ما تستدعيه الضرورة والأحوال الوجدانية ،

ولقد رأيت بسجن الموقف ببغداد كلاً من عبدالأمير كاظم ، ومحل حسن ، ورشاد حسن ، وحايف ابراهيم ، وعليوي ابراهيم ، ودانه غالي ، ومحمد عبد ، لقد رأيتهم في يوم ١٦/٧/٩٥٥ وكان توقيفهم قد جرى بتأريخ ١/١/٩٥٥ ومعنى ذلك انه قد مر على هذا التوقيف اكثر من ستة شهور دون ان يبت في أمرهم وذلك لأن المشتكي أو الذي قام باتهام هؤلاء بجريمة القتل كان غائباً أو متغيباً ولأن القانون لا يبيح اجراء المحاكمة الغيابية فاقتضى ان يظل هؤلاء ويظلوا الى ماشاء الله مساجين بسجن الموقف في حين ان من الجائز ان يكونوا هؤلاء ابرياء - كما قد وقع ذلك كثيراً - ومن الجائز ان يكونوا أرباب عوائل ، أو يكونوا عمالاً يعملون بأجور يومية فاذا انقطعوا عن العمل انقطعت بهم وبعائلتهم أسباب الحياة ، ومن الجائز ان يكون اكثر من ذلك ، أفيجوز ان نغض الطرف عن هؤلاء ونتغاضى عن اصلاح القانون بالشكل الذي يتفق مع الواقع والعدل ولو أدى توقيفهم هذا الى نكبات شاملة عامة ..!!

ولقد رأيت المدعو زيدان خلف وقد مرت عليه سبعة شهور وهو سجين بسجن الموقف ، وسمعت بمن قضى سنة واكثر وكل هذا مما يوجب الاهتمام بدرس الأمر درساً من جميع اطرافه لوضع التشريع الذي يحول بين حجز الموقوفين لمدد طويلة والسعي بكل جهد لحسم قضايا الموقوفين والترفيه عليهم رعاية لما مر وتلافياً للحيف إذا كان من الصعب ـ ولا أحسبه صعباً ـ تعويض الذين تثبت براءتهم تعويضاً عادلاً .

— ٦ —

(أ) ـ والعناية بالتعليم في السجن ليست عناية جدية كاملة ، وانه لمن أوجب الواجبات بذل العناية بالتعليم واكراه السجناء الذين تساعد الطبيعة على تعليمهم على التعليم ، وتعيين المدرسين الاكفاء ومحاسبتهم حساباً جدياً على ما يبذلون في سبيل مكافحة الأمية ورفع مستوى الساجين وما يبلغون من هدف في هذا السبيل ولقد وجدت مكتبة السجن مكتبة قد تألفت مجموعتها من الكتب على سبيل الصدفة فقد نشأت فكرة المكتبة أول ما نشأت في رأس أحد الساجين وهو (الملا فاضل الرادود) قبل عدة سنوات ، وقد جمعت لها الكتب من هنا وهناك وقد كان على وزارة الداخلية ان توصي في كل سنة باضافة مائة عدد واكثر من الكتب التي تهم الساجين وتشوقهم للقراءة وتغذيهم بالمغـــازي المفيدة ، وينبغي ان تكون كل الكتب أوجلها من القصص لتعمل على اصلاح نفوس الساجين وتقوية آمالهم بالحياة والاعتماد على انفسهم لكسب ثقة المجتمع بهم في السجن وفي خارج السجن .

فالكتب اليوم احدى الوسائل الفعالة في تهذيب المجتمع ، ولعل الساجين أحوج اليها من غيرهم ، ولقد كتب عن مفعول المكتبات في السجن الشيء الكثير

في الممالك المتحضرة واليها عزا أرباب الخبرة تغيير اتجـــاه نسب كبيرة من عدد السجناء .

ولقد رأيت أنا بعض من صقلهم السجن بفضل الكتب فأخرج مواهبهم فى صور متعددة من قول الشعر ، أو لطف الكلام ، أو رقة النفوس ، كما رأيت أحد شعراء العامية من المساجين ينصرف إلى ترجمة رباعيات الخيام بالشعر الشعبي الدارج ويسكب هذه الرباعيات فى رباعيات لا تقل روعة من مسكوبها باللغة الفصحى وفى أدب القريض ...!!

ولقد سألت عدداً من ملازمي مكتبة السجن كما سألت مأمور المكتبة وهو أحد المساجين عن الكتب المفضلة التي يميلون الى قراءتها فقال لي الجميع وبدون استثناء انها الكتب القصصية ، ولكن حظ هذه المكتبة من الكتب القصصية كان أقل من الكتب الأخرى .

* * *

(ب) - وقضية الرقوق السينمائية هي الأخرى تحتاج إلى اهتمام فلا ينبغي ان يمر اسبوع دون ان تفكر ادارة السجون بعرض افلام مسلية مشوقة من جهة ، وذات مغزى تهذيبي من جهة ثانية وهذا ما يجب ان تخصص له المبالغ الكافية لشراء اجهزة للسينما وللرقوق الصالحة التى تجلب خصيصاً للمساجين من الخارج ثم نقلها إلى جميع سجون العراق بعد تولي ترجمتها ، وتولي تنظيم هذا العرض بحيث يصبح درساً معيناً فى أوقات معينة يجب الاحتفاظ بها ورعايتها وعدم التفريط في مواعيدها .

وكما ان للسينما سيئاتها فى حمل النفوس ذات الاستعداد على تتبع حركات العصابات في الافلام وكيفية فرارها من ملاحقة العدل ، والاستهتار بالنظم والقوانين والأرواح فان لها حسناتها الجمة فى اصلاح المجتمع إذا ما أحسن اختيارها ،

ولقد رأيت بنفسي طفلاً لصديق حضر مع والديه فيلماً من افلام السينما في الليلة التي أزمع هذا الصديق على السفر في صباحها وقد شاهد في السينما منظراً

لطيارة تحترق ، وحين حان الصباح أبى الصبي ان يمتطي الطائرة وأصر بين البكاء والصراخ على البقاء فابقي عند جدته وسافر الأبوان ...

وعرفت قبل شهرين من طبع هذا الكتاب أو اكثر قليلاً قصة صديق أيقظ اللص زوجته بعد منتصف الليل وقد حمل بيده اليمنى مسدساً ، وبيده اليسرى مصباحاً كهربائياً ، وطلب منها ان تخبره بمخبأ ما يملكون من حلي ونقود ، فأيقظت هذه زوجها ، وهنالك القى عليهما اللص عدداً من الاسئلة :

— هل لديكم اسلحة ؟ في السرير ؟ أو في البيت ؟

— من يسكن في هذا البيت غيركما من الخدم ؟

— وهل يملك أحد منهم سلاحاً وإذا كان فأين هو مقر هذا الخادم والساكن في البيت ؟

ولقد أضاف إلى هذه الاسئلة تهديده قائلاً بانه يحمل مسدساً من نوع خاص لا يسمع له صوت إذا انطلق ، وان أية حركة يبديانها من الصراخ والاستغاثة تكفي لاطلاق الرصاص عليهما ، وقال انه قضى وقتاً غير قليل في السجن بينما يتلذذ امثالهما بالنوم الهنيء فوق هذه الفرش الوثيرة ،

وكان الخطاب طويلا عريضاً وباسلوب سينمائي آسر وحركات تمثيلية ملقنة تلقيناً متقناً ، يزيدها رعباً الضوء الذي كان يلقيه مرة على وجه الزوج وأخرى على وجه الزوجة ليقرأ ما يرتسم على الوجهين والملامح من افكار .

وفي تلك الاثناء سمع سائق سيارة هذا الصديق ـ وكان يساكنه ـ حواراً غير طبيعي في غرفة صاحب البيت فصاح من مكانه مستفهماً عما يجري ، فلم يكتف اللص هنا بتحذير صاحب البيت وزوجته من مغبة المقاومة بل طلب اليهما بأن يردا جواب السائق من مكانهما بالنفي ، ويطلبا منه ان يخلد الى السكون وينام ، ولم يمر بعض دقائق حتى مرت سيارة هناك بالقرب من البيت فنزل اللص حينذاك

واستقلها وصاحبا البيت يؤكدان له بأنهما لن يبلغا الشرطة ولن يقولا شيئاً حتى يغيب عن الانظار ، ولقد كان كما اكدا .. فلم يخبرا الشرطة حتى غاب عن الانظار .

وحين قامت الشرطة بالكشوف الفنية والتحريات الجارية في مثل هذه الاحوال لم تلف أي أثر لطبع الاصابع وما شابه من الآثار التي يستقرأ منها شيء من صفات اللص وأحواله ،

من هذا الذي يتصور حادثة تجري على هذا النمط من الحبك والاخراج دون ان يكون لها مساس بالسينما ؟... انها لا شك صفحة من صفحات سطو اللصوص ، وهجوم العصابات التي طالما نراها على شاشة السينما فتتأثر بها النفوس المجبولة على الشر ، والمهيأة لقبول الاجرام وتحمل اصحابها على ان يأتوا بما لم يكن يأتي به اللص من قبل في هذه البلاد ، وما لم يألفه مواطنونا في حياتهم العامة والخاصة .

وكما تفعل الرقوق السينمائية فعلها السيء في النفوس فانها لتفعل كثيراً من الخير ، وتتولى نصيباً غير قليل من مهمة الاصلاح لذلك لا ينبغي ان يتجاهل احـد قيمة هذه الوسيلة في زرع الخير وتعهده بالنماء في كل بلد وفي كل ناحية ، اما السجن فهو المسرح الأول الذي يجب ان تمثل على شاشته كل قصة تنزع إلى الخـير وتهدي الى الصراط المستقيم .

* * *

(ج) ـ والتمثيل وسيلة أخرى ذات فعالية كبيرة في التوجيه وبامكان استغلالها لتهذيب المساجين ، وتبديل اتجاهاتهم ، وصقل ارواحهم إذا ما اريد اصلاح السجون اصلاحاً شاملاً كأن تبعث وزارة الداخلية بفرقة الاذاعة التمثيلية في كل اسبوع مرة ، أو كل اسبوعين مرة ، للقيام بتمثيل رواية تسلي السجناء ، وتضمن توجيههم على ان يتصدى القائمون على ادارة الفرقة إلى اختيار بعض السجناء من أرباب القابليات للاشتراك في التمثيل فلا يمر بعض زمن حتى يكون كل اعضـاء

الفرقة أو اغلب اعضاء الفرقة من السجناء انفسهم ، فيتم الحصول بسهولة على طبقة من (الفنانين) ولا نحسب ان مثل هذا سيكلف مؤسسة السجون اكثر من بناء مسرح متواضع وشراء بعض الستائر وأدوات التمثيل ، فالتمثيل ـ إذا ما اتقن امتاز على السينما فيما يجيء به من نتائج فى حمل المشتركين به على تقميص الادوار ووضع الحوار ، ونظم الشعر ، وقيام كل فرد بتمثيل الجانب الذي يحسن التعبير عنـــه ، فهو بمقتضى هذا درس عملي ، ومجال لاظهار المواهب وليس السعي إلى تشجيع التمثيل فى السجن بالأمر الصعب ما دامت الاستعانة بفرقة الاذاعة العراقية أو بغيرها متيسرة ممكنة .

* * *

(د) ـ وقد شاهدت فى السجن عناية تستحق الاعجاب بالرياضة البدنية ولست أدري هل ان جميع السجون العراقية تهتم بالروح الرياضية كاهتمام سجن بغداد ولـكني اطلب مضاعفة الجهود وتجهيز الالعـــاب بجميع الحاجات المطلوبة ودعوة المساجين جميعاً إلى المساهمة وتحبيب الرياضة لهم لما ينتظر ان تعطى الروح الرياضية من فوائد كبيرة ونتائج باهرة . وانصح بتجنب رياضة الملاكمة والمصارعة بجميع انواعها فان كلما قيل عن هذه الرياضة لم يتعد حدود النظريات وان الوجـــدان يؤيد ضررها ونتائجها السيئة ، وهنالك الف نوع من الرياضة مضمونة النتائج وهي ما ينبغي ان يعول عليها الانسان فى مجالات التسلية .

ـ ٧ ـ

وفي السجن رأيت العشرات من المجرمين الذين لايكاد يمر على انتهاء مدة حكمهم بعض الأيام حتى يعودوا الى السجن مرة أخرى !! وعشرات آخرين لايتنـــاسب حكمهم الخفيف مع جريرتهم الفظيعة ، وعشرات غير مكترثين بالعقوبة ، ولا يبعد ان يكون ـ خارج السجن ـ آلاف من الذين لا يقيمون للعقوبات وزناً بسبب عـدم

أخذ المحكمة الأمر بالشدة والصرامة ، بحيث اصبح جانب الرأفة فى الأحكام والتساهل ارجح من جانب القسوة في كثير من الاحكام ، ففقدت بذلك الاحكام هيبتها ورهبتها في نفوس المجرمين ، وشجعت كثيراً من النفوس المستعدة على ارتكاب بعض الجرائم .

ومن الجائز ان يكون هنالك سبب آخر فى تشجيع الجريمة وفقدان هيبة الحكم غير الرأفة التي تسود الاحكام وهو النقص فى صلب القانون ومع ذلك فان اللين ، والتساهل ، والرأفة ، والتلكؤ في صدور الاحكام لتعتبر السبب الاكبر في فقدان هيبة الحكم وعدم اكتراث المجرمين بأحكامهم واعتماد البعض على أيديهم فى أخذ ثأرهم والانتقام من المعتدين عليهم بأنفسهم .

* * *

وكمثل لما ينبغي ان يكون الحكم من حيث الشدة والصرامة انقل نبذة ترجمها أحد الكتاب من مذكرات (روبرت ترايفار) الذي اشتغل فى القضاء ١٤ سنة كنائب عام ، وهي المذكرات التي ظهرت حديثاً باسم (أنا الحق العام) قال :

« وجلس المراقب في اثناء المحاكمات الاجرامية الكبيرة وهو يشرف على كل حركة وسكنة بين الحاضرين بحيث يستطيع ان يتعرف الى اقرباء المتهمين واحداً واحداً ، بمجرد النظر اليهم ، ومراقبة حركاتهم ، وطريقة متابعتهم لوقائع الجلسة .

وما ان يحين موعد اعطاء الحكم حتى يخيم على القاعة سكون قاتل لا يعود يسمع في خلاله غير انفاس متقطعة هالعة .

ونودي على المتهم جايمس كوريك فتقدم من منصة القاضي :

— هل من قول لك تقوله يا جايمس دفاعاً عن نفسك قبل اعطاء الحكم ...

وعادة يكون جواب المتهمين .. — كلا .. غير ان جايمس رفع رأسه وقال :

— نعم يا حضرة القاضي

— تكلم ...

ولم يكن المتهم غير شاب انيق حاد الذكاء في منتصف الثلاثين من عمره ، فشرع يتحدث في صوت هادىء واضح : كيف بدأ حياته رياضياً مرموقاً بين اقرانه ، وكيف انهى دروسه ونال أرفع درجات الشرف ، وكيف حين اتم درسه عرضت عليه الكليات والجامعات ان ينضم اليها لتعزز به فريقها الرياضي .

واستطرد يقول :

لم التحق بالجامعة ... كنت اتوق لذلك ولكني لم استطع لأن امي ارملة ... وكان أبي عاملاً في مصنع ، فقتلته الآلة التي عمل عليها حين كنت طفلاً صغيراً ... وكان علي بعد تخرجي ان اعمل لأعيل أمي ، وتعرفت الى فتاة من بلدة مجاورة واحببتها ... وكان علي ان اقرر مصيري ، فمرض علي العمل في أحد البنوك .

والتحقت به فوراً وهو البنك الذي اتهم الآن بسرقته ، حصلت على هذه الوظيفة واعتقدت انني مسكت الحظ من ذيله ... انا الشاب المعدم ، الشاب الذي نزح اهله الى اميركا ليعيشوا فكان ان قتل الاب وترك مصير عائلته في يد القدر ... لا اشك ان الحظ قد واكبني حين قبلت في هذا البنك الكبير ...

* * *

وبعد عمل دام خمس سنوات متوالية ترفعت واصابتني الترقية . وعرفت من الصكوك التي كانت تمر بين يدي بأن مرتبي ضئيل جداً بالنسبة إلى صغار الموظفين الذين يعملون في المحلات التجارية المجاورة . وعرفت بسبب وظيفتي ان ارباح المساهمين في البنك أرباح طائلة .

وحافظت على علاقتي بالفتاة التي عاهدتها على الزواج منها حين تستقر أحوالي ، وطالت أيام الخطبة ... وبدأت ارجو منها ان تنتظرني قليلاً ريثما أصعد في سلم الترقية .. وانتظرت المسكينة ، ومرت خمس سنوات اخرى نلت بعدها عشرة دولارات علاوة بالشهر ! !

* * *

وانقضت اعوام اخرى ... وذات يوم توفي مديري فجأة وكنت انا الرجل الوحيد الذي يحل محله ... وكنت ملماً بكل مسؤوليات العمل ، فطالبت بمركزه ... واسمعوا يا سادتي ما ذا حدث ؟

كان لأحد المساهمين في البنك ابنة متزوجة من رجل عاطل عن العمل ينفق عليه مالا وفيراً ... فاغتنم هذه الفرصة ووظف زوج ابنته في هذا المركز واصبح الرجل رئيساً جديداً علي ... على رغم انه رجل أمي لا يعرف الفرق بين سندات الدفع واكياس الشعير .

انا لا الومه ... فهذه هى الحياة ... ولكني اقول ان هذا المركز الشاغر كان يجب ان يكون لي ... وهو المركز الذي كنت انتظره لكي اتمكن من تحقيق زواجي بالفتاة التي احب ... وبالاضافة الى واجباتي اليومية اقوم بمتطلبات عمله كلها ...

قلت لفتاتي باني لم احصل على المركز الذي كنت آمل به .. ولكني حصلت على زيادة في المرتب تخولني الزواج في وقت قريب . . وكذبت بهذه الكلمات على الفتاة .

وهنا قنطت ويئست ، وعزمت على الاستقالة ... ولكن أمي ... امي مازالت تطلب مني رعاية وإعالة ... والفتاة ... الفتاة التي ربطت مصيرها بمصيري ...

* * *

كنت في الثالثة والثلاثين من عمري آنذاك ، وفقدت كل صلة لي بغير وظيفتي ... فلم اقو على تقديم استقالتي فبدأت اختلس وكانت السرقة هينة سهلة علي ... إذ انني أدرى بسير العمل ومتطلباته ، وأمور تغطيته .

كنت اتناول المال على ان اعيده في المستقبل حين تدعو الحاجة ، ولقد كنت اعتقد ان ما اتناوله من مال المصرف هو حق لي منعوه عني .

واشتريت لفتاتي خاتم الخطبة ... وبدأت ادفع ثمن بيت الزوجية على اقساط ،

واعلنا موعد الزواج في هذا الاسبوع ... وشاءت الاقدار ان تنكشف غلطة في الحساب فتستدعي لجنة من مدققي الحسابات وإذا بي اعتقل .

اما المال الذي اختلست فلن استطيع اعادته ... وليس لي اقرباء من المساهمين في البنك يدفعون عني الاذية فقدمت للمحاكمة .

* * *

لقد سألتموني إذا كان من قول لي ان اقوله للمحكمة قبل لفظ الحكم ... فهذا ياحضرة القاضي هو كلما أقول ... ولم اذكره لكي ادافع عن نفسي أو التمس الرحمة، فأنا اعتقد انني ما زلت فطناً للآن ، واعلم ان مصيري قد انتهى . . ولكني ذكرت لكم هذه الأمور ليعلم الشبان الذين قد تسول لهم نفوسهم التلاعب بالأمانة التي بين ايديهم أي مصير قاتم ينتظرهم ، وبالتالي لكي اجعل اصحاب الأعمال يفتحون عيونهم فيراقبون العمل ويراعون مصالح موظفيهم ...

هذا كل ما أريد ان اقول واشكركم لهذه الفرصة الغالية التي سمحتم لي بها للتعبير عن رأيي والتفريج عن صدري ...

ويقول النائب العام (روبرت ترايفار) : وساد الصمت فى قاعة المحكمة ، ورطبت أنا شفتي ، وحدق القاضي بالمتهم المفوه ، الشاحب الوجه ، وتهدج صوته وهو يقول :

يا بني .. في الحياة أمور ينوء تحتها ضمير القضاء ... وقضيتك هي احداها ... ان ما قلته غير جديد على ... وفي بعضه مفاجئات حركت عاطفتي وآلمتني ، وأود لو كان القانون يساعدني على ذلك ... ولكني كقاض لا استطيع إلا ان احكم بعقلي لا بعاطفتي .

ان اناساً عديمو الخبرة فى الحياة سيقفون في المستقبل ها هنا . . . بعد ان اذهب انا وتذهب أنت ... وإذا قدر لهم ان يتكلموا فستحز قصصهم في النفوس ،

ان بين الناس اشراراً وصالحين ... واخبرك بان واجباتي تجعلني أحكم في قضيتك في نطاق القانون بقسوة ... وسأحكم عليك بقسوة ونفسي مثقلة بالهموم على التقيد بالقانون ... »

* * *

أريد ان يقرأ المسؤولون حيثيات هذا الحكم ومبررات القسوة مرة ، وثانية ، وثالثة ليعرفوا بأن القائلين (بأن الظلم في موضعه عبادة) لم يخطأوا ولم يقولوا غير الحق فكيف إذا لم يكن ذلك ظلماً وإنما المطلوب ان يكون شدة ، وان يكون صرامة ، وقسوة في فرض العقوبات على مستحقيها لتكون ردعاً وعبرة ثم لتكون صورة من صور الرعدة يلقيها الحكم في نفوس الاشرار .

* * *

واذكر مرة اني اتيت في(يومية) من (يومياتي) التي كنت انشرها في(الهاتف) بمثل للحكم الذي لايمتنع عن اصداره الحاكم حتى ولو قامت كل المبررات الشريفة لاعفائه من الحكم والتساهل في قضيته ، والحق ان الحاكم هنا قد تساهل ولكنه لم يتساهل على حساب القانون أو حساب المدعي وإنما قد جرى تساهله على حساب نفسه كما ترى من مجمل القضية :

أرادت احدى الفتيات في أحد شوارع نيويورك ان تعبر من جانب إلى آخر ، وكانت احـــدى السيارات قادمة بسرعة في تلك اللحظة ... وكادت تدهم الفتاة وتقضي عليها آنياً لو لم يدركها أحد الشبان ويجذبها من فستانها بشدة إلى الوراء .. ولو تأخر هذا الشاب لحظة ... لحظة واحدة بدون مبالغة ... لصدمت السيارة الفتاة وقتلتها ... فلم يكن من الفتاة إلا ان التفتت إلى منقذها ، وشكرته على شهامته وانصرفت بعد ان عرفت هويته ، واطلعت على عنوانه .

وبعد أيام ... وصل الى الفتى اعلام من المحكمة تطلبه للمقاضاة لأن الفتاة المذكورة قد اقامت الدعوى على الشاب مدعية بأنه في يوم كذا والساعة كذا قد

جذبها هذا الشاب من فستانها لينقذها من مداهمة سيارة . . . وقد تسبب لها من جراء ذلك تمزيق الفستان أولاً . . . وازعاج أعصابها لأنه خضها ثانياً . . ! !

قال القاضي ـ موجهاً خطابه الى محامي المدعية :

ـ اظنك تشكو المتهم لأنه انقذ موكلتك من الموت ، أليس كذلك . . ؟

قال المحامي ـ كلا يا سيدي . . . فان عمله هذا يدعونا الى شكره . . ولكننا نشكوه لانه سبب تمزيق فستانها ، وهاج أعصابها لانه جذبها بعنف على حين فجأة..

قال القاضي ـ ولكن ألا ترى ان انقاذه لها متكافؤ مع تمزيقه لفستانها ، وتهييج اعصابها . . ؟

فاجاب المحامي ـ ان الفستان قد كلف موكلتي غالياً ... اضافة الى ان موكلتي بقيت ثلاثة أيام مريضة بسبب الخضّة .

القاضي ـ ربما مرضت لأنها شاهدت الموت قريباً منها عند مرور السيارة . ؟

المحامي ـ اؤكد لكم يا سيدي انها مرضت بسبب الخضة . . .

وبعد مذاكرة قصيرة في الموضوع اصدر القاضي حكماً يقضي بتغريم الشاب ثمن الفستان وقال في حيثيات الحكم :

إن هذه القضية بلا ريب قضية لا استطيع ان ابرىء المتهم فيها . . . لأن القانون صريح بتغريم كل من يحدث ضرراً للآخرين . . . ولكنني لا املك ازاء شهامة المدعى عليه وبطولته إلا ان ادفع الغرامة من كيسي ..!! واني حين احكم بهذا اخشى أن يضطر هذا المبدأ القضائي الناس الى الكف عن انقاذ المعرضين للأخطار ومع ذلك فاني موقن بان الرجل الشهم يقبل ان يحكم عليه بأية غرامة في سبيل ان ينقذ انساناً . . . ! !

— ٨ —

وليس من شيء يفيد المساجين كالصناعة المثمرة المفيدة التي يمكن أن يتعلموها في السجن ويحميهم من مغبة البطالة ، ثم يضمن لهم المعيشة الكافية حينما ينهون

مدة حكمهم ويخرجون الى الحياة العامة ، ولكن اشغال السجن كما رأيت لم تبن على القواعد العلمية كما يجب ، فهي اشبه ما تكون بمنهج دراسة طلاب مدارسنا المشحون بكثير من المواد التي ليس لها كبير مساس بحياتنا العملية ، فنسج القماش في السجن باليد ومن ضمنه نسج السجاد وبعض الصناعات الاخرى كتجليد الكتب إنما هي من الصناعات الكاسدة غير المجدية وغير الضامنة للعامل شغلاً منظماً رابحاً إذا ما أراد يوماً أن يعتمدها في حياته خارج السجن وذلك لأن الآلات والاجهزة لم تبق لليد مجالاً للافادة كما كان الأمر في السابق ، فناسج السجاد ما الذي ينتظر من قطعة ينسجها في اكثر من شهرين ليبيعها بما يساوي عشرين ديناراً ؟ ثم ما الذي يؤمل العامل الذي يعمل في تجليد الكتب إذا ما زادت نسبة عدد المجلدين على الكتب المجلدة .

ولكي نكون عمليين في تفكيرنا ، يجب ان نوجه السجناء توجيهاً صحيحاً مفيداً فنعني بالنجارة عناية اكبر مما نعني بها الآن ، ونهتم بالحدادة اهتماماً جديراً ، ثم ندخل على السجين اعمالاً جديدة كأن نوسع الاعمال الكهربائية وندخل اصلاح الراديو واللاسلكيات ضمن هذه الأعمال وذلك لكثرة الحاجة الماسة الى الاعمال الكهربائية ، واصلاح الراديوات والعمل في اصلاح ادوات التبريد ، والتثليج ، وكل الأعمال ذات المساس الشديد بمصالح الناس اليومية مما تتوقف اجادتها على الذهن واليد ، وليس على المعامل التي يتعذر ايجادها في السجن .

والتفكير في اشغال السجن والنهوض بها من الوجهة العملية وتكييفها بقدر الحاجة المربحة المفيدة أمر يستدعي الاهتمام به وتخصيص مبالغ كافية في ميزانية السجون لتحقيقه بنطاق واسع جداً وإلا فان الفائدة معدومة من هذه الاشغال التي اوجدت يوم كانت الحاجة ماسة اليها ويجب الآن تبديلها بصناعات أخرى قد حلت محلها .

— ٩ —

وانتقاء موظفي السجن والعناية بانتقائهم من أهم مستلزمات السجن بل من اهم مستلزمات التهذيب والاصلاح العام الذي ننتظر منه معالجة النفس المجرمة ... معالجة تكفي لتقلل عدد الجريمة سنة بعد أخرى .. وتنزل بنسبتها نزولاً يتفق ونوع المعالجات ... ومع ذلك فلا يكفي الانتقاء وحده ضامناً لهذه النتائج ما لم يجر تزويد هؤلاء الموظفين بالمعلومات المطلوبة ... وتجديد افكارهم فى نوع الادارة ، وملاحظة الطرق الحديثة فى ادارة السجون ، وتهذيب المساجين .

والايفاد يجب ان نعتبره في مقدمة تلك الوسائل ، فايفاد الموظفين من مديري السجن ومأموري السجن الى اوربا ، والى اميركا ، بصورة خاصة ، يجب ان تجعله وزارة الداخلية في مقدمة الامور ... ولا ينبغي ان تكتفي بايفاد الموظف مرة أو مرتين ... وإنما يجب ان تسهل له الايفاد كل ثلاث سنوات أو اقل مرة واحدة للاطلاع على شؤون السجون ، والسعي لدى الممالك لقبول هؤلاء الموفدين كموظفين تخريين عندهم فى السجن لمدة معينة ، لكي يعود الموظف وقد عرف ما ينبغي ان يأخذ به مما يلائم نشأتنا ، ومقتضيات حياتنا في تنظيم السجن وادارته .

* * *

وفي السجن اخطاء كثيرة وارتباكات كثيرة ونواقص كثيرة منشؤها كلها من فقدان أو ضعف العوامل المشار اليها في الفقرات المتقدمة ومع ذلك فان من الانصاف الاعتراف بظهور تغييرات كبيرة لم اجدها عند زيارتي السجن قبل عدة سنوات ، ولقد تسنى لي ان اخلو ببعض السجناء واكسب ثقتهم ، فاسمع منهم ما لم يسمعه إلا القليل من دخائل نفوسهم حتى لقد قال لي غير واحد بأنه سيقص علي كل شيء وهو واثق من اني سأحتفظ بسره واني سأكتم اخباره عن كل أحد دون ان يكون له سابق معرفة بي من قبل ، ولقد كنت كما ظن بي ، وانا محتفظ بهذا السر وغير مبيح به إلى احد .

أقول : لقد تسنى لي ان اسمع كل شيء من المقيمين اقامة طويلة هنا ، ومن مجموع ما سمعت تأيد عندي ان اوضاع السجن قد تغيرت بعض التغيير عما كانت عليه قبلاً ، وان الاحوال اليوم اقرب الى التفاؤل منها الى التشاؤم واحسن مما كانت في السنوات الخالية ، وان الزجر والضرب وما شاكل لم يعد هو العماد ، والركن الاساسي في ضبط المساجين ، واطاعتهم للنظام ، وكان بعض المساجين يعزون ذلك الى ادارة بعض موظفي السجن ، وانا لا اذهب الى ان هـذا البعض الذي نوه المساجين باسمائهم واطروهم من مديري السجن ومأموريه وموظفيه انبياء معصومون ولكني أؤيد ما سمعت من المساجين بما شاهدت خلال هذه الشهور الثلاثة التي اقمت فيها في السجن متتبعاً وباحثاً لاخراج كتابي هـذا ... اني اؤيد بعض ما سمعت ، واضيف إلى ذلك ما لمست من حيوية عنـد هؤلاء جميعاً واني حين اتقبل ثناء بعض المساجين على هذا الرهط من موظفي السجن جزافاً فلأنني اعلم بان ادارة مدرسة تضم الف طالب من الطلاب الاطهار الابرياء ، تكاد تكون من اعسر الأمور ... واكثر ارتباكاً للذهن . . . وأشد عذاباً .. بحيث تستدعي السماح للهيئة التدريسية بان تتمتع بعطلة لا تقل عن ثلاثة شهور في السنة ، فكيف بسجن لا يقل عدد مسجونيه عن ١٣٨٠ سجيناً ... وجل هؤلاء من المجرمين ، وبين ظهرانيهم من الميتة قلوبهم ... العدد الكبير .. وهم – أي موظفي السجن – يصابحونهم ، ويماسونهم ، ويعايشونهم ، ويختلطون بهم كانهم من الاجرام في الصميم فلا يحدث من جراء ذلك أمر ذو بال ، ثم لا يتمتع هؤلاء بشيء من الامتيازات في الراتب ، والراحة ، والمخصصات ؟ انه ينافي العدل والمروءة لحد كبير . .

انني اعتقد ان موظفي السجن اجدر بكثير من العدد الكبير من الموظفين في مرافق الدولة الأخرى بالتلطيف والتكريم ، والرعاية ، واني اوصي – إذا كان

لوصيتي قيمة ما بأن تهتم وزارة الداخلية منذ اليوم ... باختيـار احس العناصر لادارة السجون واكفأ الموظفين المتزهين من الدنايا ثم عليها ان تخصهم بعـد ذلك بالتلطيف والتـكريم ، والاغداق عليهم بالمخصصات الـكافية المتناسبة مع ما يؤدون من خدمة .

بغداد - كرادة مريم جعفر الخليلي

* * *

الفهرست

التسلسل		الموضوع	الصفحة

النشل في معرض الجريمة

الجريمة بداعي العرض والشرف

الجريمة الناشئة من تغطية الجريمة

الفطرة في معرض الجريمة

* * *

تصويب

حين اعدنا النظر - لتلافي سهو المصحح والمطبعة ولتدارك ما وقع من الاغلاط بالاشارة اليها في آخر الكتاب كما جرت العادة - لم نلفها من الكثرة بحيث تستحق الذكر ومع ذلك فقد وردت بين تلك الاغلاط - على قلتها - اغلاط نابية غير مغتفرة ككلمة (ليتجاوزا) في الصفحة ١١٨ . وكلمة (اشهر خنجره) وغير ذلك ، فاكتفينا بالاعتذار معتمدين على ذوق القارىء وعفوه في التصحيح وفي المسامحة .

This book can be obtained from the author
Sayid Jafar Al-Khalily
Baghdad-IRAQ

مؤلفات الخليلي



المطبوعة

١ـ اولاد الخليلي ـ مجموعة قصص ـ

٢ـ الضايع ـ قصة ـ

٣ـ على هامش الثورة العراقية ـ حقائق لم يسبق نشرها ـ

٤ـ عندما كنت قاضيًا ـ استعراض مقتضب للأحوال الشخصية العراقية من زواج وطلاق ومواريث واوقاف ـ

٥ـ يوميات ـ جزآن ـ ـ صور مختلفة من الحياة العامة ـ

٦ـ جغرافية البلاد العربية ـ للدراسة المتوسطة ـ

٧ـ حديث القوة ـ مجموعة قصص ـ

٨ـ اعترافات ـ مجموعة قصص ـ

٩ـ تسواهن ـ ريبورتاج عن الجمال والغناء والرقص في العراق ـ

١٠ـ من فوق الرابية ـ مجموعة قصص قصيرة متنوعة ـ

١١ـ مجمع المتناقضات ـ قصص موضوعة ومترجمة ـ

١٢ـ في قرى الجن ـ قصة ـ

ثمن النسخة من هذا الكتاب ٥٠٠ فلس

كل ابواب هذا الكتاب الفنية وصورة الغلاف رسمت بريشة الفنان الموهوب يحيى جواد وحفرت على يد السيد بيير ـ معمل زنكوغراف الشعب ـ

This book can be obtained from the author
Sayid Jâfar Al-Khalily
Baghdad-IRAQ

طبع الغلاف : في مطبعة المساحة - بغداد